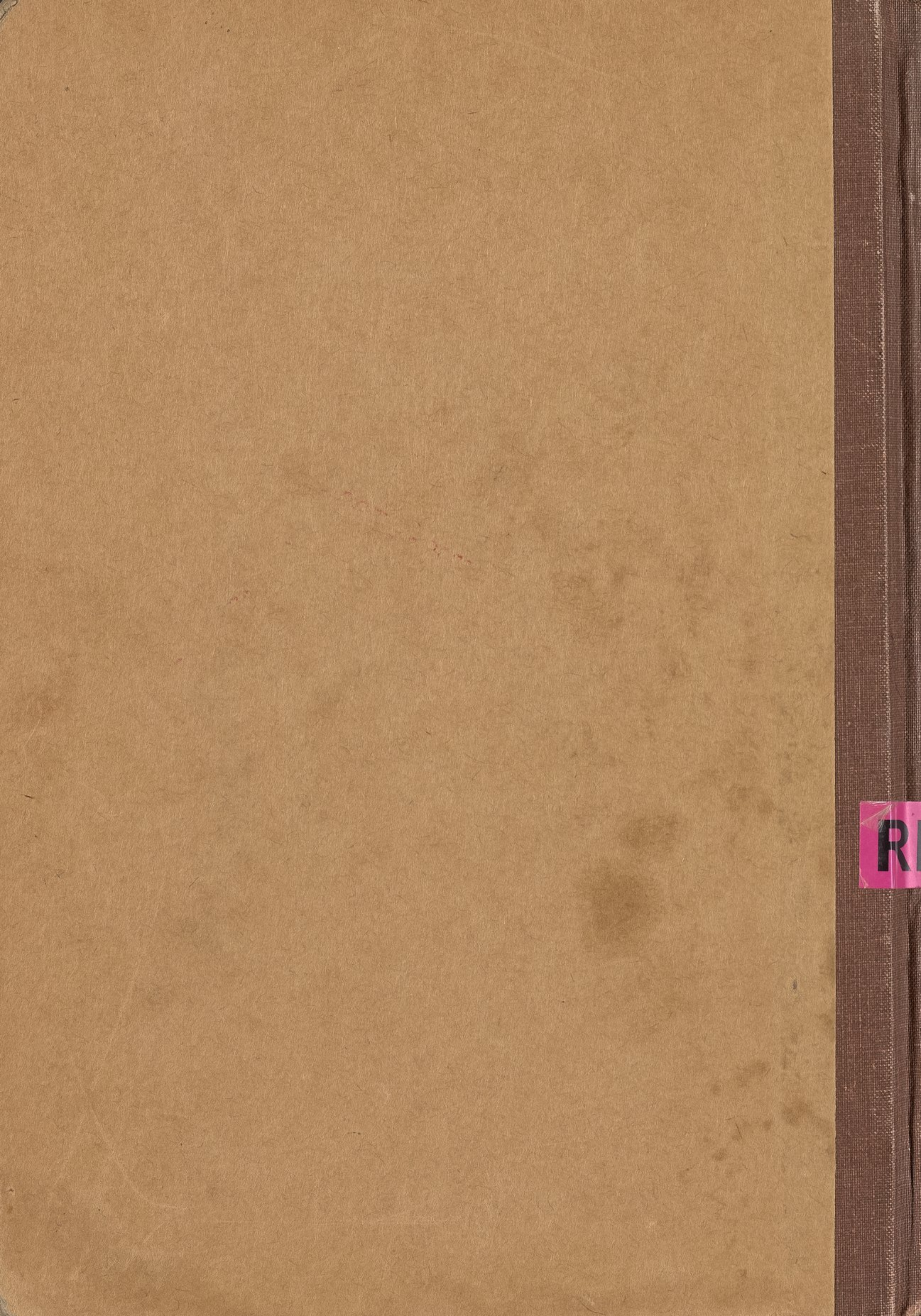
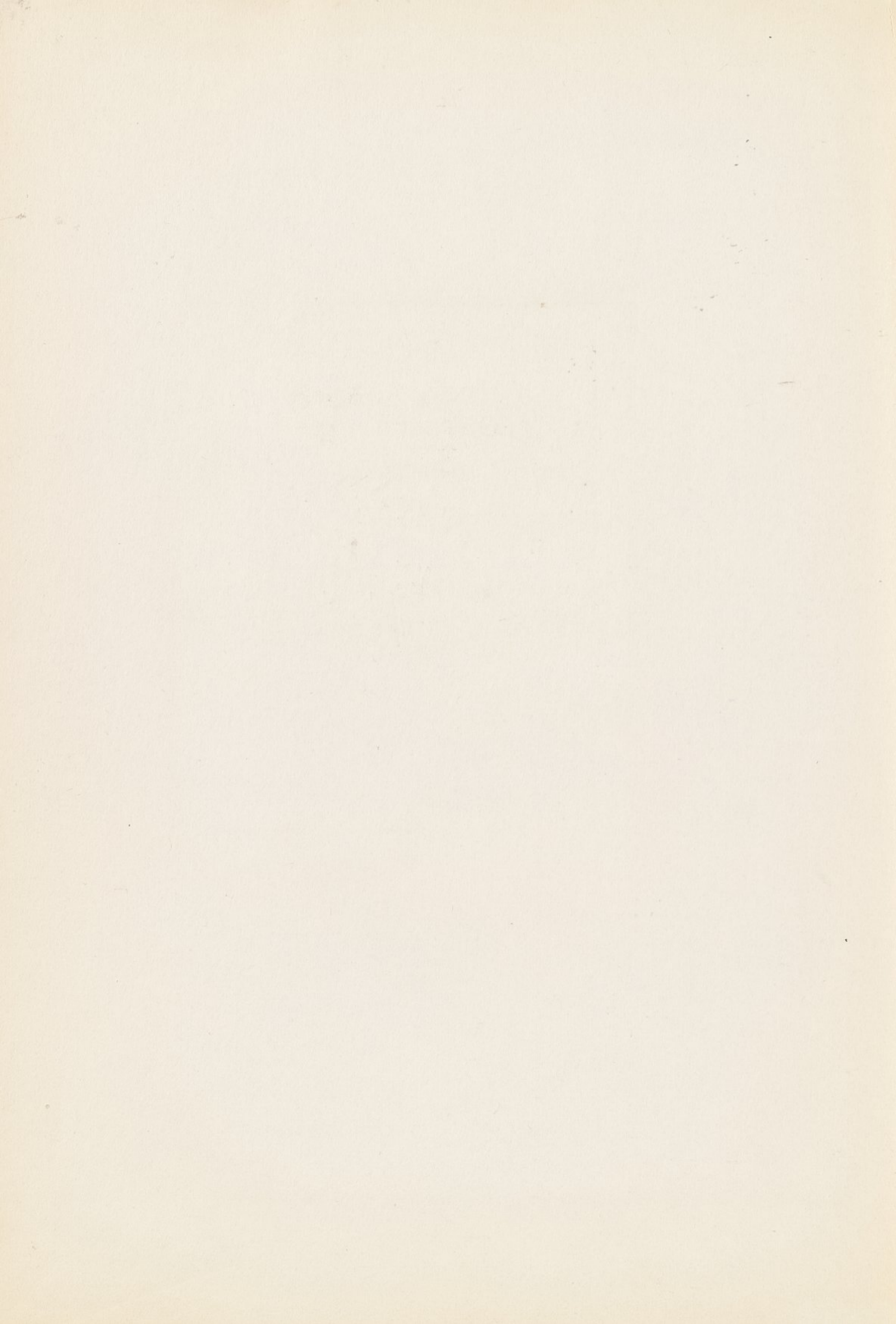
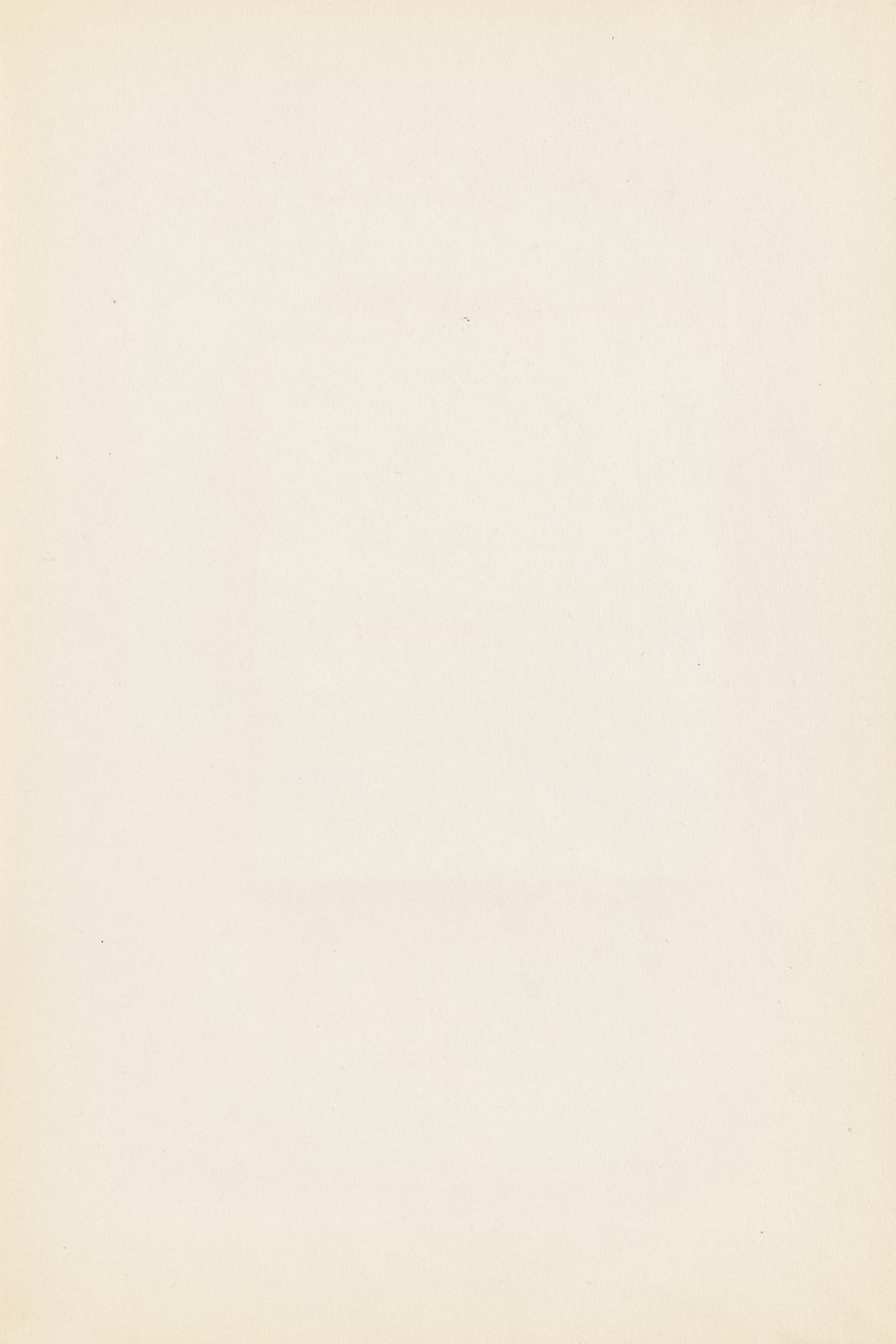



SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LVMINE TVO VIDEBIMVS LVMEN
יהוה
I·PET·II·V·2·





تاريخ التعليم في العراق

في العهد العثماني

١٦٣٨م - ١٩١٧م

تأليف

عبد الرزاق الهلالي

ليسانس بالآداب من مرتبة الشرف

ليسانس في الحقوق

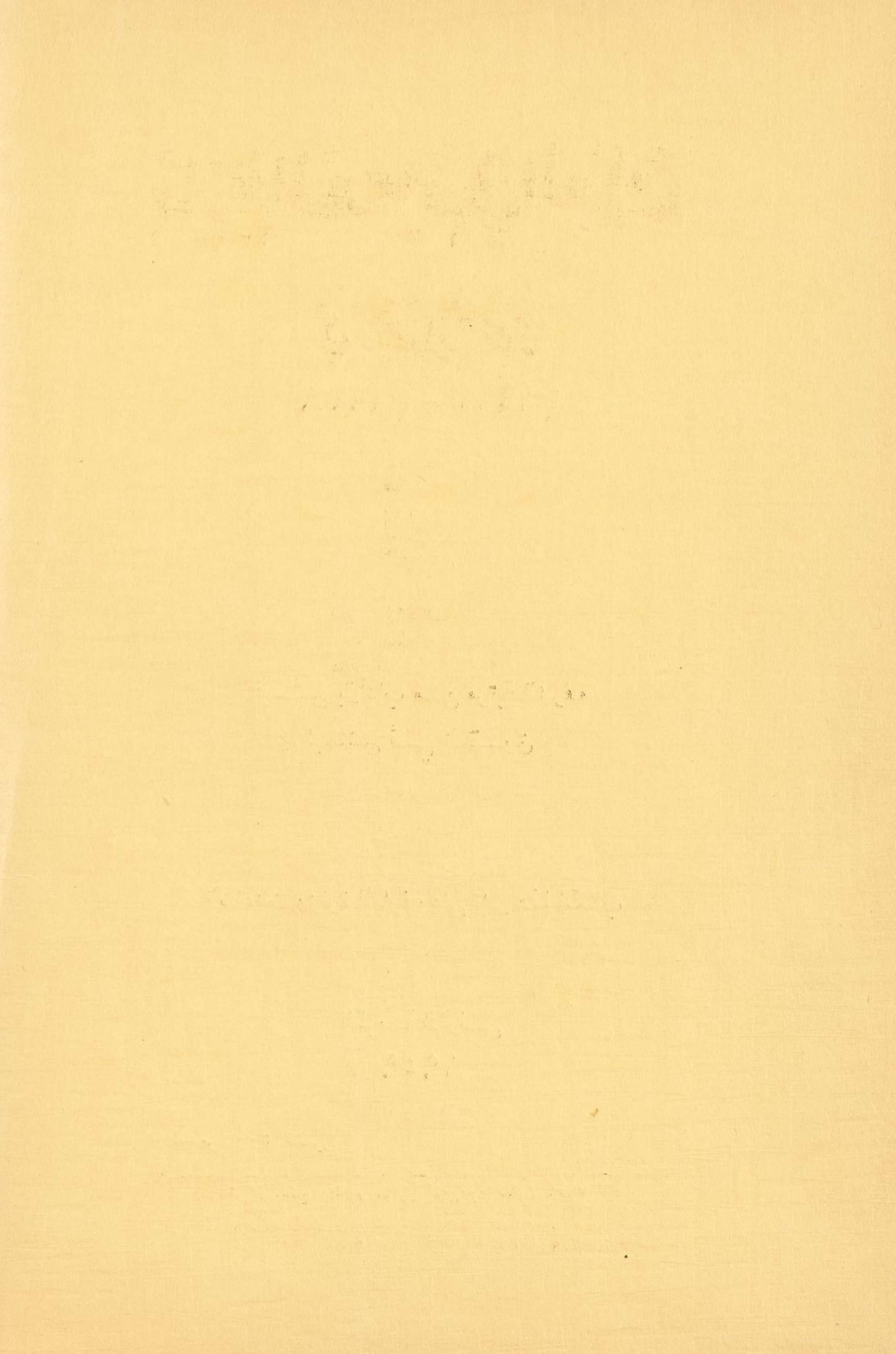
ساعدت وزارة المعارف على نشر هذا الكتاب

الطبعة الاولى

١٩٥٩

السعر ٥٠٠ فلس

شركة الطبع والنشر الاهلية ذ.م.م. تلفون ٧٩٥٩



تاريخ التعليم في العراق

في العهد العثماني

١٦٣٨م - ١٩١٧م

تأليف

عبد الرزاق الهلالي

ليسانس بالآداب من مرتبة الشرف

ليسانس في الحقوق

ساعدت وزارة المعارف على نشر هذا الكتاب

الطبعة الاولى

١٩٥٩

شركة الطبع والنشر الاهلية ذ٠م٠م٠ تلفون ٧٩٥٩

الفهرست

المقدمة

اذا كان لابد لكل كتاب من مقدمة ، فان مقدمة كتابي هذا ، ستكون حديثا ، أعرض فيه للقاريء بايجاز ، العوامل والاسباب التي حملتني على تأليف هذا الكتاب ، على الرغم مما يحيط موضوعه من متاعب وأتعاب !

أما هذا الحديث ، فيرجع تاريخه الى عام ١٩٥٠ م ، حيث كنت آنذاك ، منشغلا باعداد فصول كتابي (معجم العراق) • ولما كان موضوع (التربية والتعليم فى العراق) من جملة موضوعات ذلك الكتاب ، وكانت خطتي عند كتابة كل موضوع ، ان أرجع الى الوراء قليلا ، لجعل البحث شاملا ، فقد رحت ، وانا متبع هذا النهج ، اقرأ تاريخ التعليم منذ العهد العثماني ، فخرجت بعد هذه الدراسة ، بمعلومات واسعة ، حوت الشيء الكثير من الحوادث النادرة والصور الطريفة والاخبار الشائقة ، عن التعليم فى العراق آنذاك • لذا رأيت أن اجعل منها كتابا خاصا ، اصدره مستقلا عن المعجم • وقد أشرت الى رغبتي هذه فى الصفحة (٢١٠) من الجزء الاول من كتابي (معجم العراق) الذي أصدرته عام ١٩٥٣ ، قائلا (للمؤلف كتاب بعنوان تاريخ التعليم في العراق فى العهد العثماني سيصدر قريبا) •

ونظرا لاهمية هذا الموضوع من جهة ، وعدم توفر المصادر الباحثة عنه بحثا مفصلا ، من جهة اخرى ، رأيت التريث أولا ثم الاستعانة بذوي الدراية والاطلاع الذين أكملوا دراساتهم فى أواخر العهد العثماني ثانيا • فرحت أتصل أما شخصيا وأما عن طريق المراسلة ، بعدد من الاساتذة لاسيما مع اولئك المتضلعين فى مباحث التاريخ العراقي ، مستفسرا عن بعض الحقائق ، ومستفهما

عن بعض الاحداث والوقائع • فكانت احاديثهم وأجوبتهم ، خير عون لي فى وضع بعض فصول هـذا الكتاب •

وفى الوقت الذي كنت أقوم بتهيأة مواد هذه الفصول ، كانت تصدر بين الحين والآخر ، كتب تاريخية هامة (عربية أو افرنجية) ساعدتني كثيرا فـي الكشف عـن نواح عديدة مـن جوانب الحياة العلمية فى العصور المظلمـة فـي العـراق •

لذا يمكن القـول أن المعلومات التي جمعتها وانا أهيىء مواد كتابـي (معجم العراق) ، وما تفضل به علي ذوو الفضل مـن كرام الاساتذة مـن معلومات مفيدة ، واجابات قيمة ، وما تناثر بين سطور هذه الكتب التاريخية الهامة من شذرات نافعة ، كل هذه تضافرت فى تكوين فصول هذا الكتاب !

ان هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم الى القاريء الكريم ، كتاب جديد فى مادته ، وموضوعه ، فهو كما يرى ، موضوع عزت فيه المراجع والمظان ، وغفل عنه الكتاب والباحثون • ولذلك ليس لي وانا أضعه بين يدي القاريء ، الا أن اقول ان هذه الفصول ان هي الا نتيجة مجهود فردي ، وتتبع واستقصاء شخصي ! فاذا جاءت أبحاثـه ناقصة ، فأملي وطيد ، بأن ذوي الفضل مـن الاساتذة سوف لا يبخلون علينا بما لديهم من تصويب وارشاد ، لنتخذ مـن تصويباتهم وارشاداتهم عونا فى اعطاء صورة صادقة لهذا التاريخ فى طبعـة ثانيـة انشاء الله !

تلك هي القصة ، وهذا هو حديث العوامل التي حملتني على تأليف هذا الكتـاب !

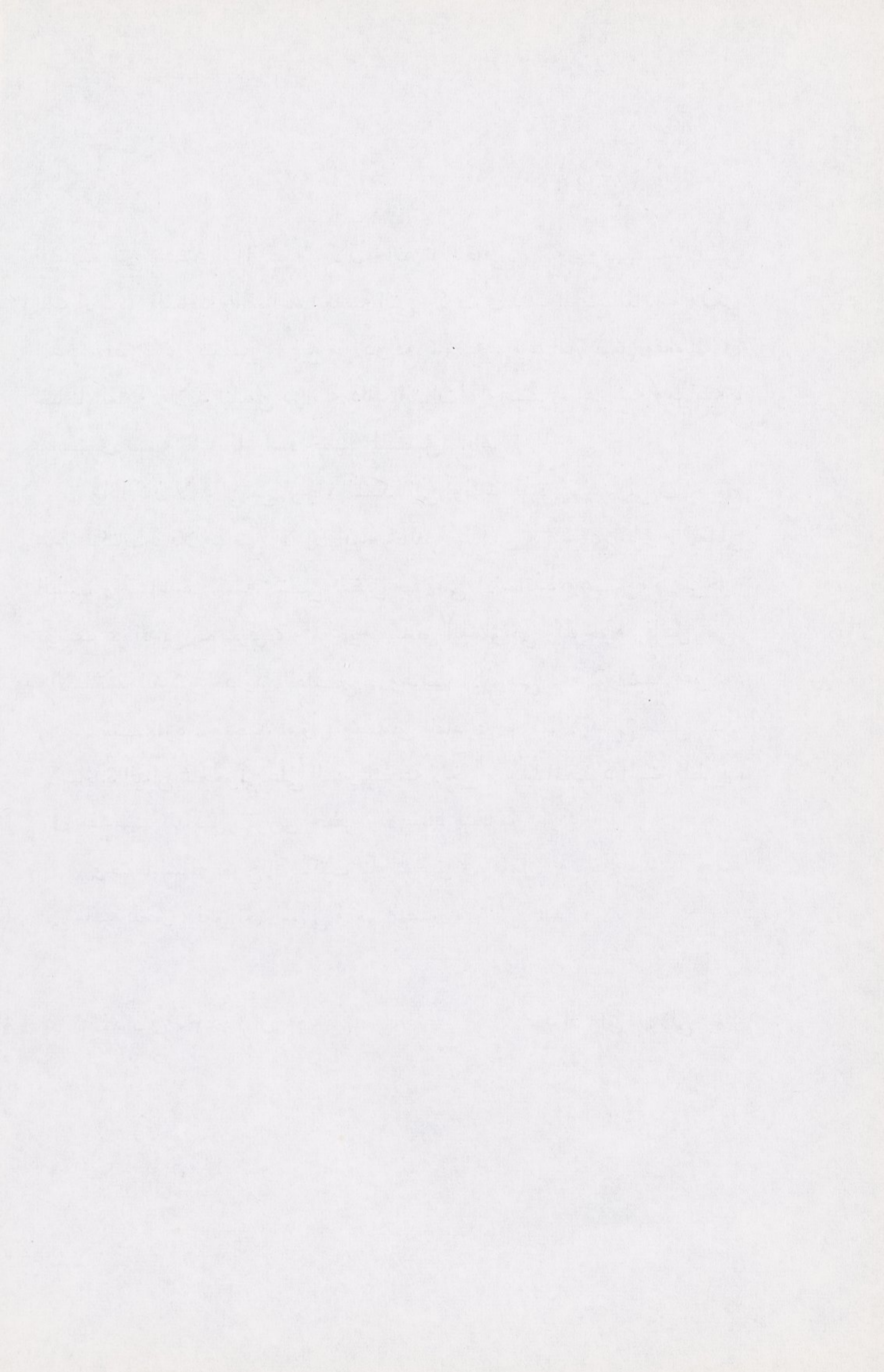
ان نشر هذا الكتاب فى مطلع هذا العهد الجمهوري الزاهر ، وبمساعدة وزارة المعـارف الجليلة ، سيجعل فى مقدور الباحثين ، الوقوف على الاسس

الثقافية التي نستند اليها اليوم ، لان حاضرنا الثقافي بوجه عام ، مستند الى تلك الاسس الثقافية والقواعد العلمية التي ركزت فى ذلك العهد الغابر . ولكي نتدبر حاضرنا ، ونتلمس ما فيه من دوافع غامضة ، وعوامل تفعل مفعولها فى حياتنا العامة ، لابد لنا من دراسة ذلك التراث ، واستقراء أغراضه ومراميه ، لنرسم فى ضوء تلك الدراسة خطط المستقبل الزاهر !

واذا كان لابد لي من ازجاء الشكر الى اولئك الذين ساعدوني فى اخراج هذا الكتاب ، فلا يسعني الا أن اقدم خالص شكري وتقديري للروح العلمي الطيب والمساعدة القيمة التي تفضل بها علي الاساتذة وهم .. المرحوم يوسف عز الدين الناصري ، والمرحوم صديق الدملوجي والمرحوم رفائيل بطي، والاساتذة الدكتور داود الجلبي ، وهاشم الالوسي ، وكوركيس عواد ، وكاظم شكارة ، واحمد امين ، وصديق القادري . كما لابد لي من شكر الاساتذة الذين شجعوني على السير بسرعة لاخراج هذا المجهود الممتع الطريف وفى مقدمتهم الدكتور نوري جعفر والاستاذ ميخائيل عواد .

وختاما اسأله تعالى ان يكتب لنا التوفيق فى العمل ، ويأخذ بايدي الجميع الى مافيه الخير ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

بغداد فى ٣٠ حزيران ١٩٥٩ — عبد الرزاق الهلالي



— ١ —

العراق العثماني

كانت بلاد الرافدين أيام العباسيين بلادا عامرة وافرة الغنى ، تدر أرض السواد فيها الخصب والخير العميم ، اذ كانت الدولة آنذاك معنية عناية فائقة بوسائل الاصلاح وشؤون الري والزراعة والعمران ، فلا عجب اذا ما ازدهرت البلاد ازدهارا عظيما امتد الى مختلف مجالات الحياة . لا فرق فى أن تكون تلك العناية منصبة على تنظيم شؤون الري وحسن الاستفادة من مياه الرافدين أو العناية بأمور الزراعة أو فى شؤون الثقافة أو غيرها .

وهكذا ما ان بزغ فجر القرن الثالث عشر حتى كانت بغداد ما تزال مدينة الخلفاء المقدسة ، والعراق ما برح جنة الحبوب والبساتين ، كما كان فى عهد سارغون وسلوقيس والرشيد .

الا أنه بتتابع الايام راحت الامور تجري على غير الصورة الاولى ، فقد بقيت بغداد جذابة غنية ، مهيبة الجانب ، لكنها كانت خائرة القوى ، لا حول لها ولا طول بيدها ، تنعم بعظمتها الخالدة ، ولذلك لم تقو على مغالبة عاديات الايام اذ سرعان ما عصفت بها ريح الخراب عندما دهمها هولاكو حفيد جنكيز خان عام (٦٥٦ هـ) ، فثل عرشها ، وأطفأ نار الخلافة فيها حتى الابد ، بعد ان استباح غنائمها التي لا تحصى وكنوزها العظيمة وذبح شعراءها وتجارها وفرق طلابها وعلماءها وفقهاءها ، فاستحالت فى يوم واحد من مركز للسلطنة الاسلامية الذي لا ند له الى مركز حقير من مراكز الامبراطورية الايلخانية[1] .

ولقد كان أعظم الاعمال التهديمية التي ارتكبها (هولاكو) هو التخريب المتقن فى السدود والانهار ونواظم الاسقاء التي كان تشييدها المحكم منذ القدم المنبع الوحيد للثروة فى البلاد . وقد تعذر القيام باصلاح تلك التخريبات فيما بعد ، بسبب استمرار الاضطرابات فى البلاد ، وفقدان روح العمل ممن بقوا

---

١ ــ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لونكريك . ترجمة جعفر الخياط بغداد ١٩٤١ .

أحياء من السكان القليلين اثر تلك المذابح والتخريبات الهائلة (٢) • وهكذا راحت السنين تمر والعراق لا يزال فريسة للاضطرابات ، وعرضة للانقلابات وسفك الدماء وحكم الاجانب ، وظل يغطس كل عام بلجج القلاقل والاضطرابات والاستيلاء الجديد ، حتى بات كل شهر من تلك المدة حافلا بسقوط السلالات المختلفة والاسر المالكة ، وعلى هذا المنوال كان حكام بغداد يتجددون الواحد تلو الآخر حتى آل الامر الى (العثمانيين) بعد ان خلصوا البلاد من أيـدي الايرانيين ، ولكن هذا الحكم الجديد لم يقو على اقالة البلاد من عثرتها أو يقدر على اعادة مجدها وعزتها بل على العكس سارت الامور بسجراها القـديم وكلما تقدمت الايام كلما تفاقم الامر وتعاظمت المتاعب والمصاعب نظرا لبعـد مركز الخلافة وسوء الادارة وطمع الولاة فى الحكم وسيطرة الروح العسكرية، وفشو الجهل والفقر والمرض ، حتى بات كل يوم يمر وهو لا يخلو من عصيان جديد يقطع به اللصوص الطرق او يغتصب به بعض رؤساء العشائر بـلدة نهريـة •

ولم تكن حال الحواضر الاخرى فى العراق فى العهد العثماني أحسـن من حال (بغداد) فتاريخ البصرة والموصل وكركوك والسليمانية هو الآخر حافل بالحروب والمعارك والغزوات والفتن والاضطرابات • فليس عجيبا بعد هذا ، أن يرى المتتبع لتاريخ العراق فى هذه القرون ، يرى الاجيال يتلو بعضها بعضا دون أن تكون هناك خطة واضحة للحكم لان المثل العليا لم يكن لهـا وجود ، بل كان الذي يؤيد الحكم هو الاخلاص الطنان (للدين) ، والدولة التى كانت تستقي منه سلطتها ، كما لم تكن تدانيه فى الاهمية لا الثقافة ولا حسن النية ولا الخبرة فى الحكم «٣» •

ولما كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية هو المذهب السني الحنفي ،

---

٢ — تطور الرأي فى العراق الدكتور أحمد سوسه .

٣ — لونكريك المصدر السابق .

أمكننا أن نعرف سبب سوء العلاقات بين أبناء هذه البلاد الممثلين فى الطائفتين (السنة) و (الشيعة) فلقد كان عامل التفرقة (المذهبية) بينهما خلال تلك العصور ، ذا أثر كبير فى تناحر أبناء الشعب الواحد وتباعدهم بسبب تلك النعرة البغيضة التي كانت تغذيها المطامع التوسعية ، تراود أذهان الملوك والسلاطين أو الامراء والقادة من العثمانيين والايرانيين فساءت العلاقات بين أبناء الطائفتين بسبب هذه النعرة التي استغلت استغلالا كبيرا لم يكن في صالح الامة بشىء .

والخلاصة فقد كان العراق خلال تلك القرون (التي ابتدأت عام ١٦٣٨ م) وانتهت عام ١٩١٧ م وهي المدة التي خضع فيها للحكم العثماني) فى حالة يرثي لها من التردي والانحطاط وسوء الادارة فما كان الولاة فى الاعم الاغلب الا ملوكا مستبدين . أما تعديات الانكشارية والجاندرمة واستهتارهم بحياة الناس وأموالهم فللتاريخ عنها فصل طويل . فلا عجب اذا ما انتهى القرن التاسع عشر والبلاد ما تزال فى حالة من الفوضى والتفسخ ، فشا فيها الجهل وسيطرت الخرافات واندرست معالم المدنية والحضارة وانتشرت الامية ، حيث لم تكن تحكم البلاد دولة تعرف واجبها الاساسي أو القيام بأبسط الواجبات كضمان حرية الرعية والمحافظة على حقوقهم ونشر ألوية الامن والطمأنينة في البلاد .

تلك هي حالة (العراق العثماني) الذي انتهى على هذه الصورة أثر اندحار القوات العثمانية أمام قوات الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٧ وانطوت آخر صفحة من صفحات الحكم العثماني باعلان الهدنة في اليوم الاول من تشرين الثاني عام ١٩١٨ «[٤]» .

---

٤ ــ العراق قديما وحديثا عبد الرزاق الحسني صيدا ١٩٤٨ .

العثمانيون والخلافة

ان البحث فى موضوع التربية والتعليم أيام العثمانيين يستوجب الخوض فى موضوع « الخلافة » للوقوف على آثارها فى حياة الشعوب الاسلامية أيام خلفاء بني عثمان • وقبل البحث فى ذلك يجدر بنا أن نعطي القارىء فكرة عن « الخلافة » نفسها فى الشريعة الاسلامية • فالخلافة فى نظر العلامة ابن خلدون هي (حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي فى مصالحهم الاخروية والدنيوية ، فهي فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا)«[١]» •

وقد التزم الخلفاء الراشدون هـذه الخطة وساروا فى هدي الشريعة الاسلامية وقادوا الامة الى ما فيه خير الدنيا وثواب الآخرة •

ولكن الامور تغيرت فيما بعد عند ما قرر معاوية المبدأ الوراثي منذ عين ابنه يزيد (٦٧٦ م) خلفا له واستمرت هذه السابقة الوراثية فى الخلافة على هذا الشكل حتى الازمنة الاخيرة من العصر العباسي • ومهما يكن من شىء فانه بتطور الحياة خرجت الخلافة عن معناها الحقيقي لا سيما بعد أن اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وضعفت سيطرة الخلفاء وأصبح حكام الاقاليم الواحد بعد الآخر يستقل فى قطر من الاقطار أو جانب من جوانب العالم الاسلامي دون أن يبعدوا أنفسهم عن الجماعة الاسلامية بل اتخذوا لقب (أمير المسلمين) مع أنهم ذكروا اسم الخليفة القابع فى بغداد فى خطبة الجمعة بعد أسمائهم فبات (الخليفة) اسما بلا مسمى أو صورة رمزية فقط «[٢]» • وعندما احتل الطاغية (هولاكو) بغداد عام (٦٥٦ هـ) وقتل الخليفة المستعصم كان ذلك اليوم ايذانا بزوال خلافة بني العباس فى مدينة السلام • الا أنه فى يوم ١٩ رجب من عام ٦٥٩ هـ وصل الى مصر (أحمد بن الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله)

---

١ ـ مقدمة ابن خلدون .

ـ النظم الاسلامية تأليف موريس . غ. ديموميين ترجمة صالح الشماع. فيصل السامر .

وأثبت نسبه بحضور الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وكان ذلك في زمن (الظاهر بيبرس) فبايعه الظاهر بالخلافة ولقب بلقب (المستنصر بالله) ولكنه لم يبق في مصر بل جهز له جيشا وسار به لمحاربة هولاكو فالتقى به في (الانبار) فهزم جيش الخليفة وانقطعت أخباره «٣» .

وفى سنة ٦٦٠ هـ جاء الى مصر (أحمد بن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بن (المستظهر) وثبت هو الآخر نسبه بحضور العلماء فبايعه (الظاهر بيبرس) أيضا على أن تبقى الاحكام بيده ، وهكذا انتقلت الخلافة العباسية من العراق الى مصر ، ولكنها خلافة اسمية فقط لان الحكم فيها كان بيد سلاطين المماليك . وقد استمرت فى مصر من سنة ٦٦٠ هـ حتى سنة ٩٢٣ هـ أي الى خلافة (محمد المتوكل على الله) وهو السادس عشر من الخلفاء العباسيين في مصر «٤» .

وفى ذلك الوقت كانت هناك دولة اسلامية تسير متجهة من آسيا الصغرى صوب الجنوب والجنوب الشرقي ، تسير من نصر الى نصر ، تلك هي (الدولة العثمانية) أيام السلطان سليم الاول . لقد انتصر على شاه الفرس فى موقعة (تشالديران) عام ١٥١٤ م وفتح أمامه أبواب (تبريز) عاصمة الدولة الصفوية واستولى فيها على العرش المرصع المشهور ونقله الى القسطنطينية . ثم بعد سنتين من ذلك النصر سار لمحاربة المماليك فانتصر على قنصوة الغوري فى (مرج دابق) عام ١٥١٦ م وبعد ذلك استولى على سوريا بأجمعها ومن ثم سار الى مصر حيث دخلها عام ١٥١٧ م . وفى أثناء وجود السلطان سليم فى القاهرة أتاه رسل من شريف مكة وأعلنوا خضوعهم وسلموه مفاتيح البلد المقدس كما قلدوه لقب (خادم الحرمين الشريفين) لكي يعلو

---

٣ — تاريخ الدولة العلية العثمانية — محمد فريد بك .

٤ — الخلافة : السير توماس ارنولد ترجمة جميل معلي دمشق ١٩٤٦ .

شأنه فـي العالم الاسلامي «[٥]» ٠

وبهذه الواقعة انتهت قصة الخلافة الاسلامية «[٦]» ٠ ولكن الذي نريد الوقوف عليه هو كيفية انتقالها الى سلاطين بني عثمان ومدى صحة هذا الزعم٠

فالاستاذ (محمد فريد بك) فى كتابه (تاريخ الدولة العلية) «[٧]» يقول ما نصه ٠٠٠ (فلما عاد السلطان سليم الى القسطنطينية أخذ معه آخر خلفاء بني العباس (المتوكل بالله) وهناك حصلت منـه المبايعة الى السلطان سليم العثماني أي عام ٩٢٤ هـ ، وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق والسيف والبردة وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين ومن ذلك التاريخ أصبح لقب كل سلطان عثماني (أمير المؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين) ٠

أمـا المؤرخ (كارل بروكلمان) فيرى أن مسألة التنـازل عن الخلافة اسطورة ، اذ يرى أن السلطان سليم كان قد أعلن نفسه خليفة على المسـلمين فى خطبة الجمعة وبوصفه خليفة استلم فى شهر آب من سنة ١٥١٧ م مفاتيح الكعبـــة «[٨]» ٠

ويرى صاحب كتاب يقظة العرب (جورج انطونيوس) أن رواية التنازل هـذه عرفت لاول مرة فى القرن الثامن عشر واعتمدها المؤرخون الشرقيون

---

٥ ــ يقظة العرب جورج انطونيوس ترجمة علي حيدر الركابـي دمشـق ١٩٤٦ ٠

٦ ــ فى يوم ٢٣ــ١ــ١٥١٧ قرئت الخطبة باسم السلطان سليم فى جوامع القاهرة ٠٠ « اللهم أنصر السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين قاهـر الجيشين سلطان العراقين خادم الحرمين الشريفين الملك المظفر السلطان سليم شـاه » ٠

٧ ــ صفحة ٧٦ ٠

٨ ــ تاريخ الشعوب الاسلامية الجزء الثالث ترجمة الدكتور نبيه فارس ومنير بعلبكي بيروت ١٩٥٤ ٠

والغربيون الا (السير ارنولد) فى كتابه (الخلافة) طبعة اكسفورد سنة ١٩٢٤ «٩» .

ومهما يكن من شيء فان هناك حقيقة لا تقبل النقاش هي أن السلاطين الاتراك اتخذوا لانفسهم منذ القرن الثامن عشر لقب (خليفة رسول الله) واعترف الناس لهم به . أما الاستاذ ساطع الحصري فيرى أن رواية التنازل عن الخلافة لم تكن تستند الى أساس يجوز الاعتماد عليه اذ يعتقد أنها اختلقت اختلاقا بعد عهد السلطان سليم بمدة ولا غرابة فى ذلك لان الخلافة فى ذلك العهد كانت قد فقدت مكانتها منذ مدة طويلة . والخليفة كان قد أصبح (مقام تبرك) لا يتمتع بأية سلطة فعلية أو اسمية «١٠» .

ولذلك يرى الاستاذ الحصري أن سلاطين آل عثمان لم يعيروا فى بادىء الامر أي اهتمام للخلافة لكنهم لما أرادوا الاستفادة منها اهتموا بها بصورة تدريجية ولذلك اختلق ساستهم ومؤرخوهم اسطورة التنازل والانتقال .

وليس من شك فى أن اعتقاد المسلمين لا سيما وهم فى تلك الصورة من التأخر قد قوى نفوذ الدولة العثمانية وسهل حكمها تسهيلا كبيرا . كما أنها أي (الخلافة العثمانية) ساعدت كثيرا على استسلام العرب للحكم العثماني .

---

٩ — يرى توماس ارنولد فى كتابه « الخلافة » ان انتقال الخلافة الى القسطنطينية بمبايعة الخليفة العباسى للسلطان سليم انما هو وهم ، وكان أول من ذكر هذا الوهم بأن آخر خليفة عباسى فى مصر نقل منصبه بقانون الى السلطان سليم ، قسطنطين مواردجا أوهسون فى مؤلفه العظيم .
« لوحة عامة للامبراطورية العثمانية » .

« Tableau GÉNÉRAL de l'EMPIRE OTTOMAN »

فأيد تقريره هذا دون الرجوع الى أي مصدر تاريخي . وهكذا انتقل دون اعتراض من مؤرخ الى آخر وأضحى أساسا مشتركا للدعاة الحديثين فى العالم الاسلامي فى دعم حقوق العثمانيين فى الخلافة .

١٠ — البلاد العربية والدولة العثمانية ساطع الحصري القاهرة ١٩٥٨ .

وهكذا وعلى الرغم من اختلاف آراء المؤرخين فى موضوع التنازل فقد أصبح سلاطين بني عثمان (خلفاء للمسلمين) وطبقا للنظرية الاسلامية عن (الخلافة) التي صاغها (الماوردي) يتعين على الخليفة أن يضطلع بالوظائف التالية وهي (الذود عن الدين والمحافظة عليه وفض الخصومات القضائية وحماية أراضي المسلمين وما يماثل ذلك من التدابير العسكرية وقيادة الجهاد ، أي الحرب المقدسة ، وتوجيه الادارة المالية وادارة كافة شؤون الدولة الاخرى ، ومن هنا يتعين عليه أن يمارس وظائف الدولة من روحية وزمنية «١١» . وأصبحت وظيفتا ، الخليفة الروحي والحاكم الزمني ، متحدتين فى شخص واحد هو (السلطان العثماني) وقد أيد الدستور العثماني فيما بعد هذا الاتجاه بنصه هذا .... (ان السلطة العثمانية العالية المنزلة ، متحدة مع الخلافة الاسلامية السامية يتولاها أرشد أفراد اسرة آل عثمان طبقا لقاعدة قديمة ، وان حضرة السلطان هو حامي الدين الاسلامي بحسب الخلافة ، وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها) .

ومهما يكن من شيء فالحقيقة أن فكرة الخلافة والتمسك بها من قبل العثمانيين لم تعد لا سيما بعد نمو الحركة القومية الا واسطة لصهر تلك الاجناس الاسلامية فى بوتقة (الجامعة الاسلامية) التي كانت تدور حول مبدأ الخلافة . ولذلك حاول السلطان عبد الحميد الثاني استثارة عواطف المسلمين بالدعوة للجامعة الاسلامية وبذل ما يستطيع لتقوية علاقته عن هذا الطريق بالعرب ، فقرب اليه فريقا من علمائهم وشيوخ الطرق عندهم ، وعهد لبعض أبنائهم بالوظائف الرئيسة فى الدولة الخ . وقد نجح فى تحقيق حلمه قدر المستطاع ، واستثمر هذه السياسة مدة طويلة «١٢» .

---

١١ — الدولة والنظم الاجتماعية فى الشرق الاوسط ألفريد بونيه ترجمة الدكتور راشد البراوي القاهرة ١٩٥٠ .

١٢ — فلسفة التاريخ العثماني محمد جميل بهيم بيروت ١٩٥٤ .

وليس من شك فى أن فكرة عبد الحميد هذه لقيت هوىً فى قلـوب الكثيرين مـن رجال الدين وغيرهم ، لان الاسلام فى نظرهم كان يقوم مقام الوعـي القومي المفقـود «[1]» •

واستنادا الى مركز الخلافة، وتمسك السلاطين بها، ثم الى فكرة (الجامعة الاسلامية) مؤخرا ، عظم مركز رجـال الدين وكثر عددهم وتنوع • فمنهم القضاة والمفتون والائمة والخطباء والسادة والاشراف والمشايخ والمدرسون وطلبة العلوم والدراويش والمريدون الذين كان عددهم يزداد على مر السنين •

وهكذا كانت عصا الخلافة فى تلك الحقبة ، والتي كان السلطان عبد الحميد يلوح بها ، هو العلم النبوي الشريف الذي طالما كان الناس يسمعون أن السلطان سينشره فى اليوم العصيب حيث يزحف المسلمون وراءه تلبية لداعي الجهاد من كل حدب وصوب •

نظام الحكم العثماني

كانت الدولة العثمانية ، منذ أيام السلطان سليمان تقوم على أسـاس النظام الاقطاعي الذي اقتبسه حكامها الاولون على الغرار البيزنطي «[2]» غير أنـه بمرور الزمن واتساع رقعة الامبراطورية العثمانية ، حاول العثمانيون الاستفادة من فكرة (الخلافة) وأصبحَ سلاطينهم (خلفاء) للمسلمين لا سيما بعد ما أشيع أن الخليفة العباسي نقل رسميا منصبه للفاتح (السلطان سليم) وقدم له رمزا لهذا النقل الآثار المقدسة ، التي كان يعتقد أنها من أيام النبي ، كالبردة التي كان يلبسها العباسيون فى بغداد فى مناسبات الاحتفال الرسمي وبعض شعرات من لحيته وسيف الخليفة عمر (رض) «[2]» •

---

١ ــ بروكلمان المصدر السابق •

٢ ــ الاتراك العثمانيون وحضارتهم كارل بروكلمان المصدر السابق •

٢ ــ الخلافة توماس أرنولد المصدر السابق •

وواضح من دراسة تاريخ الامبراطورية العثمانية لا سيما فى عهدها الاخير بأن الدولة العثمانية حاولت الاستفادة من مركز (الخلافة) لا سيما بعد أن أصبحت امبراطوريتها ، تمتد من حدود النمسا الى بلاد العجم ، ومن البحر الاسود الى الخليج الفارسي ، وأنها تضم فى حوزتها أكثرية بقاع العالم الاسلامي . ولقد أشارت الاحصائيات الرسمية العثمانية الى أن عدد السكان الخاضعين للدولة العثمانية أيام السلطان عبد الحميد الثاني زهاء (٤٣ مليون) نسمة ، منهم (٢٥ مليون) مسلم و (١٥ مليون) مسيحي ، والباقون من الديانات والطوائف الاخرى «٣» .

لقد بينا فى الفصل السابق ، علاقة العثمانيين بالخلافة ، وكيف أنهم حاولوا الاستفادة منها لتوطيد أركان دولتهم ، فليس من شك في أن اعتقاد المسلمين بالخلافة العثمانية ، قوى نفوذ الدولة العثمانية وسهل حكمها تسهيلا كبيرا «٤» .

وسنحاول فى هذا الفصل أن نعطي القارىء فكرة عن (نظام الحكم) فى الدولة العثمانية للوقوف على القوى التي كانت تسير شؤون الدولة ، كي يسهل علينا بالتالي تلمس الاسباب التي أثرت تأثيرا كبيرا فى التربية والتعليم فى الاقطار الخاضعة للامبراطورية العثمانية ومنها العراق وسنقصر بحثنا في الكلام عن ما يأتـي :

أولا — السلطان

هو رئيس الدولة الاعلى ، خليفة المسلمين ، الذي افترض فيه أنه كان يحكم بحسب أحكام الشريعة الاسلامية ولا عجب اذا كانت له من السلطة المطلقة على رعاياه ، فقد كانت الدولة تعتبر من الوجهة النظرية ملكا خاصا به ،

---

٣ — عبد الحميد : ظل الله على الارض الدكتورة ألما وتلن ترجمة راسم رشدي القاهرة ١٩٥٠ .

٤ — البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق .

أما السلطة السياسية فقد انحصرت به كلها نظريا أيضا . فان القانون الاساسي العثماني الصادر عام ١٨٧٦ نص على :

(ان السلطنة السنية هي بمنزلة (الخلافة الاسلامية الكبرى) وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها ، وان حضرته ، مقدس غير مسؤول) .

وفي الواقع أن أعمال السلطان كانت تبدو مقيدة ـ بصورة نظرية ـ بأحكام الشريعة الاسلامية ، الا أن رجال الدين ، قلما كانوا يتأخرون عن ايجاد الاحكام واصدار الفتاوى التي تخدم مآربه وتضفي على أوامره وتصرفاته ، صفة شرعية «٥» .

وعلى الرغم من كون كثير من السلاطين العثمانيين ، مثالا للظلم والسفه والاستهتار والتبذير «٦» . فان دعاياتهم أثرت في عقول الملايين من الاتباع البسطاء الذين لم يكونوا يعرفون حقيقة هذه الشخصية (الجبارة) التي أحاطت نفسها بهالة من التقديس والتعظيم على غير حقيقتها ، حتى أن من يطالع التاريخ العثماني ، حول هذا الموضوع يأخذه العجب حين اطلاعه على الصورة التي كانت تعطى (للسلطان) القابع في قصر يلدز ، صورة مثلى للحق والعدالة والتمسك بأهداب الدين الحنيف ، ومن نماذج البروتوكولات التي يعطيها (أحمد فريدون بك) كألقاب (لبادشاه الاسلام) هذا النموذج ....

(الجالس على عرش السلطنة الجليلة ، اللابس حلى العدل والصلاح حارس حدود الاسلام ، فارس حرب الانتقام ، أقوى سلطان وأعدل وأشرف خاقان ، فاتح أبواب السعادة للبشر ، معطى أنواع العطايا في الغرب والشرق ، أزهد السلاطين في القول والعمل أكمل الخاقانات في العلم والفضيلة (أدام الله القدير ادارته ومملكته . ومجد الله معاونيه ومساعديه ، كما أجل في حرمته أبدا ودائما حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو الحميد المجيد) صاحب

---

٥ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية المصدر السابق .

٦ ـ فلسفة الحكم العثماني محمد جميل بيهم بيروت ١٩٥٤ .

الجلالة ، منزلة الخلافة) .

ومهما يكن الامر فان ازدياد حدة التهديد الموجه الى النفوذ العثماني فى الاقاليم غير التركية أخذ يعمل بدرجة كبيرة على تقوية الميل الى تأكيد السلطة الدينية للسلطان بصفته (حامي حمى المسلمين) جميعا وان الداعين لهذه الفكرة يرون أن السلطة مستمدة من الجماعة الاسلامية وليست ملكا لفرد ، فارادة الشعب وحدها هي التي رفعت السلطان الى مرتبة الخلافة «٧» .

ولكن هذه المحاولات لم يكن فى مقدورها أن تعالج نواحي الضعف وتشفي العلل الباطنة الكامنة فى نظام الامبراطورية العثمانية ، حينما أخذت هذه تسير فى طريق الانحلال ، وأوضحت أول أزمة تعرضت لها أن الاعتراف بدعوى الزعامة الروحية التي ظن انها تتجسم فى المنصب الخليفي للسلطان العثماني ، ليس سوى اسطورة . وهكذا وبمرور الزمن اشتد الاعتقاد بأن متعلقات الخلافة تتناقض مع حكومة دستورية مسؤولة أمام جمعية وطنية ، لان جو الخوف والاحترام الذي كان يحيط بالشخصية التي تحمل اسم الخليفة العظيم ، كان يتوجب نحوه الطاعة العمياء ، وكان يعرض وزراءه لخطر الاستقالة في كل لحظة «٨» .

وفى الوقت الذي كانت فيه البلاد العربية ترزح تحت طائلة الحكم العثماني وتتعرض لمظالم الولاة الاتراك لانهم يطالبون بحقوقهم المشروعة من الحرية والعدالة والمساواة . كان الاتراك أنفسهم مهتمين بمعالجة الوضع السياسي فى بلادهم خاصة ، وفى يوم ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ ، أعلنت الجمعية الوطنية التركية ، خلع السلطان محمد وحيد الدين ، كما قررت في اليوم التالي ، انتخاب ابن عمه (عبد المجيد) خليفة جديدا . ومما يجدر

---

٧ — الدولة والنظم الاقتصادية فى الشرق الاوسط الفرد بونيه ترجمة الدكتور راشد البروي القاهرة ١٩٥٠ .

٨ — الخلافة لمصدر السابق .

ذكره ، أن النقاش فى جلسة انتخابه ، دار حول صلاحية الخليفة الجديد وشمول خلافته وصلاته بالعالم الاسلامي وقررت الجمعية أن هذا المنصب لم يكن سوى شيء رمزي ليس لصاحبه قدرة على اتيان أي عمل بالنسبة للمسلمين وهكذا جرد صاحب المقام الجديد من كل سلطة حقيقية واختصاص فى قضايا البلاد السياسية والادارية ، ولو أنه كانت قد خلعت عليه بردة الرسول الاعظم، كما كان يجري لاجداده ، ولكنه حرم هذه المرة من قوة السيف وخلافا منهم ، لم يذهب الى جامع ابي أيوب الانصاري ليتمنطق بسيف مؤسس البيت العثماني ، حتى اذا جاء شهر آذار فى سنة ١٩٢٤ ، تم الغاء الخلافة ، ونفى آخر سلطان عثماني حمل هذا اللقب القديم .

ثانيا ــ الصدر الاعظم

قلنا أن السلطة السياسية كانت قد انحصرت نظريا وعمليا ، فترة طويلة من الزمن فى يدي السلطان ، ولم يكن يساعده الا مستشاره الاول الذي هو (الوزير) غير أنه بحكم نمو الامبراطورية العاجل، أصبح منصب الوزير هذا ، منصبا خطيرا راحت تتعاظم اهميته مع الايام .

فعندما أصدر السلطان محمد الثاني (١٤٥١ ــ ١٤٨١ م) (قانون نامه عثماني) سمي الوزير باسم (الصدر الاعظم) بل جعله وصيا فعليا على الامبراطورية . فقد نصت الفقرة الاولى منه على ما يلي :

(ليعلم أولا أن الصدر الاعظم هو رئيس الوزراء والامراء ، انه أعظمهم جميعا ، وصاحب الصلاحية المطلقة فى ادارة شؤون الدولة .... وللصدر الاعظم فى حركاته وسكناته وفى قيامه وقعوده ، حق التقدم على جميع موظفي الدولة) «٩» وكان مفروضا فيه بوصفه معتمد (البادشاه) المطلق الصلاحية أن يسيطر على فروع الادارة كلها وأن يقطع فى شؤون الدولة جميعا وفي مسائل الحياة والموت أيضا وكان الصدر الاعظم يحمل الخاتم الامبراطوري والطغراء السلطانية رمزا الى ما يتمتع به من قوة ونفوذ .

---

٩ ــ الاتراك العثمانيون وحضارتهم المصدر السابق .

ويبدو أن منصب الصدارة هذا كان فى بداية العهد العثماني يسند الى الاكفاء من الرجال ، الا أنه تغير الحال فيما بعد ، اذ كان هذا المنصب لا يسند الا الى الوزراء الذين يثبتـون لياقتهم بالكفاءة والاخلاق ، الذين تولـوا المناصب الكبرى تباعا غير أن حضرة السلطان (سليم خان) حاد ، عن هذه القاعدة الثمينة ، عندما وجه هـذا المنصب الـى (رئيس غرفته الخاصة) (ابراهيم أغا) • ونظرا لان السلطان المشار اليه كان هو القيم على الدولة ، وما الوكلاء الا آلات بيده لذلك لم يظهر أي أثر سيىء فى زمانه ، عن تولي الصدارة ، رجل غير أهل لها ، غير أن الضرر لم يلبث أن ظهر من بعد جلالته حينما أخذ خلفاؤه يحذون حذوه فى نصب من يشاؤون على الوزارات مـن الشبان الذين لم تسبق لهم تجارب ولم يعرفوا شيئا من اصول الحكم ، وكان هؤلاء اعتزازا منهم بما كسبوا من اقبال الحضرة الشاهانية يتصرفون بالاحكام على أهوائهم دون الرجوع الى أهل المعرفة ودون الاستناد الى القانون «[١٠]» •

ولقد أحصى الاستاذ محمد جميـل بيهم ، الرجال الذين تولوا منصب الصدارة العظمى فى الدولة العثمانية ، فوجـد أن (٢٣) منهم كانت مهنهم السابقة ، تنحصر ما بين خادم ومربي وسائق ومأمور دواة وبستاني وجندي ، فضلا عما وجده من الضباط والرجال العسكريين • ولقد بلغت الحال درجـة من التدهور حتى تولى هذا المنصب ، الجهلة والاميون •

ولقـد كان مقر الصدارة العظمى ، فى قصر فخم كان السلطان سليمان القانوني بناه وأطلق عليه اسم (الباب العالـي) ذلك (الباب) الذي أصبح المرجع الاعلى فى جميع شؤون الدولة ، داخلية كانت أم خارجية ، مدنيـة ، أم عسكرية • وقد ظل شأنه كذلك الى بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩ م) حيث قام بتسريح مجلس (المبعوثان) سـنة ١٨٧٨ م وقبض بيده على هذه الشؤون وأصبح ديوانه الخاص فى (قصر يلدز) المرجع

---

١٠ — فلسفة الحكم العثمانى المصدر السابق •

الاعلى دون الباب العالي ، وقد أطلق على هذا الديوان لقب (المابين) الذي صار صاحب الحل والعقد (تحت اشراف السلطان) وتحمل تبعات فعالة في الحكم ، وهكذا انتقل مركز ادارة الدولة عمليا من الباب العالي الى سراي يلدز «١١» .

ومن هذا الوضع المزري فى ادارة دفة السلطنة ، يبدو جليا انعدام الاحساس نحو الدولة ، وعدم توافر شعور الواجب نحو الجماعة ، فلا عجب أن لاحظ (بركهاردت) هذه الحالة ووصفها بقوله «١٢» ...

(يطلب الباب العالي الموارد ولا شيء سواها ، ولكي يتسنى للباشا ، اشباع هذه الحاجة نراه يعمد الى ارهاق الشعب ويضع على عاتق جده ، ونشاطه الاعباء الثقال ، أما الذي يريد خيرا بشعبه ويقنع بالايراد العام ، ويجعل الغلبة فى مجالسه للعدالة ، فانه يجلب على نفسه دون ريب سخط مليكه ، لا لانه عادل ، وانما لان عدالته تمنعه من النهب ومن نقل جانب مما نهب الى الديوان . ولكي يبقى على نفسه ليس له الا أن يسلم فى صمت رعاياه البائسة الى عصا مستبد يخلعه أو أن يرفع راية العصيان وينازل غريمه الى أن يرى الباب العالي من صالحه أن ينتظر سنوح فرصة أصلح ما دام قد اقتنع بعجزه عن عزله هذا الوالي) .

ومع كل هذه الفوضى ، فقد برز بين من تولوا منصب الصدارة العظمى رجال عظام ، بذلوا جهودا جبارة فى السير نحو الرقي والتقدم ، ونذكر منهم بالتقدير والاعجاب (مصطفى رشيد باشا) الذي تولاها زمن السلطان عبد المجيد خان ، صاحب التنظيمات الخيرية ، و (فؤاد باشا) الذي تولاها أيام السلطان عبد العزيز و (أمين عالي باشا) وكان آخر الرعيل ، ابو الاحرار (احمد مدحت باشا) الذي حاول جاهدا ايقاف طغيان السلاطين ، وخدمة

---

١١ — المصدر السابق

١٢ — الدولة والنظم الاقتصادية فى الشرق الاوسط المصدر السابق .

امته بالحد من سلطتهم شأنه فى ذلك شأن أضرابه وقد وضع برنامجا اصلاحيا هاما نثبته لاهميته وعلاقته بموضوع الكتاب بما يلي :

١ — رفع الفوارق بين جميع القوميات التي تتألف منها الدولة وايجاد وحدة وثقى ٠

٢ — اطلاق الحرية لجميع أفراد الشعب وجعلهم متساويين فى الحقوق والواجبات ٠

٣ — اصلاح جهاز الدولة واقصاء من يشتبه فى اخلاصه ونزاهته ٠

٤ — رفع مستوى البلاد عمرانيا وثقافيا واقتصاديا وادخال أسباب التمدن والحضارة اليها ٠

٥ — القضاء على الامية وجعل التعليم اجباريا ٠

٦ — منح الحكم الذاتي اللا مركزي الى جميع الولايات واعطاء الولاة صلاحيات واسعة ٠

٧ — اقتباس المبادىء والنظم الاوربية مع الاحتفاظ بالعادات والتقاليد الاسلامية ٠

٨ — اقامة الحكم الدستوري والقضاء على الحكم المطلق الذي هو العلة الحقيقية لفساد المملكة واستبداد الطبقة الحاكمة «[١٣]» ٠ ولما تولى الصدارة عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦ م أعلن الدستور الذي كان قد أعده من قبل ، غير أن هذا السلطان لم يكن جادا فيما فعل ، اذ سرعان ما رمى بالدستور جانبا ، وكتب على واضعه أن يعيش مشردا بعيدا عن بلاده ومن ثم يقضى على حياته غيلة وغدرا ٠ غير أن هذا السلطان نفسه اضطر بعد ٣٢ عاما أن يعلن الدستور ثانية عام ١٩٠٨ م ولكن الفوائد من هذا النشر لم تكن ملموسة بالنسبة للعراق اذ سرعان ما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م حيث انطوت بعدها آخر صفحة من صفحات الحكم العثماني فيه ٠

---

١٣ — مدحت باشا صديق الدملوجي بغداد .

ثالثا ـ رجال الدين

لقد خضعت الهيئات القضائية والدينية كلها ، بعد السلطان سليم الاول الى سلطة مفتي استانبول بوصفه (شيخ الاسلام) . أما قبل هذا التاريخ فقد كان (قاضي العسكر) رأسا للهيئة القضائية . فقد كان السلطان (مراد الاول) أول من أحدث هذا المنصب ، غير أن السلطان (محمد الثاني) والسلطان (سليم الاول) أقاما الى جانب (قاضي العسكر) قاضيين آخرين هما (قاضي اوربا) و (قاضي أفريقيا) .

ان سلطة (قاضي العسكر) كانت تتعدى الشؤون العسكرية الى القانون المدني برمته . وكان ترتيب هؤلاء القضاة فى المقدمة ويأتي بعدهم العلماء الكبار وهم قضاة العاصمة وعواصم الولايات ثم العلماء الصغار ، الذين كانوا يتولون القضاء فى عشر مدن ثانوية من مدن الولايات . أما قضاة الدرجة الثانية وما دونها فكانوا على ثلاث طبقات ، هم (المفتون) و (القضاة) و (نواب القضاة) . ولقد كان القاضي هو صاحب السلطة القضائية العليا فى منطقته حيث يقضي وفقا لمبادىء الشرع الحنيف .

وكان جميع هؤلاء خاضعين الى سلطة (مفتي استانبول) الذي ظل حاملا هذا اللقب حتى عام ١٧٤١ م اذ استبدله السلطان (محمود الاول) بلقب (شيخ الاسلام) فى تلك السنة، أي أنه اصبح كبير رجال الدين قاطبة «[١٤]» .
ومهما يكن من شىء فان سلطة شيخ الاسلام هذه ، كانت سلطة (نظرية) بالكلية ، فقد كان عليه أن يفتي فى ما يرفع اليه من المسائل القضائية ، ولكنه لم يكن يملك القوة على انفاذ فتواه «[١٥]» .

ومع كل هذا فقد ثبت السلطان (محمد الثاني) والسلطان (سليمان) هذا المركز الديني وجعلاه على رأس الادارة برمتها ، كما أصبح السلاطين

---

١٤ ـ العرب والترك محمد جميل بيهم بيروت ١٩٥٧ .
١٥ ـ بروكلمان المصدر السابق .

فيما بعد ، شديدي الحرص على تأييد سلطة (شيخ الاسلام) اذ كانوا يفزعون الى استغلالها والافادة منها كلما حزبهم أمر أو ألمت بهم أحوال سياسية عسيرة «[١٦]» . فقد مر بنا أن أعمال السلاطين باعتبارهم خلفاء للمسلمين، مقيدة بأحكام الشريعة الاسلامية الا أن رجال الدين قلما كانوا يتأخرون عن ايجاد الاحكام واصدار الفتاوى التي تخدم مآرب السلاطين والادلة على ذلك كثيرة ونعطي القارىء نموذجا من تلك الفتاوى ليأخذ فكرة عن تلك الاحكام :

١ — الفتوى التي تنص على (جواز بل وجوب قتل جميع اخوة السلطان الجديد ، يوم اعتلائه عرش السلطنة منعا لحدوث فتنة فى المستقبل) .

٢ — الفتوى التي أجازت للسلطان (سليم الاول) حرب المسلمين في مصر .

٣ — الفتوى التي أجازت للسلطان (سليم الاول) قتل جميع الشيعة الموجودين فى البلاد العثمانية ، باعتبارهم (مرتدين عن الاسلام) «[١٧]» .

ومن يرد التوسع فى مثل هذا الموضوع فان التاريخ العثماني ملىء بالامثلة ، وهي ترينا مقدار (صحة تمسك) السلاطين بالدين ومقدار (قوة) ممثلي الدين الحنيف لا سيما فى العصور المتأخرة فلقد رأينا كيف أصبحت الدولة تلجأ الى وساطتهم فى كثير من الامور وتسعى الى استرضائهم فى شتى المناسبات ، وصار أصحاب المطامع يسعون وراء اغرائهم لتحقيق أغراضهم الخاصة .

ولما ولي السلطان عبد الحميد الثاني شؤون السلطنة ووقف على ما كانت عليه الامبراطورية العثمانية . من ضعف وارتباك فى الداخل والخارج ورأى سوء المصير الذي ينتظرها ، استقر فى ذهنه أن لا منجاة للدولة الا

---

١٦ — البلاد العربية والدولة العثمانية المصدر السابق .

١٧ — البلاد العربية والدولة العثمانية المصدر السابق .

بالقوة فكيف يحرزها وهو على رأس شعب ثلاثة أرباعه ، أعداء له وخصوم للدولة ؟ ! عند ذاك جنح الى الاستفادة من (الخلافة) والاستعانة بالمسلمين وذلك بالدعوة الى (الجامعة الاسلامية) فاستهل مشروعه هذا بالاعتماد على (رجال الدين) والعناية بامور الدراسة الدينية ، وقرب اليه فريقا من علماء الامصار العربية المختلفة وشيوخ الطرق وغيرهم .

لقد أعلن عبد الحميد عن رغبته فى اصلاح الروح أولا ، ثم الجسد ، لانه كان يرى أنه عندما يصبح الاتراك صلباء روحيا ، فيما يتعلق بنظرتهم الى اوربا ، وعندما يستيقظ شعورهم الاسلامي ، وعندما تشتد بينهم الدعوة الى وحدة العالم الاسلامي ، عندئذ فقط سوف يسمح بأن يصبح (العصر الحديث) حقيقة واقعة بالنسبة لتركيا .

لقد جعل أول واجباته التقليل من أهمية الاختراعات الحديثة فى نظر رعاياه ، وحمايتهم من اغراء طرق الحياة الاوربية ، وكأنها الشيطان ذاته . وهكذا ومن معتكفه فى يلدز ، أذاع صيحته الكبرى «١٨» (أيها الاسلام استيقظ) فعم انتشارها أرجاء الامبراطورية ، ولم ينقصه الدعاة ، ففي القسطنطينية وحدها كان يعيش اكثر من أربعين ألفا من طلبة المعاهد الدينية الاسلامية «١٩» . ولكن الوقائع قد دلت على أنه فى الوقت الذي كان عدد رجال الدين يكثر ويتزايد ونفوذهم يشتد ، كان مستواهم العلمي ينحط وثقافتهم الدينية تتردى بصورة سريعة وقد صارت تنتشر بينهم ضروب من التعصب الاعمى وتنتقل منهم الى الناس وتستولي حتى على عقول الحكام والسلاطين «٢٠» .

ولقد جاء فى (غرائب الاغتراب) وصف رائع لحالة بعض هؤلاء ،

---

١٨ ـ فلسفة الحكم العثماني المصدر السابق .
١٩ ـ عبد الحميد ظل الله على الارض الدكتورة ألما وتلن .
٢٠ ـ الخلافة المصدر السابق .

وليس أصدق من المغفور له العلامة أبي الثناء الالوسي وهو يصف لنا ما رآه فى استانبول حيث يقـول ....

(والطلبة هناك على ما يقولون اثنا عشر ألف أو يزيدون ، ويقرأون عند الشيخ محلقين ، واذا طفت بهم رأيت اكثرهم مقصرين وربما يختم الدرس والكثير منهم نائم ، أو ينقضي الامر وهو فى بيداء التخيلات هائم ، الشيخ بينهم على منصة ارتفاعها نحو ركبة وبين يديه تخنة منقوشة بالصدف عليهـا كتبه ، وربما يصفعها اذا حمي الوطيس ويلطمها اذا اشتدت حرارة التدريس).

ثم يصف لنا حال المدرسين فيقول ....

(ومعظم المدرسين فى غاية الاستكبار والانانية ، ولولا خوف قطـع وظائفهم ، لاعلنوا بدعوى الربوبية ، وقد شممت من غير واحد منهم فـي حق علي (كرم الله وجهه) تتن الانفاس وهم على عكس الكتبة الذين فى حضرة الامير غايـة الاختصاص) و (يقابل المدرسين فى الاستكبار ، الواعظون ، ومعظم المستمعين ، ما عدا النساء ، يضحكون ، لذا انحطت رتبة الوعظ هناك بالمرة فكانت بين العلماء أهون من عفطة عنز بالجرة !!) ثم يصف رحمه الله بالصفحة ١٩١ ما رآه فى بعض المتشيخين اذ يقول ....

(وقد رأيت شرب المتشيخين الخمر لا يحط من مقدارهم . ومن الجهلة من يعتقد أن شربهم الحشيش يظهر درر اسرارهم وبالجملة لا سلعة أنفق من المشيخة فـي استانبول . وأنها فخ عظيم يصطاد به كل مأمول . وكم مـن فرق بين قفاص وقناص ، وما أظن ذلك الاعتبار الا من حسن اعتقاد أهل تلك الدار ، مـع أن معظمهم غريـق بحر أمانيـه والغريق يتشبث بالحشيش أو ما يحاكيـه !).

وحيل المتشيخين على اختلاف طبقاتهم مما تخفى حتى على ابليس وهي رأسمالهم ، أثروا به حتى أوثروا على أرباب التدريس ، وتلك علة قديمة ، والعياذ بالله عظيمة، وقد ساعد على بقائها فى العالم عدم سماع كلام العالم فيها).

وليس لنا الا أن نختم هذا البحث بما كتبه سيادة الاستاذ الكبير محمد بهجت الاثري فى هذا الخصوص اذ يقول «٢١» ....

(ما كاد ينطوي القرن الثالث عشر بما فيه حتى آل الامر الى بعض السلاطين الذين كان من سياستهم ارضاء المشعبذين بالدين ، واستدناؤهم منهم ، ليحولوا جماهير العوام اليهم ، فيقوى بهم ضعفهم ويشتد ساعدهم ، وينبسط سلطانهم ، فيستمتعوا بشهواتهم ويتذوقوا لذة الاستفادة من غفلتهم ، فحاربوا العلم وساعدوا الجهل فظهرت دجاجلة الطرق ، والملبسون متظاهرين بالدين ، يبثون روح الفساد ، ويغررون بالعامة ، ومن ورائهم السلطة تؤيدهم وتعزز دعوتهم ، حتى تم للسلطان ما أراد ... وعظم سلطان الشرك والرياء ، حتى صار المتدين فى نظر الناس من يضرب بالدف ويرقص فى (حلقة الذكر) والعالم من يطيل الذقن ويكحل العين ويكبر الردن !!

رابعا — ادارة الولايات

اختارت السلطنة العثمانية في صدرها الاول أساليب الحكومات الاسلامية السالفة فى طريق الحكم والادارة وذلك على أساس لا مركزي واسع يشبه استقلال كل قطر فى ادارة نفسه وفقا لاجتهاد عامل السلطان وأهل شوراه ومن يعتمد عليهم من أهل البلاد ، وقد ظلت السلطنة تجري على هذه الصورة ، اذ كانت تعتمد على الامراء من الضباط وغيرهم .

فلقد كان العثمانيون عندما يستولون على قطر من الاقطار يحصون القرى الموجودة فيه ، ثم يقسمونها الى مقاطعات مختلفة ما بين صغيرة وكبيرة فيمنحون الصغيرة منها الى الجنود المحاربين والكبيرة الى القواد والامراء . وذلك بعد أن يخصصوا طائفة من المقاطعات الكبيرة الى السلطان نفسه ، غير أن هذا المنح لم يكن يعني تمليك الاراضي والمقاطعات للمنوحة لهم ، انما كان يعني ذلك المنح تفويضهم ، حق جباية الاعشار وسائر الرسوم والضرائب

---

٢١ — أعلام العراق محمد بهجت الاثري — القاهرة . ١٣٤٥ هـ .

المترتبة عليهـا ، على أن تبقى تلك الاراضي تحت تصرف مالكيها شريطة أن يدفعوا الضرائب الى صاحب المقاطعة أو من يوكله لتسلمها «٢٢» . وكان على المقطع له لقاء ذلك أن يقدم الى الجيش عددا مـن الفرسان المحاربين ، وأن يجهزهم بكل ما يحتاجون اليه من أسلحة وخيول وذلك بنسبة فارس واحد عن كل خمسة الاف آقچة «٢٣» . من حاصل المقاطعة ، وعلى هـذا الاساس قسموا المقاطعات الى ثلاثة أنواع هي ...

١ ـ تيمار ـ وهي المقاطعة الصغيرة التي يقل واردها عن (٢٠٫٠٠٠ أقچة) .

٢ ـ زعامت ـ وهي المقاطعات التي يتراوح واردها ما بين (٢٠٫٠٠٠ ـ ١٠٠٫٠٠٠ أقچـــة) .

٣ ـ خاص ـ وهي المقاطعة التي يزيد واردها على (١٠٠٫٠٠٠ اقچة) وقد كانت هذه الاقطاعات العسكرية تنتظم فى (ايالات) والايالات في (سناجق) وكل (سنجق) يضم مقدارا من الـ (تيمارات) والـ (زعامت) ات .

وكان يعهد بشؤون الايالة الى (باشا) يسمى (بگلربكي) بمعنى (بك البكوات) ويعهد بشؤون السنجق الى (بك) يسمى (سنجق بكي) أي بك اللواء . وكان بك السنجق يعتبر مرجعا لجميع التيمارات والزعامتات الداخلة فى حدود لوائه بينما كان باشا الايالة يتصرف بالخاص المخصص لـ (سـنجق باشا) فاذا ما طلبت الدولة مـن هؤلاء تسفير الجيوش للحرب فى جهة مـن الجهات ، جمع (بك السنجق) الخيالة المسؤول عن أعدادهم وتوجه بهم الى حيث يأمره باشا الايالة «٢٤» .

---

٢٢ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق .

٢٣ ـ آقچة : نقد تركي صغير و (معناها مائلة للبياض) وان كل ثلاثة اقچات تساوي بارة واحدة الخ (راجع كتاب النقود . يعقوب سركيس . بغداد ١٩٥٠) .

٢٤ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق .

ان هذا النظام ، ان كان قد ثبت للتجارب فى موطن العثمانيين الاصلي فانه قد أصاب الفساد فى الامبراطورية المطردة الاتساع . فلقد اضطر السلطان فيما بعد أن يترك (للبكلر بكوات) أي الى امراء الايالات ، أمر اقطاع الاقطاعات الصغيرة على أن لا يزيد دخلها عن ستة الاف أقچة ولكن الباشوات لم يحجموا عن اقطاع أتباعهم الخصوصيين ، والعبيد ما فى حوزتهم من (التيمارات) «[٢٥]» .

وقد حاول السلطان سليمان أن يضع حدا لهذه المساوىء بواسطة (قانون نامه) الذي أصدره سنة ١٥٣٠ م ، فنزع من أيدي الباشاوات حق الاقطاع التحكمي ، اذ تعين عليهم أن يقدموا شهادة بالرجل الذي يرغبون فى اقطاعه الى (الباب العالي) الذي من حقه اصدار (البراءة) أو عدم اصدارها، وقد فتح سجل خاص بمثل هذه الاقطاعات ، ومع كل ذلك فان هذا القانون لم يوفق فى استئصال شأفة المساوىء المستحكمة ، اذ اهمل كثير من الباشوات أمر الحصول على موافقة (الباب العالي) وذلك هربا من الضرائب المفروضة ، هذه الضرائب التي كانت تزاد فى أحيان كثيرة ، تحكما واعتباطا ، وفقا لاهواء موظفي الباب العالي .

ويظهر مما تقدم ان أمراء الالوية والايالات ، كانوا يجمعون بين أيديهم السلطتين ، المدنية والعسكرية، فكانوا بمثابة (ولاة حكم) و (قواد جيش) . ويبدو كذلك أن هؤلاء وسائر الموظفين ما كانوا يتقاضون من خزينة الدولة ، رواتب مقننة ، انما كانوا يتقاضون الضرائب والتكاليف المخصصة لوظيفتها ، فلا عجب ان فشت الرشوة وزادت المظالم . ولعل فى ما خلفه لنا السائحون خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر من التقارير ، خير دلالة على استفحال الشر ، فقد جاء فى تقرير منها ما نصه ... (فبمجرد أن يصبح الانسان وزيرا أو واليا يهرع الى بابه ، أقاربه ، وأقرباؤهم الخاملون من أهل القرية التي نشأ فيها يلتمسون رعايته ، انه لا يمنحهم أجرا ، ولكنهم يحصلون

---

٢٥ ــ كارل بروكلمان المصدر السابق .

على فضلات مطبخه ، وعلى البقشيش من زائريه أو أرباب الحاجات . واذ تسنح الفرصة يجعل منهم قضاة أو شرطة أو ولاة على القرى أو يتخذهم في خدمته الخاصة حسبما تسمح الوظائف الشاغرة ، واذ يصبح امرؤ في خدمة كبير ، بالرشوة أو الشراء ، سواء كان خادما أم عبدا فانه يدخل منذ ذلك الوقت في خدمة العامة ، ثم يسعي الى الارتقاء عن طريق السرقة أو الرشوة) «٢٦» .

وقد ظل نظام الاقطاع هذا ساري المفعول وفساده يستشري اذ تحول الى عامل من عوامل ، خراب الامبراطورية منذ استحكم الخلل في ادارة الدولة الرئيسية في العاصمة . فقد شرع (خسرو باشا) الذي تولى منصب (امارة الامراء) في سلطنة سليمان القانوني ، شرع بتوجيه الاقطاعات للعسكريين بالرشوة . ونهج خلفاؤه نهجه ، ثم تجاوزه الى أبعد الحدود حتى ضاق الناس ذرعا بذلك .

الا أن الامور سارت من سيىء الى اسوأ لا سيما بعد أن أصبح هم (الباب العالي) جمع المال بأية صورة من الصور وهكذا وفي زمن الصدر الاعظم رستم باشا راحت الدولة تسند ادارة الامصار الى الملتزمين الذين يؤدون المال الاوفر ، دون الالتفات الى مؤهلاتهم وصفاتهم ، وكان الضمان أو الالتزام هذا ، يجري على طريقة المزاد ، لكنه مزاد صوري ، لان الوزراء هم في الواقع شركاء الملتزم ، فلا عجب ان كان الملتزمون يستلفون الاموال من مصارف (غلطة) باستانبول بربا فاحش بغية تأمين الرشوة للمتنفذين ، حتى اذا بلغوا مقر ولايتهم تفننوا بأساليب ابتزاز الاموال أيما تفنن «٢٧» .

وقد أراد السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥ م) أن يضع حدا لهذا الجور ، فقرر أن يكون تلزيم الولايات طيلة الحياة رغبة منه في أن يرى الضامن

---

٢٦ — الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الاوسط المصدر السابق .
٢٧ — فلسفة الحكم العثماني المصدر السابق .

الجديد ، ان مــن صالحه ، معاملة الرعية بالعدل والاحسان تحسينا لموارده الدائمة ، ولكن هــذا النظام زاد الطين بلــة اذ ساعد على استئثار الملتزمين واستبدادهم وشجعهم على الخروج ضد السلطنة فى سبيل الاستقلال التام .

ثم قامت الدولة فيما بعد باتخاذ بعض الخطوات الاصلاحية لا سيما فى منتصف القرن التاسع عشر ، عندما أصدرت (خط گلخانة) ومن ثم (منشور التنظيمات الخيرية) فكان من نتيجة ذلك الغــاء بعض ضروب الالتزام وسن القوانين الادارية والمدنية ، ومنها قانون الولايات الذي فصلت فيه بين القوانين العسكرية والمدنية الى غير ذلك من علامات الرغبة فى الاصلاح .

وقد حاولت هذه التنظيمات الخيرية محاربة الفوضى الناتجة عن نظام الاقطاع . فحددت سلطة الولاة لكنها فى هــذا السبيل غالت فى المركزيــة فانتقلت من الافراط الى التفريط ، تلك المركزية التي صارت تزداد تشددا سنة بعد اخرى ، حتى أصبحت (المركزية واللامركزية) مطلبا مــن المطالب السياسية فيما بعد . ثم ساءت الامور فى عهد السلطان عبد الحميد الثاني لا سيما بعد تعطيل المجلس ، وتعليق القانون الاساسي ولذلك لم يكن جهاز الدولة العــام بمنجاة من هذه الفوضى ، بل كان من الطبيعي أن يتأثر بها تأثرا شديدا فينحدر نحو مهاوي الخلل والفساد ، لان خصال العفة والاستقامة والمعرفة والمقدرة وحسن الخدمة لم تعد تعتبر من مؤهلات التوظيف والترقية ، ولذلك انتقلت معظم المراكز الرئيسية فى عاصمة الدولة الى أيدي المرتشين الجشعين وتحولت بعض الدوائر والوزارات الى أسواق تبتاع وتشتري فيها الوظائف والرتب والاوسمة والامتيازات على أيدي السماسرة والوسطاء . **وقد أصبح الولاة** يشترون وظائفهم من السلاطين بالمال اذ كانوا يتعهدون بدفع المبلغ قبل الذهاب الى ولاياتهم التي عينوا فيها . لذلك كان همهم الاول جمع المال بسرعة قبل أن يعزلــوا «٢٨» .

---

٢٨ ـ خلاصة تاريخ العراق . الاب انستاس الكرملي . بغداد . ١٩١٩ .

ومن الطبيعي أن هذا الفساد الذي كان بارزا فى العاصمة لابد أن يكون صداه أكبر فى الولايات البعيدة عن (الباب العالي) فقد كانت الادارة في العراق على اسوأ ما تكون لا سيما فى العهد الحميدي ، وان من يرد وصف تلك الادارة لا يجد فيها ما يذكره من المحاسن ، فالمناصب كانت تمنح لغير مستحقيها وكان القانون يتضاءل أمام رغبات المتنفذين ، وكانت المحسوبية والوساطة ، أمضى سلاح للتقدم ، أما الرشوة فكانت طابعا ملازما لكثير من الموظفين ، بدونها لا تنجز مهمة ولا تنتهي قضية . بالرشوة كان الامي يعين فى المناصب الكبرى ، والشرير فى دوائر الشرطة ، والجاهل فى الوظائف القضائية والثقافية ، وبالرشوة كان الظالم يكسب دعواه الباطلة فى المحاكم ، والكسالى يحصلون على رتب الباشوية والاوسمة . والرئيس يتغاضى عن تلاعبات مرؤوسيه وسرقاتهم ولا يظنن القارىء أن الحكومة كانت خالية من الموظفين الاخيار والحكام النزيهين والولاة المنصفين ، كلا ، بل كان هنالك الكثيرون منهم ولكن الوضع ينطبق عليه المثل العامي (يحترق الاخضر بسعر اليابس) «٢٩» .

وما دمنا فى بحث العراق لابد لنا من الاشارة الى المناطق الريفية العشائرية وعلاقتها بالادارة . فقد كانت الحكومة العثمانية تترك هذه المناطق عادة خارج الترتيبات الادارية وتترك ادارة شؤونها بيد رؤسائها وامرائها وفقا للتقاليد العنعنات المتعارفة بينها «٣٠» .

---

٢٩ — فى غمرة النضال مذكرات سليمان فيضى بغداد ١٩٥٢ .

٣٠ — البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق .

الولايات العراقية

(العراق «١»)

لقد مر تقسيم العراق الاداري فى ظل الحكم العثماني بعدة أدوار . فعندما استولى السلطان سليمان القانوني على بغداد قسّم ايالتها الى (١٧) سنجقا ، وقد وهب منها سبعة سناجق الى قواده منها . الحلة و (سنك أباد) والجزائر والرماحية وجنغولا وقره داغ . وأصبحت بغداد مركز ايالة جسيمة اذ كانت تتألف من بغداد والموصل والبصرة ويحكمها وال منصوب من قبل السلطان .

أما فى أوائل القرن السابع عشر فقد كان العراق مقسما الى ثلاث ايالات وهي :

١ ـ ايالة بغداد : وكانت تنقسم الى (١٨) سنجق (أي لواء) هي : بغداد ، الحلة ، زنكي اباد ، جوازار ، جنغولا ، قره داغ ، الرماحية ، واسط ، السماوة ، بيات ، درنة ، ديالا ، كرند ، دمير قبو ، قزانية ، گيلان ، آل صايح درتنك .

٢ ـ ايالة الموصل : وكانت تنقسم الى ستة سناجق هي :

---

١ ـ جاء تفسير اسم (العراق) فى معاجم اللغة وكتب البلدان العربية ، فقد جاء فى (تاج العروس) مادة (عرق) فى هذا الاسم « العرق جمع عراق بالكسر لشاطيء البحر على طوله » .

وفى معجم البلدان لياقوت (مادة : عراق) قوله (قال قطرب : انما سمي العراق عراقا لانه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر) .

وقال الخليل ـ العراق شاطيء البحر ، وسمي العراق عراقا لانه على شاطيء دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله .

ويرى الاثاري هرسفلد ... ان العراق معرب لفظ (ايراك) الايراني ومعناه البلاد السفلى أو الجنوب (أنظر ص ٤٠ من كتاب بلدان الخلافة الشرقية تأليف لسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد بغداد ١٩٥٤) .

الموصل ، باجوانلو ، هورن ، بانه ، اسكى موصل .

٣ ـ ايالة البصرة : لم تقسم هذه الايالة الى (سناجق) بل كانت خاضعة لواليها فقط «[٢]» .

أما فى اوائل القرن العشرين فقد أصبح العراق الاداري مقسما على الشكل الآتي «[٣]» .

الولاية	سنجق	قضاء	ناحية
بغداد	بغداد	خراسان	شهربان ، الخالص
		الدليم	هيت ، الصقلاوية ، كبيسة
		العزيزية	سلمان باك
		الكوت	ـ ـ ـ ـ
		خانقين	نيكدره ، قزلرباط
		الكاظمية	ـ ـ ـ ـ
		الجزيرة	اعويرج
		مندلى	ـ ـ ـ ـ
		سامراء	تكريت
		عنه	القائم ، حديثة ، جبة الوس
	الديوانية	الديوانية	آل بدير ، الدغارة
		الحلة	ممدوحية
		السماوة	خضر الدراجى ، ابو جوارير
		الشامية	الشنافية

---

٢ ـ جغرافية العراق طه الهاشمي بغداد ١٩٣٦ .

٣ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية الحصري المصدر السابق . لقد جرت تعديلات على هذه التقسيمات نتيجة صدور نظام ترتيب الولايات سنة ١٢٨١ هـ ثم النظام الاخر فى سنة ١٢٨٧ هـ الذي عدل سنة ١٣٣٠ هـ وسنة ١٣٣١ هـ وما تلي ذلك من تعديلات . راجع كتاب العراق بين احتلالين ج ٧ للاستاذ العزاوي .

الولاية	سنجق	قضاء	ناحيـة
		كربلاء	المسيب ، شفاثه ، الرحالية
	كربلاء	الهندية	الـكفل
		النجف	الـكوفة
		الرزازة	ــ ــ ــ ــ
		بدرة	غربية
		الموصل	الموصل ، الشيخان ، العشائر السبعة
		العمادية	ــ ــ ــ ــ
	الموصل	زاخو	سليفاني
		عقرة	سورجى ، عقرة
		الزيبار	دهوك ، مزورى
		دهوك	الزيبار ، شيروان ، مزورى بالا
		سنجار	تلعفر
		كركوك	ملحة ، طوز خرماتو ، التون كوبرى ، كيل ، شوان
	كركوك	راوندوز	راوندوز ، ديره ، بالـك ، برادوست
		كويسنجق	شقلاوة ، كويسنجق
		اربيل	سلطانية ، ديزهى
		الصلاحية	الصلاحية ، قرهتبه
		رانية	ــ ــ ــ ــ
		كلعنبر	كلعنبر ، سروجك ، طائفـة الشيخ اسماعيل
	السليمانية	بازيان	بازيان ، قلعة سيوكة
		معمورة الحميد	معمورة الحميد ، سور طاش بشدر

٤ ــ راجع سالنامة (دولة علية عثمانية لسنة ١٣١٥ هـ) .

البصرة	البصرة	ابو الخصيب ، الفاو ، شط العرب ، الهارثه ، الزبير
	القرنة	٤ نواح
المنتفك	الناصرية	٧ نواح
	سوق الشيوخ	٢ ناحية
	الشطرة	٢ ناحية
	الحي	٥ نواح
العمارة	العمارة	٥ نواح
	دويريج	— — — —
	قلعة صالح	— — — —

أما من الناحية الادارية ، فقد كان العراق (منذ أن فتح السلطان سليمان القانوني بغداد) مستقلا ، استقلالا اداريا ، يقوم بادارته وال مركزه فى بغداد وقد كانت سلطته فى معظم الحالات تمتد الى كافة أنحاء القطر ويغلب عليه لقب الوزير .

ولقد كان الوزير مستقلا بادارة البلاد والجيش مستبدا بحكمه وهو الذي يولي الولاة على سائر المدن المربوطة اداريا ببغداد .

وآخر من كانت (ايالته) تضم ولايات العراق كلها هو الوزير (مدحت باشا) لانه لما جرى عزله سنة ١٨٧٢ م ربطت بغداد بالعاصمة (استانبول) مباشرة وأصبح الولاة لا يقومون بعمل الا بأمر السلطان ، وأصبحت ولاية بغداد مقتصرة على بغداد وما يتبعها من ألوية بعد أن كانت تضم ولايات بغداد والبصرة والموصل وفى أكثر الاحيان كردستان والجزيرة . وكان أهم ما حدث بعد مدحت باشا ، هو فصل القيادة عن ادارة الولاية سنة ١٨٧٦ م ،

---

٥ — كانت (الكويت) قضاء من أقضية البصرة وكانت (نجد) سنجقا تابعا لولاية البصرة وتتألف من قضائين هما (قطر والقطيف) .

اذ تم تعيين قائد عام للجيوش العراقية بعد أن كانت القيادة للولاة منذ وقع العراق فى حكم الاتراك كما رأينا «١» .

ملامح المجتمع العراقي

لقد غمرت تاريخ العراق ظلمات حالكة الدياجير ، منذ الساعة التي انطفأ فيها نور الخلافة على يد الطاغية (هولاكو) وتتابعت الكوارث والنكبات والحروب والغزوات على الشعب العراقي ، وراحت تفتك به فتكا ذريعا على مر الدهور والاجيال ، حتى لم يعد قادرا على رد غوائل المعتدين من أي صوب أتوا ، بعد أن غفا غفوة الاستسلام وأصبح نتيجة تلك النكبات فريسة للفقر والجهل والمرض فاستبد به الحكام من مختلف الاجناس والقوميات . وكان للحكام العثمانيين فى حكمه النصيب الاوفى ، اذ ظل قابعا تحت نير الحكم العثماني زهاء الاربعة قرون ، تحولت بلاده الجميلة الغنية الخصبة خلالها الى ساحات واسعة من المستنقعات والصحاري وباتت أرض السواد فيها مسرحا للصوص ومأوى للاشقياء ، لان سوء الادارة العثمانية أدى الى فقدان الامن فأصبح اللصوص وقطاع الطرق فى مأمن من العقاب ، يرتكبون جرائمهم في وضح النهار ، فاذا كان هناك ظل للحكومة فقد يكون ذلك فى المدن الكبرى ، وعلى الرغم من ذلك فان تاريخ البصرة يحدثنا عن الفساد الذي استشرى فيها لاسيما فى العهد العثماني الاخير حيث ساد فيها قانون الغاب وأصبح الناس يحرسون أنفسهم ويدافعون عن حياتهم بسلاحهم «٢» . أما فى المناطق العشائرية ، حيث لم يكن للدولة ظل يذكر فقد كان الاضطراب فيها قائما على

---

١ — كتاب دليل خارطة بغداد للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة بغداد ١٩٥٨ .

٢ — فى غمرة النضال سليمان فيضى .

قدم وساق ، وحوادث الغزو والسلب والفتن والمشاحنات تجري طوال العام وليس هناك من قوة فى الاعم الاغلب قادرة على قطع دابرها ، اذ كانت الدولة أضعف من أن تقوم بهذه المهمة • وقد حاول بعض الولاة لاسيما المتأخرين منهم لوضع حد لهذه الفوضى فلجأوا الى العلماء من رجال الدين يستفتونهم في شرعية (الغزو) فأفتى العلماء بوجوب التنكيل بكل من يقوم بالغزو ، لكن هذه الفتاوى لم تكن قادرة على ايقاف ذلك السلوك الذي اقتضته سنة الحياة فى تلك الايام لاسيما فى مجتمع اختل فيه النظام وسادت فيه الفوضى «[٣]» •

وهكذا كان العهد العثماني حافلا باخبار المعارك العشائرية والمشاحنات القبلية • تحدث تارة بسبب الارض أو الماء وطورا بسبب الرئاسة وحينا بسبب الضرائب أو بدلات الالتزام ، فلا غرابة ان حفلت كتب تاريخ العراق بأخبار هذه المعارك تدور رحاها بين العشائر العراقية فى فترات متفاوتة ومناطق مختلفة من البلاد ، كمعارك البو سلطان والجحيش وبني لام والبو محمد وربيعة والمنتفك وبني أسد والعزة والهماوند والدليم وزوبع وشمر والخزاعل، فضلا عن حوادث العشائر فى الدغارة والشامية والسماوة والهندية •

وهكذا لم يكد يحل القرن التاسع عشر الا وأصبحت هذه البلاد التي كانت مضرب المثل بالخصوبة وغزارة الثروة الطبيعية ، أصبحت عنوانا بارزا للخراب والدمار ، بارت أرضها ، وقلت خيراتها ، وجفت أنهارها ، وعلى الرغم من تلك الشواهد ، لم تكن الدولة العثمانية تلقي بالا على ما كان يصيب العراق من ضرر ورعاياه من تعاسة وبؤس ، ولذلك لم يكن يزرع من تلك الارض الطيبة أكثر من (٢٪) من الارض الصالحة للزراعة «[٤]» • فتكررت فى العراق المجاعات وتهدد سكانه بالموت جوعا مرارا وتكرارا • كما راحت الامراض والاوبئة الفتاكة كالطاعون والهيضة والجدري والحمى التيفوئيدية

---

٣ ـ العراق بين احتلالين العزاوي المصدر السابق •
٤ ـ المماليك فى العراق أحمد علي الصوفى الموصل •

والدزانتري تحصد الالوف حصدا ، هذا فضلا عن المآسي التي كانت تقاسيها البلاد من جراء تكرر الفيضانات بسبب اهمال السدود وعدم العناية بتنظيم شؤون الري «٤» . فلا غرو ان رأينا عدد سكان هذا الوادي الخصيب يتناقص من (عشرين مليونا) فى أيام هرون الرشيد ، ليصبح (مليون وربع مليون نسمة) فى نهاية القرن التاسع عشر تسكن أكثريتهم الساحقة القرى والارياف مستمرئة العيش فى تلك الاصقاع بعيدة عن المدينة التي ساد فيها الظلم والفساد . أما ما بذلته الدولة العثمانية فى مجال الخدمة العامة فلم يكن شيئا يذكر ، اذ كانت شؤون الحياة مهملة ، فالعناية بالصحة العامة مفقودة ، لانها موضوع غير ذي بال بنظرها فلا عجب ان كانت بغداد وغيرها من مدن العراق وحواضره وقراه ، ميدانا فسيحا لعبث الدجالين والمشعوذين ومرتعا خصبا للمتطببين وأصحاب الخرافات ، من رجال ونساء كما كان بعض المرتزقة من المشعوذين يستخدمون الدين لاغراضهم ، فينتشرون فى أرجاء البلاد ببزات رجاله يبيعون الادعية والرقي والطلاسم وكانت لهم ، لجهل الشعب وفقره سوق رائجة ومجال فسيح «٥» .

ويكفي أن نشير أنه لم يكن فى العراق ادارة صحية قبل عام ١٩٠٥ غير أنه فى هذه السنة تم تشكيل ادارة صحية مؤلفة من أربعة أشخاص هم (طبيبا البلدية ، ومفتش صحي ، وكاتب) فكانت هذه الادارة هي كل ما وجد في البلاد من هيئات صحية قبيل الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ .

وبعد هذا كله كانت موارد الرزق ضئيلة ، ومصادر كسب القوت تافهة وعلى الرغم من ضآلة هذه الموارد وانحطاط مستوى المعيشة كانت الدولة تثقل كاهل الناس برسوم الاحتساب والضرائب المتعددة ، تفرضها عليهم

---

٤ ــ أربعة قرون فى تاريخ العراق لونكريك المصدر السابق .

٥ ــ تاريخ الطب فى العراق الدكتور هاشم الوتري ، الدكتور معمر خالد الشابندر بغداد ١٩٣٩ .

وتستقطعها من كدهم وعرق جبينهم دون أن تقوم بأي أمر ديني أو مدني يبرر لها ما تتقاضاه من هذه الرسوم «٦» .

ووسائل كسب القوت لم يكن لها شأن يذكر فالصناعة معدومة بينما كانت التجارة تافهة ، اذ لم يكن هنـاك طرق صالحة للمواصلات . أما المواصلات النهرية فوسائطها (الاكلاك) المسيرة بالجلود المنفوخة فى الزابين وأعالي دجلة، و (القفف) و (الشختاتير) والسفن الشراعية (المهيلات)، كانت تنقل البضائع بين الجهات الواقعة على ضفاف الانهار وذلك قبـل أن يبدأ تسيير البواخر النهرية فى اوائل القرن التاسع عشر . أما وسائط النقل البرية ذات العجلات فقد كانت مفقودة للجمود والخوف من عواقب التجديد وقلة رؤوس الاموال ، وعدم وجود الطرق التي تربط بين المدن ، وان وجدت فلكثرة ما كان يحف بها مـن المخاوف والمخـاطر .

أما التجـارة الخارجية فكانت البضائع تنقل من العراق الـى الخارج بقوافل الجمال التي تسير على محاذاة نهر الفرات ما بين بغداد وحلب فتستغرق كل رحلة منها زهـاء الخمسين يوما تقريبا . ولم تكن المواصلات البرقيـة والتلغراف معروفة فى العراق قبل عام ١٨٦١ م اذ فى هذه السنة تحقق الاتصال بين بغداد واستانبول ، كما تم فتح دوائر البريد والبرق فى معظم البلدان المهمة فى نهاية القرن التاسع عشر «٧» .

أما الزراعة فقد كانت بدائية ، والمناطق الزراعية ، مناطق عشائرية يسود فيهـا النظام والتقاليد العشائرية البحتة ، والفرد فى تلك الاصقاع متمسك بالعشيرة ، متفان فى سبيل الدفاع عنهـا ، ولذلك لم يكن فى مقدور الدولة العثمانية ، فرض سيطرتها التامة على تلك الاصقاع فاضطرت الى منح العشائر، المقاطعات والاراضي لها بطريقة الالتزام لقاء مبالغ سنوية يؤدونها الى الخزينة

---

٦ ـ العراق بين احتلالين ج ٨ العزاوي المصدر السابق .
٧ ـ أربعة قرون من تاريخ العراق لونكريك .

المركزية فى بغداد • ولذلك ازدادت المجتمعات العشائرية صلابة ، وحاول الولاة المتأخرون وضع خطة لتوطين العشائر وحملها على الاستقرار والزراعة فلم يفلحوا ، لان العشائر كانت تخاف مغبة هذه الخطط التي ترى فيها مكيدة ضدهم لاسيما بالنسبة لفرض الضرائب عليهم وسوق أبنائهم للخدمة العسكرية • فلا عجب اذا ما رأينا النظام الاقتصادي العشائري آنذاك يسير على مبدأ (الاكتفاء الذاتي) اذ كانت زراعتهم مقتصرة على المحاصل الضرورية لاعاشة العشيرة وحدها «٨» • وعلى هذا يمكن القول أن العشيرة لم تكن فى العهد العثماني سوى وحدة قائمة بنفسها ذات تنظيم سياسي تمارس فيه أعمال الدولة بمجال مصغر وما كان للدولة العثمانية فى المجتمعات العشائرية كما قلنا سوى السيطرة الاسمية • فلا عجب اذا ما كانت حياة أبناء الريف وهم الاكثرية الساحقة ، حياة بدائية ساذجة ، تتميز بالولاء والتفاني فى سبيل العشيرة ، وبالكد والكفاح لانتاج ما يكفي للقوت والمعاش وبالبعد عن معالم الحضارة والمدنية على أبسط صورها «٩» •

ان هذا الشعب الذي ظل يكافح الارزاء والمحن والمصائب قرونا طويلة ، وهو على هذه الصورة المفجعة من التردي والانحطاط لم يكن قادرا على أن ينهض من كبوته بعد أن صار فريسة لاعدائه الثلاثة الفقر والجهل والمرض ، وغفا كما قلنا غفوة الاستسلام لحكامه الغرباء عنه ، وللموظفين الاتراك الذين كانوا يحتقرونه على الرغم مما هم فيه من جهل وغرور ، وفى ظل هذه الصور التي عرضنا فيها تلك الملامح الدكناء كان الشعب منقسما على نفسه فقد تعددت عناصر وتباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم وكثرت مللهم وطوائفهم • فالاكثرية منهم من العنصر العربي يأتي بعدهم العنصر الكردي فالتركماني فالايراني • أما بالنسبة للديانات فالمسلمون هم الاكثرية ما بين (سنة)

---

٨ — مشاكل الائتمان الزراعي فى العراق للمؤلف بغداد ١٩٥٧ .
٩ — الهجرة من الريف الى المدن للمؤلف بغداد ١٩٥٨ .

و (شيعة) وكانت جذوة الفرقة والتناحر بين هاتين الطائفتين كلما خمدت أوقدتها سياسة (فرق تسد) التي كانت المبدأ المتبع لدى الايرانيين والعثمانيين ضمانا لبقاء احتلالهم لهذه البلاد ، وبنتيجة تلك السياسة ساءت معاملة الدولة العثمانية الحنفية المذهب لابناء الشيعة وكثرت التعديات عليهم وحرمت عليهم الوظائف الحكومية ومنعت أولادهم حتى من دخول مدارسها الرسمية «[١٠]» .
كل هذه التصرفات وغيرها مما ترويه كتب التاريخ العثماني أبعدت الشقة بين الطائفتين وانقسم الشعب على نفسه لا لشيء الا لتظل الامور ممهدة للحاكمين وكان نتاج تلك السياسة المفرقة أن دار بين الطائفتين الاخذ والرد فى أي المذهبين أنقى وأيهما أصوب فزاد بينهما التباعد والخلاف حتى أصبح الناس يرون بعض علماء الطرفين متمسكين بمثل هذه النعرات استغلالا للعوام فكانوا آلة شحناء وطريق تفرقة وواسطة عداء «[١١]» .

أما الاقلية المسيحية المؤلفة من اصول وطوائف مختلفة فقد كونت لها فى الموصل ، قسما كبيرا من سكانها ، وانتشرت قراهم الآهلة على التلال المنخفضة فى الشمال ، كما تجمعت مجتمعات صغيرة منهم حوالي الاديرة ، وحافظوا على كهنوتهم فى جبال كردستان .

بينما كانت الاقلية اليهودية تعيش فى مدن بغداد والبصرة وبعض الحواضر الاخرى ، يتعاطى أفرادها الحرف والصناعات الدقيقة والتجارة . فى حين استوعب جبل سنجار مع الجهات ذات التلال شمال الموصل (اليزيدية) .

أما بقايا الهجمات القديمة من التركمان فقد كانوا متفرقين فى بعض المناطق الشمالية ، وتمركزت أكثريتهم في كركوك .

أما الصابئة فقد انتشروا فى القرى والمدن الواقعة على ضفاف الانهار فى الجنوب بين العمارة والمنتفك والبصرة «[١٢]» .

---

١٠ ــ تكوين العراق الحديث أ. فوستر ترجمة عبد المسيح جويدة بغداد.
١١ ــ العراق بين احتلالين ج ٤ عباس لعزاوي بغداد ١٩٤٩ .
١٢ ــ أربعة قرون من تاريخ العراق لونكريك المصدر السابق .

وفى مثل هـذا المجتمع الغريب التركيب ، تفاقمت الخلافات المذهبية والتعصب الديني والمشاحنات العنصرية ، فتباينت المشاعر وتصادمت الولاءات وتضاربت الاحاسيس نتيجـة لبعد الحاكم عن المحكوم ورغبته فى استغلاله والابقاء على هذه الحالة جريا على قاعدة (فرق تسد) • فليس عجيبا اذن أن يؤثر هذا الوضع تأثيرا كبيرا فى الحياة الاجتماعية ، ستكشف عنه بوضوح الفصول والابحاث القادمـة •

نور يخبو

كان العراق فى العصر الذهبي ، عصر المأمون ، مهد الحضارة والمدنية ، ازدهرت فيه الحركة العلمية ازدهارا عظيما ، واتسعت حركة التأليف فى شتى العلوم والمواضيع سواء ما كان منها نقليا أو عقليا ، وبرع فيها علماء كثيرون ، ألفوا فى الحديث والفقه والادب والفلسفة واللغة ، كما كتبوا وترجموا فـي الطبيعة والرياضة والطب والكيمياء • وقد قطعت هذه الحركة شوطا بعيدا فى عز الخلافـة العباسية وسارت بقوتها الاستمرارية الى ما بعد القرن الرابع ، حتى اذا أخذ الفساد يدب فى جسم الدولة ، وأصبح الخلفاء والامراء فـي واد والعلماء فى واد • واستولى القواد والمماليك على شؤون البـلاد وانقسمت تلك الامبراطورية الاسلامية العظيمة الى ضياع ودويلات ، بعد كل هـذا ، هب ريح صرصر على شعلة العلم فأخذ نورها يخبو شيئا فشيئا مع الزمن ، وتفرق شمل العلماء الا قليلا ، وأصبحت شؤون العلم والثقافة نهب الاطماع والاهواء ولم تعد للعلماء تلك المنزلة أو ذلك المركز المرموق ، حتى اذا حـل عام ٦٥٦ هـ ، قضى هولاكو على البقية الباقية من دور العلم وكنوز الثقافة •

وهكذا منذ ذلك التاريخ ، خيـم على البلاد جو مـن الجور والظلم والارهاب ، فهاجر كثير من العلماء الذين كتبت لهم الحياة الى مصر والمغرب وغيرهما من الامصار ، وتفرق غيرهم فى الحواضر العراقية الاخرى تاركـين

(مدينة السلام) ، وملء قلوبهم الحسرة والالم الممض • ثم تتابعت الاحداث والحوادث على العراق ، وراحت الامور تسير من سيىء الى اسوأ • والنكبات تترى ، حتى انشغل الناس بامور حياتهم المعاشية لاسيما بعدما أصبح العراق لقمة سائغة بفم كل طامع ، فلا غرو ان هجرت فيه معاهد الدرس ودور العلم ، لان الحروب والمعارك والفتن والمشاحنات التي دارت فيه وأدت الى تعرض سكانه الى القتل والمجاعة والتشريد فضلا عن آثار ضياع استقلاله وخضوعه لحكام غرباء عنه عصورا طويلة ، كل هذه الاسباب كانت ذات أثر قوي في عزوف الناس عن تلك المعاهد لانهم فى مثل هذه الظروف كانوا بحاجة الى ضمان لقمة العيش والامن والاستقرار قبل كل شيء !

ولعل العلامة ابن خلدون قد تنبه الى هذه الحال فوصفها قائلا (ان تعليم العلم من جملة ألصنائع ، وان الصنائع انما تكثر فى الامصار ، وعلى نسبة عمرانها فى الكثرة والقلة والحضارة والترف يكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة ، لانه أمر زائد عن المعاش ، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف فى خاصة الانسان وهي العلوم والصنائع • ومن تشوف بفطرته الى العلم ممن نشأ فى القرى والامصار غير المتمدينة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع فى أهل البدو • ولابد له من الرحلة الى الامصار المستنجزة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة ، كيف زخرت فيها بحار العلوم وتفننوا فى اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون ، حتى أربوا فيه على المتقدمين وفاقوا المتأخرين • ولما تناقص عمرانها وأبذعر سكانها انطوى بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من الامصار [1]) •

---

١ ــ مقدمة بن خلدون .

لقد كتب العلامة ابن خلدون رأيه هذا عن بغداد والبصرة والكوفة عام (٧٧٩ هـ) أي أيام كان العراق تحت حكم الدولة الجلائرية • وليس من شك فى ان الادوار التى تلت هذا الدور كانت أشد حلكة وأكثر ظلاما ، نظرا لما وصلت اليه البلاد فيما بعد من تدهور وانحطاط ، حيث لم يعد هناك للعلم والثقافة شأن يذكر ، وجل ما كان ، حلقات للتدريس انزوت فى بعض المساجد والربط والتكايا ، حيث لا يختلف اليها الا العدد القليل من العلماء من رجال الدين والطلبة الذين انصرفت جهودهم الى مدارسة العلوم الدينية ، وما له علاقة بها من العلوم الاخرى • لقد كانت مناهج الدراسة فى هذه المدارس ، خلوا من علوم الدنيا ، تلك العلوم التي تفيد صاحبها فى زراعة أو صناعه أو تجارة أو فى غيرها من وسائل الحياة ، بل كانت العناية فيها منصرفة الى تحقيقات لفظية ليس لعامة الشعب فيها غناء (٢) •

ولعل أبرز الامثلة عن تدهور العلوم والمعارف فى العراق أيام العثمانيين، ما حل بالمدرستين الشهيرتين فى بغداد وهما المدرسة (النظامية) ومدرسة (المستنصرية) • وقد وصف العلامة المغفور له محمود شكري الالوسي حالهما اذ يقول عن المستنصرية « لم تزل هذه المدرسة على ما كانت عليه زمن منشئها الى أن حدثت حادثة التاتار ، وخراب بغداد على أيدي الفجار ، وما كان فيها من سفك الدماء وقتل الانفس وتخريب الديار ونهب الاموال ، وسبي النساء والاطفال وغير ذلك مما هو مفصل فى كتب التاريخ فجميع ما كان فى هذه المدرسة من كتب وفرش ومرافق قد نهبه جند العدو المخذول ، بل من الكتب ما رموا به الى دجلة قهرا لاهل العلم والدين ، وبعد ان تولى بغداد من تولى، عاد شمل المدرسة وأهلها الى ما كان عليه ، ولم تزل مجمع الافاضل والفضائل الى أن دخل العراق فى حوزة الدولة العثمانية ، فهنالك اختل أمر المدرسة

---

٢ ــ تاريخ التعليم فى عصر محمد علي . الدكتور أحمد عزت عبد الكريم القاهرة .

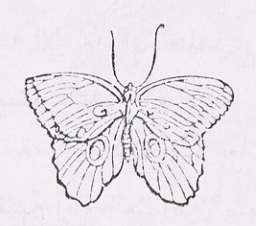
وانتظامها ، وغابت من أفقها شمس العلم ، وتفرق عنهـا جمـوع الطلبـة والمشتغلين ، وخلت ربوعها من العلم والعلماء العاملين لاستيلاء يد الظلم على عقاراتها وسائر ضياعها وميراثها ، فلم يبق للمشتغلـين ما يسـدون به فم حوائجهم ، فعدلوا عما كانوا عليه من مسلكهم ومنهاجهم ، غير ان بنيـان المدرسة ووضعها على ما كانت عليه أيام انشائها ومبدأ تأسيسها وبنائها من هاتيك الرصانة والبنيان المتين الذي يخيل لرائيه أنه جبـل مكين ولم تـزل ربوعها خالية من الانيس ومجالسها لا يسمع فيها صوت تدريس ، الى أيام ولاية (أبي سعيد سنان باشا) والي بغداد وباني (المدرسـة السليمانيـة) فجعل المستنصرية (خانا) ووقفها على مدرسته من جملة ما وقف عليها من العقارات الكلية اخمادا لنورها ونسيانا لذكرها ولم تزل موسومة يومئذ بخان الموصليين [٣] • أما عن (المدرسة النظامية) فقد أشار الى خرابهـا وضياعها قائلا •• « أما المدرسة النظامية التي نوهنا بشأنها وبيان مـا كانت عليه من اتقان صنعها ورصانة بنيانها فلم ندرك نحن ولا آباؤنا أثرا مـن آثارها • وساحاتها الكبرى قد أصبحت اليوم مسكنا لاراذل اليهود ومجمعا لاقذارهم وجيفهم ، هـذا ، مع أنها كانت أول بيت بنى للعلم وشيد لنشـر الفضائل فى أعظم بلد من بلاد الاسلام ، وقد نبغ فيها من نبغ من الائمـة وسادات الامـة وفضلاء الزمـان ومجتهديه ممن تزينت بذكرهم صحـائف الاخبار وتجملت ببيان مزاياهم كتب الآثار وما جرى فى هذا البلد ما جرى الا من تلاعب أقوام كانوا أعداء المعارف وآفة العدل وخصوم الانصاف ، أهملوا أسباب السعادة وجدوا فى الافساد وتخريب البلاد ولا سيما فـي محو آثار سلف الامة وبقاياهم ولذلك عرا هذه المدرسة ما عراها ولم يبق منهـا سوى بقايا مئذنة بقيت تشكو بلسان حالها ما جرى على ربعها من الاوغاد ولم تزل تنادي كل رائح وغاد ولكن أين المستمعون ؟! »

---

٣ — تاريخ مساجد بغداد واثارها محمود شكري الالوسى بغداد ١٣٤٦ هـ .

ولذلك وبعد مطالعة هذا التحليل والوصف الرائع لما وصلت اليه حال العلم ومعاهده ممثلة فى هاتين المدرستين أيام العثمانيين نستطيع ربط هذه النتائج المؤسفة بما قدمناه فى الابحاث السابقة التي وقفنا فيها على حقيقة نظام الحكم العثماني وسوء الادارة وفساد مرافق الدولة والمسؤولين عن شؤونها ٠

ومهما يكن من أمر فقد حاول بعض الولاة والحكام لا سيما أيام المماليك القيام بانشاء بعض المدارس الدينية وتشجيع العلم والثقافة وعلى الاخص (داود باشا) ٠ وعندما أصدرت (الدولة العثمانية) (خط گلخانة) لم يستفد العراق من الاصلاحات التي جاءت فيه ولذلك ظل محروما من التجدد واقتباس الحضارة ، حتى اذا أوشك القرن التاسع عشر على الرحيل وجد فى العراق عدد من المدارس (المكاتب) انشأت للتدريس على النهج الحديث ولكنها كانت مدارس ساذجة مناهجها بتراء ناقصة ولما أعلن الدستور عام ١٩٠٨ ٠ تنبهت الافكار فأخذ تيار العناية بالعلم يزداد ولكن اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ وقف فى سبيله وانتهت الحرب عام ١٩١٧ وانطوت بها آخر صفحة للدولة الثمانية فى العراق ٠



أسس الدراسة العلمية

ظل العراق فى حوزة الدولة العثمانية منذ عام ١٦٣٨ م حتى عام ١٩١٧ م فكان خلال تلك القرون المظلمة من جملة الامصار الاسلامية التابعة للامبراطورية العثمانية ، تخضع فى ادارتها وتسيير شؤونها الى مشيئة الباب العالي فى غالب الاحوال والظروف . وبعد ان كان العراق من الاقطار الاسلامية التي لها ماض عريق فى الحضارة والمدنية ، وبعد ان كانت بغداد (مدينة السلام) عاصمة الخلافة وكعبة الرواد ومنارة العلم ، أصبحت هذه البلاد نتيجة لتقلبات الاحوال وعوادي الحدثان ، مركزا ثانويا من مراكز الدولة وباتت فى العهود العثمانية فى حالة يرثى لها من التأخر العلمي والتقهقر الثقافى ، حتى لم يعد فيها من معاهد العلم الا الجوامع والمدارس والربط والتكايا ، واقتصر التدريس فيها على شؤون الدين وما يتصل به من علوم .

ولقد كثر فى العهد العثماني تظاهر السلاطين والولاة فى هذه الناحية اذا كانوا يتنافسون فى انشاء (المدارس) فى العاصمة أو غيرها من الولايات بدعوى الاخلاص الطنان للدين (١) .

ان فكرة التعليم (فى الشرق والغرب) فى الاسلام والمسيحية كانت تدعو فى الحقيقة الى تهذيب روحاني ، أي الى تربية دينية أخلاقية ، تعد الفرد لا لهذا العالم الذي يضطرب بأسباب الحياة والذي يعيش فيه هذا الفرد بل لعالم آخر لا يصل اليه الا بعد ان تخلص روحه من أدرانها .

ولم يكن هذا التعليم ليهتم باعداد الفرد بما ينظم العلاقة بينه وبين أفراد المجتمع الذي يعيش فيه بقدر ما كان يهتم بعلاقة الفرد بخالقه .

ولذلك كانت الحياة العلمية أيام العثمانيين سواء فى دار الخلافة أو فى مختلف الولايات الاسلامية ، خلوا أو تكاد ، من الاصالة والابداع ، اذ

---

١ — الاتراك العثمانيون وحضارتهم كارل بروكلمان المصدر السابق .

كانت تتخذ سبيلها فى مجاري التقليد والاتباع ، الثابتة ، ذلك لان العلم لم يكن يعني ، عند المسلم ، اكتساب معرفة جديدة ، بل التمكن الى أقصى حد مستطاع من المادة التي انتجتها الاجيال السابقة .

ولذلك كان أعظم القدر والاعتبار يخلع على التفقه بالدين والشرع الاسلامي الذي لم يكن ليفصل عن القانون المدنى (٢) .

ولما كان العثمانيون (سنيين) حنفيي المذهب فقد ساروا فى العراق على تأييد المذاهب السنية الاربعة ، مستثنين من تلك الرعاية المذهب الجعفري الذي يحتل أتباعه جانبا كبيرا من البلاد ، ولقد أحدث هذا التفريق والرعاية انقساما فى صفوف الامة ومن ثم الى اختلاف فى منابع الدراسة ومعاهدها بين أبناء الطائفتين .

فلقد كان الولاة فى مختلف الادوار ، تظاهرا منهم بالاخلاص للدين ورجاله ، يقومون بتأسيس المدارس ويوقفون لها الاوقاف الخيرية فى حين كانت الطائفة الجعفرية تقوم بانشاء المدارس الخاصة بها بعيدا عن تشجيع الولاة أو مساعدتهم المالية . بل معتمدة فى ذلك على الحقوق الشرعية، وما يرد لها من أموال التركات والاوقاف والتبرعات والهبات التي كان يقدمها المحسنون من أبناء الجعفرية أنفسهم لهذه المعاهد الدينية . ان هذا الاختلاف فى منابع الدراسة وأسس التحصيل العلمي أحدث ولا شك شقة بعيدة بين أبناء الشعب الواحد كان قد استغلها الحكام والطامعون وغيرهم استغلالا عظيم الضرر على الامة ، ولذلك يمكن القول ، أن الطريق الذي سلكه التعليم في العراق فى العهد العثماني ، يكاد يكون نفس الطريق الذي رسمه المسلمون الاولون فى هذا الحقل ولكنه على مر العصور والازمان تفرع وتشعب نتيجة لانقسام الامة من جهة وما أحدثته الحروب والنكبات من نكسات من جهة ثانية ، ولذلك سارت كل طائفة على نهج خاص بها ، ولكن وقوف السلطة

---

٢ — بروكلمان المصدر السابق .

الحاكمة الى جنب طائفة بذاتها كان مدعاة لانكماش الطائفة الاخرى وتجنبها كل تماس مباشر بها «[٣]» .

وهكذا يمكن القول أن هذه السياسة المشوشة فى حقل التربية وهذا التفريق الذي كان طابعا مميزا فى السياسة العثمانية جريا على قاعدة (فرق تسد) . جعل الامية تنتشر انتشارا كبيرا فى كافة أرجاء البلاد فضلا عما رسمه لنا من خطوط واضحة تعطينا فكرة بينة المعالم عن منابع الدراسة وأسس التعليم فى ذلك العهد .

---

٣ ــ أربعة قرون فى تاريخ العراق المصدر السابق .

المعاهد الدراسية

بينا فى المبحث السابق أسس الدراسة والتحصيل العلمـي • وقلنا أن الطريق الذي كانت تسير عليه الدراسة يكاد يكون نفس الطريق الذي رسمه المسلمون الاولون ولكن الاسلوب والطريقة فى التدريس قد تغيرت • وما دمنا فى هـذا البحث يجدر بنا أن نأخذ فكرة تاريخية عن الدراسة الاسلامية قبل الخوض فى موضوع المعاهد الدراسية فى العهد العثماني •

لقد كانت الدراسة فى الصدر الاسلامي الاول وما بعده تسير سـيرا حثيثا بجهود رجال الدين والعلماء دون أن يكون للدولة أي تدخل فى شؤونها لذلك قطعت أشواطا بعيدة فى التقدم والازدهار ، وتخرج فى معاهدها الوف من فطاحل العلماء والادباء والمفكرين الذين خلدتهم آثارهم الثمينة فى مختلف العلـوم والفنـــون «[1]» •

ولكن تطور الامور ولا سيما بعدما ضعفت سلطة الخفاء ودخل الموالي والاتراك والفرس وغيرهم مـن الاجناس فى خدمة الدولة ، حتى اذا ما تهيأ لهؤلاء القبض على زمام السلطة ، لم يجدوا سندا لهم أفضل من رجال الدين فهداهم تفكيرهم الى انشاء المدارس الدينية تنفيذا لهذا الغرض ، فكان نظام الملك أبو علي الحسن بن علي وزير ملكشاه بن ألب ارسلان ، أول من أسس مدرسة فى بغداد كما فتح مدارس وربط زوايا فى أنحاء اخرى مـن مملكته واستخدم عـددا وافرا من العلماء والفقهاء وطلاب الوظائف وأمر بصـرف (المعاليم) عـلى الطلبة والشيوخ والمدرسين ، وهكذا بعد ان كـان الناس يطلبون العلم فى الجوامع أصبحوا يدرسونه فى المدارس • ولقد أحدث انشاء المدرسة النظامية فى بغداد رد فعل قوي ولذلك لم يكتف البغداديون بعرقلة سيرها ، بل قاموا بعمل خيري مـن نوعها اذ قاموا بفتح مدارس خاصة حتى

---

١ ــ التربية عند العرب خليل طوطح •

لم تمض مئة سنة على عهد نظام الملك الا وبلغ عدد المدارس فى بغـداد نحوا مـن ثلاثين مدرســة «٢» •

ولما كانت الفكرة الاساسية التـي هدف اليها السلاجقة مـن تأسيس المدارس النظامية هو القيام بعمل مضاد ضد الشيعة «٣» فقد حمل هذا الاتجاه الذي صاحبه الاضطهاد والتضييق على الشيعة فى بغداد ، حمل العلامة محمد بن الحسن الطوسي على الهجرة من بغداد عام ٤٤٨ هـ ومعه تلامذته واتخذوا من مدينة النجف الاشرف مقرا لهم ودارا لهجرتهم ومنذ ذلك التاريخ أصبحت النجف عاصمة التدريس عند الشيعة الامامية •

وهكذا وبمرور الزمن أصبحت المدرسة ، معهدا سياسيا مذهبيا رسميا حتى اذا احتل العثمانيون بغداد عام (٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م) على يد السلطان سليمان القانوني استقبلته كثير من الالسنة المتملقة وأكثرت بين يديه مـن الضرب على وتر الدين ، فلبى داعي الشعور الديني تلبية طيبة واتقدت فـي زمانه شعلة الاسلام اتقادا لامعا ، لاسيما بعد أن رأى ما كان للصفويين مـن سلطة دينيــة •

ولما دخل بغداد ثانية السلطان مراد الرابع عام (١٦٣٨ م) طاردا منهـا الايرانيين قام بدوره فى هـذا الشأن كما قام سلفه ، ورسم للمفتي (يحيى) أن يعيد بناء قبة الشيخ عبد القادر الكيلاني وأوقف لها أوقافا كثيرة معظمها من أملاك الشيعة للانفاق عليها • وعلى هذا الاساس سارت الامور فى العراق طيلة الحكم العثماني الذي استمر حتى عام ١٩١٧ م وراحت كل طائفة تهتم بشؤونها العلمية والثقافية • غير أن هذا الانقسام لم يغير من تسلسل المراحل

---

٢ — من كلمة للاستاذ عباس العزاوي فى كتاب الدليل لاصلاح الاوقاف . أحمد محمد العمر بغداد .

٣ — تاريخ التربية الاسلامية الدكتور أحمد شلبي بيروت ١٩٥٤ .

٤ — أربعة قرون فى تاريخ العراق المصدر السابق .

الدراسية السابقة ، اذ ظلت تلك المعاهد فى العهد العثماني تحمل نفس الاسماء وتسير الى حد ما على نفس النهج وها نحن أولا نبحث عن هذه المعاهد ابتداء من الدراسة الاولية ....

الكتاتيب

الكتاتيب مفردها (الكتاب) والكتاب « موضع تعليم الكتاب أي الكتابة » . ويظهر أن الكتاب والمكتب كان قد استعمل فى العصر العباسي الاول لمكان تعليم الصبيان «٥» .

والكتاب هو المدرسة الاولى التي يدخلها الطفل بعد سن السادسة من عمره ونظرا لكونه خاصا بالاطفال فقد وردت بشأنه توصيات عدة لا سيما بالنسبة لمكانه . فلقد أجاب الامام مالك عندما سئل عن جواز اقامة الكتاب فى المسجد قائلا ....

(لا أرى ذلك يجوز لان الاطفال لا يتحفظون من النجاسة) «٦» كما ورد فى كتب الحسبة ما يؤيد ذلك اذ نصت على عدم جواز ذلك (لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لانهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات بل يتخذون للتعليم حوانيت فى الدروب وأطراف الاسواق) «٧» . غير أنه بالرغم من هذا التحذير نجد أن بعض المعلمين اتخذوا لهم زوايا فى المساجد وغرفا ملتصقة بها وان كانت هناك كتاتيب اخرى مستقلة تمام الاستقلال .

ان الكتاتيب التي وجدت فى العراق أيام العثمانيين ما هي الا امتداد لاسلوب التعليم القديم ، اذ كانت تسير كما سنرى على نفس النهج وتتبع نفس المنهج الدراسي .

وما كان انشاء (الكتاب) يتطلب شيئا غير معلم (الذي كان يسمى

---

٥ — ضحى الاسلام أحمد أمين القاهرة ١٩٣٥ .
٦ — التعليم عند القابسي الدكتور أحمد فؤاد الاهواني القاهرة ١٩٤٥ .
٧ — تاريخ التربية الاسلامية المصدر السابق .

ملا) «[٨]» حافظ للقرآن الكريم ، لان الغرض الاساسي من الكتاب تحفيظ القرآن ليس غير اما القراءة والكتابة فهما وسيلتان تساعدان على حفظه «[٩]» .

أما الدراسة فى الكتاب فتبدأ كما قلنا بعد سن السادسة غالبا وكان على الصبيان المسجلين فيه أن يجلبوا معهم القرآن أو أحد أجزائه وهو عادة (جزؤ عم) مع ألواح خاصة بالكتابة ومحبرة وبعض أقلام من القصب كي يكتبوا عليها بالحروف الابجدية فى درس الخط والحساب .

وقد كانت العادة عند معلمي الكتاتيب هي أن تبدأ قراءة القرآن عادة بجزؤ (عَمّ) وهو الجزء الثلاثون من القرآن الكريم ، ويكون كما هو معروف مبدوءا ، بالحروف الهجائية ، ثم الحروف المحركة بالحركات المختلفة . ثم بكلمات (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ، ضظغ) .

ويبدأ تعليم الصبيان لسور القرآن أول ما يبدأ عادة ، بسورة (قل أعوذ برب الناس) الى النهاية . وتبدأ تلك القراءة بطريقة (التهجئة) في معظم الكتاتيب فى العراق على الوجه الاتي :

(قاف لام ضمه « قل »، ألف فتحة « أ » ، عين واو ضمة « عو » « قل أعو » ذال ضمة « ذو » « قل أعوذ » باء كسرة « بِ » راء فتحة « برَ » باء لام كسرة « بل »، « بربل » وهكذا . وكان البعض الاخر ، بتأثير الفرس ، يسمي الحركات بأسماء فارسية فالضمة تسمى (بَيْش) والفتحة (زَبر) والكسرة (زير) وعلى هذا تكون الطريقة الثانية فى التهجئة

---

٨ — ان كلمة (ملا) كما ذهب جماعة من اللغويين مصحفة عن (مولى) وقال آخرون منها مشتقة من الكلمة التركية (منلا) . أما المرحوم الاب انستاس الكرملي فيرى أنها (قصر لكلمة مولى بمعنى السيد ثم أقحمت النون منعا للتضعيف وهو ما يكرهه بعضهم عربا كانوا أم أعاجم فصارت منلا (مجل لغة العرب ج ١ السنة الرابعة) .

٩ — تاريخ التربية فى عصر محمد علي المصدر السابق .

١٠ — كان هذا الجزء يطبع عادة فى مطابع الهند .

على الشكل الآتـي : (قاف لام بيش « قل » ألف زبر «أ» (قل أ) عين واو بيش « عو » « قل أعو » ذال بيش ذو « قل أعوذ » . وهكذا وعلى هـذا النمط يكمل الصبي دراسته وحفظه للسور الاخرى «١١» . ان هذه الاساليب التلقينية الجافة بالنسبة للاولاد الصغار تحملهم فوق ما يطيقون ولكن ما العمل وليس لهم الا سلوك هـذا الطريق .

ومهما يكن مـن شيء فالدراسة فى الكتاتيب تعتمد على التكرار الممل والقراءة الصائتة ، اذ يتحتم على الطالب القراءة بصوت عال فكان كلما ارتفع صوته كلما كان ذلك مبعث ارتياح الملا وتقديره . وهكذا ما أن ينتهي الطالب من مرحلة التهجئة حتى ينتقل الى مرحلة القراءة السريعة بدون تهجئة وتسمى كما اصطلح عليها باسم (روان) «١٢» .

هـذا وللطلاب عند (الملا) منازل معينة ، فالمبتدئون تكون مجالسهم بعيدة عنه ، والمتقدمون فى القراءة والكتابة ، يكونون أقرب اليه ويساعد الملا أو الشيخ مساعد يسمى (الخلفة) يقوم بالاشراف على الطلاب الجدد وحملهم على انجاز واجباتهم دون ابطاء أو تماهل وعندما يتمون واجباتهم يعرض الامر على (الملا) ليعطي واجبا جديدا ، وهكذا يستوعب الطالب ، القسم المطلوب منه لينتقل الى القسم الآخر ، فاذا ما وصل الى السورة المعروفة (لم يكـن الذين) عمل له أهله (حلوى) ويطلق عليه عبارة (لم يكن حلوى بكن) «١٣» ويدعي لها أقرانه من الطلاب كما تهدي لاستاذه هدية خاصة من أهله . واذا ما وصل الى سورة (ياسين) يعملون له وليمـة اخرى «١٤» . فاذا ما ختم

---

١١ ـ من مقال (صفحات من الجيل الماضي) بقلم الاستاذ جعفر الخليلي جريدة الشعب البغدادية فى عددها الصادر بتاريخ ٤ـ١٢ـ١٩٥٦ .

١٢ ـ روان كلمة فارسية معناها « استقامة » .

١٣ ـ بكن كلمة فارسية بمعنى (أعمل) .

١٤ ـ البغداديون . أخبارهم ومجالسهم . ابراهيـم الدروبي بغداد ١٩٥٨

القرآن الكريم يجري له احتفال بهيج يشترك فيه جميع الصبيان من رفاق (كتابه) وأتراب محلته . وفى هذه الحفلة يرتدي الصبيان ثياب الاعياد ويحضرون فى الصباح الباكر فيؤلف هؤلاء كوكبة يتقدمها (الخلفة) ويحمل أحدهم على رحلة من الخشب مجللة بقطعة من الحرير المزركشة بالذهب ، المصحف الكريم ، يرفعها على رأسه ، ويتقدم هذه الكوكبة حملة الاعلام الدينية ، ثم يليهم حملة الطبول والموسيقى ثم الخلفة وبيده دعاء يتلوه بصوت عال ، وهو مؤلف من أقفال مسجوعة فى نهاية كل قفل يرد عليه بقية الموكب بلفظة (آمين) ، أما الدعاء فنسجل بعض الاقفال التي حصلنا عليها وهي :

الحمد لله الذي تحمدا	آمين
حمدا كثيرا ليس يحصى عددا	«
كلم موسى واصطفى محمدا	«
على نبي اسمه محمدا	«

الحمد لله الذي هدانا	آمين
للملة الاسلام واجتبانا	«
من بعد ما كنا من (العميانا)	«
علمنا التوحيد والقرءانا	«

هذا غلام قد قرأ وقد كتب	آمين
وحقنا على أبيه قد وجب	«
نستاهل الخلعة منه والذهب	«
بطاسة مجلية قد التهب	«

وأنت يا أبي سبب تعليمي	آمين
جزاك ربي جنة النعيم	«
وأنتِ يا والدة نعم الوالدة	«
دامت عليك نعمة ومائدة	«

ويدور الموكب الشوارع والمحلات ثم يعـود الى دار والد (الخاتم) فتستقبلهم النسوة بالاهازيج والتهاليل وتمد مائدة كبيرة عليها أنواع الاطعمة والحلوى ، فيتناول الصبيان الطعام ، وقبل أن ينتهي الحفل ويغادر الصبيـان الدار ، يقوم والد الخاتم ويلبس (الملا) جبة جديدة مـن القماش الفاخر ، ويعطيه صرة تحتوي على مبلغ مـن النقود ، وبطبيعة الحال أن مثل هـذه الاحتفالات لاتقام للفقراء لانهم لا يملكون ما يصرفونه على هذا الحفل «[١٥]» .

وبعد ختم القرآن الكريم ، يبدأ الطالب بتعلم الكتابة والاعمال الحسابية الاربعة ، وعلى هذا يمكن القول بأن حظ الكتاتيب فى التعليم كان ساذجا ، اذ لم يكن التعليم فيها يساعد الآخذين به على اجادة التفكير أو يبعث فيهـم شوقا وحنينا الى مواصلة الدرس بل أن كثيرا منهم سرعان ما ينسون القراءة والكتابة بعد اهمال المران عليهما «[١٦]» .

ولقد كانت دراسة الطالب فى (الكتاب) تنتهي عادة بعد ختم القرآن الكريم ، والحصول على مبادىء العمليات الحسابية ، الاربع وحفظ شيء من الشعر ، وان أكثرية الطلاب تنتهي دراستهم الى هذا الحد اذ ينصرفون بعدها الى الحياة العامة . وهناك من يرسله أهله الى (المدارس) رغبة فـي اتمـام تحصيله العالي . وغالبا ما يكون قد جاوز العاشرة من العمر .

أغراض التعليم فى الكتاتيب

لما كان الغرض من التعليم فى نظر علماء المسلمين على اختلاف درجاتهم ، هو تعليـم المسلمين ، الدين . مما لا يتيسر الا بمعرفة بعض المبادىء التـي تكتسب بالتعليم . ومن هذه المبادىء القراءة والكتابة لا على أنها غاية فـي ذاتها ، يكمل الانسان بها نفسه ، بل أنها سبيل الى سهولة تحصيل عنصر هام من عناصر الدين وهو القرآن الكريم . وغرضهم هو تلقين اصول الدين مع

---

١٥ ــ خطط الموصل ج ٢ أحمد الصوفي . الموصل ١٩٥٣ .
١٦ ــ تاريخ التعليم فى عصر محمد علي المصدر السابق .

الابتعاد عن تعليم أي مسألة ، من مسائل الدنيا الا ما قضت به الضرورة • وقد انتهى الحال فى الكتاتيب بصورة عملية الى حفظ القرآن والكتابة والقراءة فقط • ولطول العهد بهذه الطريقة التي دارت مع الزمان واتبعها الناس قرنا بعد قرن • وآمنوا أنها الطريقة الوحيدة التي ينبغي اتباعها • ولما كان القرآن ثابتا لا يتغير ، والصبيان لا يتعلمون الا القرآن ، فان منهج الدراسة فى الكتاتيب فى القرن الرابع لا يختلف عنه فى العصور المتأخرة الا فى بعض امور شكلية «١٧» •

محل الكتاب

لقد مر بنا أن الرسول الكريم وفقهاء المسلمين قد قالوا بعدم جواز تعليم الاطفال فى المساجد لان الاطفال كما قلنا لا يتحفظون من النجاسة ، ولذلك انتشرت الكتاتيب أما بجوار المساجد أو فى حوانيت الدروب وأطراف الاسواق أو فى الربط والتكايا أو فى البيوت الخاصة فى المحلات المختلفة ، ولكنه رغم التحذير فقد لوحظ أن بعض معلمي الكتاتيب قد اتخذوا لهم من زوايا المساجد أو بعض الغرف الملحقة بها مكانا لكتاتيبهم مهملين لسبب أو لغيره هذه التوصيات الواضحة «١٨» •

ولما كانت الكتاتيب عادة لا تقوم الا على جهود رجل واحد هو (الملا) أو الشيخ وانه غالبا ما يكون فقيرا ، وحيث أن هذه الكتاتيب لم يكن لها بنايات خاصة معدة لها من جهة ما ، لذلك فان معظم محلات الكتاتيب غير صالح من الوجهة الصحية ، فالارض رطبة والنور قليل و التهوية معدومة والغرفة المعدة للدرس صغيرة والمرافق الصحية تكاد تكون مفقودة وان وجدت فانها قذرة جدا •

أما من حيث جلوس الصبيان أثناء الدرس فى الكتاب ، فعلى حصران

---

١٧ — التعليم فى راي القابسى المصدر السابق .
١٨ — تاريخ التربية الاسلامية . المصدر السابق .

مفروشة على تلك الارض الرطبة وكثيرا ما كان أولياء الطلاب يزودون ابناءهم بالمقاعد القطنية للجلوس عليها «١٩» حفظا لهم من آثار تلك الرطوبة ٠

ولئن كانت هذه هي الحال فى المدن والحواضر الكبرى فى العراق فان وضعها يسوء ويتردى فى الكتاتيب المنتشرة فى المناطق العشائرية والقرى التي كثيرا ما تبني بيوتها عادة من الطين أو القصب ٠

معلم الكتـــاب

لما انقضى الدور الاسلامي الاول ، الذي كان فيه تعليم الدين الاسلامي شاملا للجميع ، واتبع فيه المسلمون كافة السبل فى الوصول الى نشر دعوتهم ، فعلمـوا فى دورهم وفى المساجد وفى كل مكـان ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكثر عدد المسلمين ، وأصبحت غالبية السكان على الدين الاسلامي ، انصرف الناس عن نشر الدين الى النظر فى امور المعاش والى تنظيم الدين وضمان العبادة الصحيحة ٠ ويقتضي النظام الاجتماعي أن يكون البدء فـي تعليم الاجيال عن طريق تربية الاطفال حتى اذا شبوا أصبحوا مطبوعين بطابع الجيل الجديد ، لذلك فقد تطـوع المسلمون الاوائل بالتعليم بدافع الروح الحديث ، فلما انتشر الاسلام ، تعذر أن يقوم التعليم على التطوع ، فظهرت (صناعة التعليم) وتناول المعلمون الاجر وأفتى الفقهاء بذلك ، فكان بعض المعلمين يقوم بمهمته هذه بالمساجد ولكن عدم تحفظ الصبيان من النجاسة جعل الفقهاء يقولون بمنع تعليم الصبيان فيها ، فظهرت الكتاتيب منفصلة عن المساجد ، حيث نهض بالتعليم فيها ، معلـم ٠ هو الذي يستأجر (الكتاب) ويتخذه مكانا للتعليم وقد يشرك معه معلما أو أكثر اذا كان عـدد الصبيان كبيرا ٠ ولكن الغالب وجود معلم واحد «٢٠» ٠

هذا ولما كانت الحكومة ليست مسؤولة عن هـذه الكتاتيب وليس لها

---

١٩ ــ يطلق على هذا المقعد فى العراق اسم (مندر) وهي كلمة اعجمية .
٢٠ ــ القابسى المصدر السابق .

سلطان عليها أو اشراف على سير التدريس فيها باديء الامر «٢١» • لذلك فان بامكان أي شخص قاريء ، حافظ للقرآن ، أن يتخذ التعليم حرفة ومكتسبا «٢٢» • وان لم يكن على درجة من القدرة على التدريس أو تربية الاطفال • ومهما يكن من شيء فان الشخصية العلمية التي تتولى ادارة الكتاب • على رأي القابسي أقل ما فيها أن يكون صاحبها (حافظا للقرآن ، عارفا للخط والكتابة وترتفع شخصيته مع تزود علوم العربية والنحو والشعر ، أما شخصيته الدينية فلا شك فيها لانه يعلم القرآن وهو أصل الدين ويقيم الصلاة ويعلمها للصبيان) •

وهكذا وبمرور الازمنة والعصور ، ظلت طريقة انشاء الكتاتيب سائرة على هذا المنوال الا أن المستوى الثقافي للمعلمين فيها قد تضاءل تبعا لتقهقر الحياة وانحطاطها بصورة عامة • حتى اذا كان العهد العثماني بات أكثر معلمي الكتاتيب لا يملكون من الثقافة الا حفظ القرآن وقراءة الادعية مع احاطة بسيطة بامور الدين • وقد تولى هذه المهنة فى العراق كثير من الفرس والافغانيين والهنود «٢٣» ، ولعل قصة (غَل ِمسل َ ما فى غلبي !!) تعود الى مثل هؤلاء المعلمين وفحواها أن أحد هؤلاء كان يدرس طالبا أول درس في القرآن وكانت سورة (الحمد لله) اذ كان الاستاذ يقرأ والطفل يعيد ما يقول فلما وصل الاستاذ (وهو فارسي لا يقدر على لفظ الضاد بصورة صحيحة ، انما يلفظها بالزاد) الى عبارة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال (غير المغزوب عليهم ولا الزالين) فكررها الطفل كما تلفظها قبله الاستاذ ، فأكد عليه الاستاذ ان ما تلفظه غلط والصحيح هو (غير المغزوب عليهم ولا

---

٢١ ـ كانت قد أصبحت فيما بعد تحت اشراف (المحتسب) .
٢٢ ـ التربية والتعليم فى الاسلام الدكتور محمد اسعد طلس بيروت ١٩٥٦
٢٣ ـ كانوا فى العهد العثماني يطلقون على معلمي الكتاتيب من غير العرب اسم (لالا) و (لالا) لفظة تركية تعني (مربي الصبيان) .

الزالين) فلما أعادها الطفل بمثل ما تلفظها استاذه غضب هـذا قائلا ••••• أيها الكسلان (غل مسل ما فى غلبي) أي قل مثل ما فى قلبـي (لان الفرس يقلبون (القاف) غاء و (الثاء) سينا) • وهكذا كانت هذه الحادثة مثلا مشهورا فى حقل التعليم فى العـراق •

ولقد تغير اسم معلم الصبيان على مر الازمنة حتى صار أيام العثمانيين ذا عدة مسميات تبعا لاختلاف المدن والامصار الإسلامية ، فقد سمي باسم (الشيخ) و (الفقيه) و (الملا) و (لالا) ولكن الاستعمال الاكثر فى العراق هو (الملا) وجمعه (الملالـي) •

أما مؤدبات البنات من النسوة فكن يسمين (الملايات) مفردها (ملايئة) •

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الباب هو أن لفظة (مّلا) قد أصبحت لا تعني المعلم بل صارت تعني محـل التعليم أي (الكتاب) فقد كان الناس يقـولون •••

لقد درس فلان فى (الملا) وأنه (ذهب الى الملا) وأنه (يقرأ القرآن فى الملا) وهكـذا •

ونظرا لاهمية هذه الكتاتيب فى تلك العصور المظلمة باعتبارها المعـاهد الدراسية الابتدائية الوحيدة نسجل فيما يلي أسماء بعض معلمي كتاتيب بغداد فـي العهد العثماني الاخير وهـم «٢٤» :

اسم المـلا	محل الكتاب
١ ـ الملا صالح بن حيـدر	بـاب الشـيخ
٢ ـ الملا محمد بن الحـاج فليـح	الحضرة الكيلانيـة
٣ ـ الملا قاسـم المغربـي	الحضرة الكيلانيـة
٤ ـ الملا عبد الغني الملا حيـدر	بـاب الشـيخ
٥ ـ الملا محمد بن الملا على سبته	جامع الدسـابيل
٦ ـ الملا أحمد بن الحـاج فليح	سـوق الجوخجيـة

---

٢٤ ـ البغداديون . أخبارهم ومجالسم المصدر السابق .

٧ ـ الملا ابراهيم أحمد الحاج فليح	مسجد حسب الله
٨ ـ الملا السيد صالح الفرضي	مرقد قنبر علي
٩ ـ الملا جابر	حادي بادي
١٠ ـ الملا الحاج محي الدين مكي	جامع مرجان
١١ ـ الملا داود بن عارف	مسجد العمار
١٢ ـ الملا كمال الهندي	مسجد ظهير الدين
١٣ ـ الملا عبد الله	البو مفرج
١٤ ـ الحاج حسن	جامع السهروردي
١٥ ـ الملا رميض	عزات طوالات
١٦ ـ الملا رحيم	مسجد الخضيري
١٧ ـ الحاج عباس بهي	الحضرة الكيلانية
١٨ ـ السيد أحمد المغربي	الحضرة الكيلانية
١٩ ـ الملا محمد فليح	الحضرة الكيلانية
٢٠ ـ الملا أسعد	الحضرة الكيلانية
٢١ ـ الملا عبد الله اللنجاري	مسجد النقيب
٢٢ ـ الملا عبد الرزاق المعروف	مسجد طالب الكهية
٢٣ ـ الملا سلمان الاورفه لي	محلة السنك
٢٤ ـ الملا مهدي الملا رحيم	مسجد بيت مدلج
٢٥ ـ الملا مهدي	الحمام المالح
٢٦ ـ الملا لطيف	جانب الكرخ
٢٧ ـ الملا رجب	جانب الكرخ
٢٨ ـ الملا داود	جانب الكرخ

الضبط والانضباط

لقد كان الاب يقود ابنه الى الكتاب فى العهد العثماني وبعد أن يتفق مع الملا على الاجور يخاطبه بقوله ....

هذا ابني ، لك منه اللحم ولي منه العظم !! أي ان الآباء فى ذلك العهد كانوا يرون فى المعلم (الملا) المهذب الاول لاولادهم ، فهم يخولونه حق تأديبه ومعاقبته بأقسى العقوبة ان هو أساء التصرف والادب أو قصر فى أداء واجباتــــه .

وفى الواقع أن الفقهاء المسلمين الاوائل التفتوا الى هذه الناحية فأجازوا عقوبة الضرب فى حالــة ترك الصلاة كما أمروا بالضرب فى جميــع الحالات التي يحتاج اليها الوالد أو المعلم فــي تأديب الصبيان . وهذه الحالات فـي نظرهم هـــي :

عدم حفظ القرآن ، اللعب ، أذى الغير ، الهرب من الكتاب . وما الــى ذلك مــن أنواع الذنوب الخلقية المدرسية . ولكن هؤلاء الفقهاء وان كانوا أجازوا الضرب فقد أحاطوا ذلك بسياج من الشروط حتى لا يخرج الضرب من الزجر والاصلاح الى التشفي والانتقام «٢٥» .

وعلى هذا الاساس كانت الكتاتيب فى العهد العثماني تسلك هذا الطريق مع كل طالب كسول أو مشاكس ، ولقد كان أبرز أداة تثير الرعب والخوف فى نفوس الصبيان هي (الفلقة) وهي عبارة عن خشبة بطول ثلاثة أو اربعــة أشبار مثقوب طرفاها وفيها حبل دقيق يوضع فيها الساقان وتفتل الخشبــة حتى يقبض الحبل على الرجلين قبضا شديدا ويمسك عادة بأحد طرفي الفلقة واحد قوي من الطلاب وبالطرف الآخر مثله ، ثم ينهال المعلم ضربا على رجليه بعصا دقيقة أو قضيب الخيزران وهو يبكي ويصيح ويستغيث فلا يغاث «٢٦» .

ويجدر بنا قبل أن نختم هذا الموضوع أن نثبت هنا الاسس التي وضعها

---

٢٥ ــ القابسى المصدر السابق .

٢٦ ــ السيد محسن الامين . سيرته بقلمه . بيروت ١٩٥٧ .

المربون المسلمون الاوائل والتي سار عليها معلمو الكتاتيب وهي :

١ ـ ان العقوبة البدنية للصبيان الذين تجاوزوا العاشرة مباحة .

٢ ـ لا يلجأ المعلم للعقوبة البدنية الا عند الضرورة القصوى وعليه أن لا يكثر استعمالها ، واذا استعملها يجب أن لا يكون متشفيا قاسيا بل مؤدبا رحيما .

٣ ـ يكون الضرب بالدرة على أن تكون رطبة مأمونة ولا يضرب على الرأس ولا على الوجه بل يضرب على الافخاذ وأسافل الرجلين لان هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة «٢٧» .

كتاتيب البنات :

لم يكن تعليم المرأة فى الاسلام بدعة لان المؤمنين والمؤمنات ، مكلفون جميعا بنص القرآن الكريم ولا تتيسر معرفة الدين الا بنوع من التعليم لذلك أفتى الفقهاء بوجوب تعليمهن بأسانيد دينية ، وليس ما يمنع تعليمهن كما يتعلم الصبيان أو ذهابهن الى الكتاتيب فى الصغر . وقد رأى القابسي ان من الصلاح ومن حسن النظر أن لا يخلط بين الذكور والاناث خشية ما قد ينتج عن ذلك من فساد الاخلاق لذلك جعل الكثيرين يعلمونهن على حدة «٢٨» .

ولا نريد هنا الافاضة فى بحث تعليم المرأة فى العصور المختلفة ولكننا نقول أن المسلمين الاوائل لم يقفوا مانعا فى سبيل تعلم المرأة . بل على العكس، فقد كان الامام أحمد بن حنبل مثلا ، يؤكد على اخراج الحرائر من عزلتهن العقيمة ولزوم تثقيفهن وتأديبهن «٢٩» . ولكن تطور الحياة وتدهورها كما رأينا فى العصور المظلمة وتغير الاحوال تغيرا عظيما ، جعلت الناس ينظرون

---

٢٧ ـ تاريخ التربية الاسلامية المصدر السابق .

٢٨ ـ القابسى المصدر السابق .

٢٩ ـ مقال (الثقافة النسوية فى العراق فى العصور الاسلامية) بقلم الدكتور مصطفى جواد المعلم الجديد ـ الجزء الاول والثاني ـ السنة السابعة عشرة ايلول سنة ١٩٥٣ .

الى المرأة وكأنها قطعة أثاث فى بيت الرجل يستخدمها لتوليد الاطفال وتربيتهم فقط «٣٠» . ولذلك كانوا يقولون أن للمرأة حقا فى الخروج من دارها مرتين طول عمرها ، المرة الاولى عندما تزف الى زوجها فتذهب من دار أهلها الى داره . والمرة الثانية عندما تموت فتخرج جنازتها من البيت الى القبر !!

نعم هذه هي النظرة التي كان ينظر بها الى المرأة فى أكثر المدن العراقية ، فلا عجب اذن أن نقرأ كتابا بعنوان (الاصابة فى منع النساء من الكتابة «٣١») كان قد ألفه صاحبه سنة ١٣١٣ هـ المصادف ١٨٩٧ م يقول فيه ...

(... فاما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله ، اذ لا أرى شيئا أضر منه بهن ، فأنهن لما كن مجبولات على الغدر ، كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد . وأما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف كلام بها ، فانه يكون رسالة الى زيد ، ورقعة الى عمرو ، وبيتا من الشعر الى عزب وشيئا آخر الى رجل آخر .

فمثل النساء والكتب والكتابة ، كمثل شرير سفيه ، تهدي اليه سيفا أو سكيرا تعطيه زجاجة خمر . فاللبيب من الرجال هو من ترك زوجته فى حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأنفع) .

وبعد هذا فالاستاذ خير الدين الالوسي رحمه الله كان يرى أن فى جهل المرأة منعا للمفاسد عنها اذ يقول .....

(... ان تعليم المرأة سيجرها الى المفاسد ، لان الكتابة ، ان تعلمتها توصلت الى أغراض فاسدة ، وأمكن توصل الفسقة اليها على وجه أسرع وأبلغ من توصلهم اليها بدون ذلك . لان الانسان يبلغ بكتابته فى أغراضه الى غيره ما لا يبلغه برسوله ، ولان الكتابة أخفى من الرسول ، فكانت أبلغ فى

---

٣٠ ـ خطط الموصل ج ٢ المصدر السابق .

٣١ ـ تأليف خير الدين نعمان بن أبي الثناء الالوسى وهو مخطوط فى مكتبة الاوقاف ببغداد .

الحيلة وأسرع فى الخداع والمكر) .

وعلى هذا يمكن أن نقول أن وضع المرأة العراقية أبان العهد العثماني كان فى غاية التأخر بسبب ضغط الحياة عليها من جميع الجهات . ويمكن القول أن تعليم المرأة ، تلك العصور لم يكن شيئا يذكر وان كانت هناك بعض الكتاتيب تقوم بادارتها بعض (الملايات) يعلمن فيها بنات الاسر المتوسطة غالبا ، القرآن الكريم واصول الديانة بينما كانت بعض الاسر الموسرة تخصص بعض المعلمين أو المعلمات من معلمي الكتاتيب لتدريس بناتهم .

ولابد من الاشارة فى هذا الباب الى أن كتاتيب البنات كانت تكثر في العتبات المقدسة والمدن التي أكثريتها من الجعفرية ، بسبب ما تحتمه الضرورة من وجود (ملايات) يقرأن مقتل الحسين (ع) فى شهر محرم أو فى الاشهر الاخرى أو قراءة المواليد فى المناسبات النسوية المختلفة «٣٢» .

ومهما يكن من شيء فان كتاتيب البنات على قلتها كانت تجري في بيوت (الملايات) وهي تجري عادة على نفس النمط المتبع فى كتاتيب الصبيان مع اختلاف فى تلاوة بعض السور وتدريبهن على بعض الاشغال اليدوية .

ومن (الملايات) اللائي ساهمن فى تعليم الفتيات فى بغداد الاتي اسماؤهن «٣٣» .....

اسم الملاية	محلة الكتاب
١ ــ الملاية قنبورة	الحيدرخانة
٢ ــ الملاية أسماء الحاج حسن الهندي	باب الشيخ
٣ ــ الملاية مرزوكة	باب الشيخ
٤ ــ الملاية نعيمة	السيد عبد الله
٥ ــ الملاية فطومة بنت اسماعيل	العاقولية

---

٣٢ ــ أقدم أصدقائي العرب . الدكتور جون فانيس . ترجمة جليل عمسو بغداد ١٩٤٩ .

٣٣ ــ البغداديون : أخبارهم ومجالسهم المصدر السابق .

٦ ـ الملاية بيبية	رأس الساقية
٧ ـ الملاية زهرة	سراج الدين
٨ ـ الملاية ملكة	راس الساقية
٩ ـ الملاية بهية	دربونة العطار
١٠ ـ الملاية حياة الامام	باب الشيخ
١١ ـ الملاية شفيقة	الحيدرخانة
١٢ ـ الملاية بيبي	الكرخ
١٣ ـ الملاية عطية	الكرخ
١٤ ـ الملاية خجاوي	الكرخ
١٥ ـ الملاية أمونة الخضيري	الدسايبل
١٦ ـ الملاية درويشة الفرضي	قنبر علي
١٧ ـ الملاية رازقية (ام ناجي)	الكرخ
١٨ ـ الملاية مهناية المولى	الكرخ

الكتاتيب فى آخر العهد العثماني ٠

كانت الكتاتيب كما رأينا هي المرحلة الدراسية الوحيدة لتعليم الصبيان فى العهد العثماني قبل أن تقوم الدولة العثمانية باتباع اسلوب التعليم الحديث وذلك فى أوائل القرن التاسع عشر ، حيث قامت تلك السلطة بفتح (المكاتب) الاولية والابتدائية تدريجيا لتحل محل هذه الكتاتيب ٠ أما فى العراق فقد جاء هذا النظام اليه متأخرا اذ لم يكن فيه من المكاتب الا عدد ضئيل جدا وانها وان كانت تحمل اسم (مكتب) الا أنها كانت ناقصة المناهج ، ولم تزد العناية بها الا بعد أعلان المشروطية عام ١٩٠٨ ومع كل تلك العناية ما كانت لتزيد عن (١٣٠) مدرسة ابتدائية فى كافة أرجاء البلاد ٠

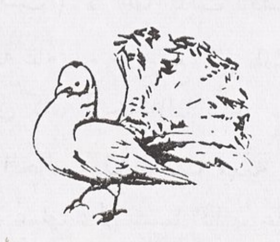
وعلى هذا فان تلك الحالة لم توقف مهمة الكتاتيب وعملها فى ميدان التعليم بل ظلت مستمرة فى عملها ، لا سيما اذا ما علمنا أن الدراسة فى المكاتب

الحديثة كانت تجري باللغة التركيـة .

أما فى المناطق الشيعية فقد بقيت تلك الكتاتيب على نشاطها لان الاتراك لم يفتحوا فيها الا بعض المكاتب التي لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة فـي بعض المدن الكبيرة ، وعليه يمكن القول أن الاخذ باسلوب التعليم الحديث لم يغير من وضعية الكتاتيب فى العراق ان لم يكن قد زاد منها لا سيما فـي السنوات الاخيرة من الحكم العثماني .

وليس لدينا احصاء رسمي نستطيع منه الوقوف على عدد هذه الكتاتيب قبـل أن تنطـوي صفحة الحكـم العثماني فـي العراق غـير أن التقرير الصادر من وزارة المعارف العراقية لسنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ م يكشف لنا عددها استنتاجا . فلقد جاء فى هذا التقرير أن عدد الكتاتيب فى العراق سنة ١٩٢٣ بلغ نحوا من (٣٠٠) كتابا يدير كل واحد منها (ملا) واحد . فاذا ما علمنا أن المدارس الحديثة بمعلميها كانت قد انتشرت فى أكثر المدن العراقية تدرس العلوم بلغة البلاد أدركنا أن عدد الكتاتيب بهـذه الحركة العلمية قد تناقص حتى أصبح (٣٠٠) فى سنة ١٩٢٣ . ولذا يمكننا أن نقول أن الكتاتيب فـي العراق أيام العهد العثماني الاخير ما كان عددها يقل عن الـ (٤٠٠) كتاب .

ومهما يكن من شيء فقد كان الكتاب يؤدي واجبه فى نشر التعليم على تلك الصورة التي ذكرنا صفحة منها . وأنه وان زال الان من الميدان فسيظل الكتاب فى تاريخ التعليم فى العراق معهدا طرق بابه كثير من الصبيان فى تلك العصور المظلمـة .



المدارس (١)

كان العلم فى الصدر الأسلامي الاول يبث بكل مكان من مسجد أو منزل أو سفر أو حضر وحتى فى الاسواق ولم يخصص له مكان بعينه ينتابه الناس، والمدارس انما حدثت بعد الاربعماية من سني الهجرة «٢» .

ويعتبر فتح السلاجقة للعراق ودخولهم بغداد فى ٢٥ محرم سنة ٤٤٧ هـ أول عهد بانشاء (المدارس) . أنشأها الوزير نظام الملك (الذي وزر لالب أرسلان ولملك شاه) فنسبت هذه المدارس اليه وعرفت باسم (المدارس النظامية) . وقد اقتدى الناس به من حينئذ فى بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفى بلاد الجزيرة وديار بكر ومن ثم فى مصر وبلاد الشام وغيرها من الامصار الاسلامية . وبتأسيس (المدرسة النظامية) صار الناس يشعرون بصبغة حكومية، يراد بها السيطرة على العلماء وأن لا يكون العلم حرا كما يراد بها من طرف خفي التحكم فيها وتحديد أمرها، فعدّ هذا أول تدخل فى امور العلم . لذا أبدى البغداديون النفرة وأكبروا أمر التدخل فى حريته . ولم يقفوا عند أمر احباط هذا المشروع أو الاحتجاج عليه بعرقلة التدريس أو غير ذلك من الوسائل بل قاموا بأمر خيري من نوعها . فأكثروا من المدارس ولم يدعوها مقصورة على النظامية ولا على المدرسة الاعظمية . اذ لم تمض نحو مائة سنة الا وبلغت المدارس نحو ثلاثين مدرسة لها مستغلات عظيمة، ولم يجعلوا العلم محددا فى مدرسة واحدة أو اثنتين، بل رفعوا القيود المتوقعة، بهذا العمل وزال الخوف مما كانوا يخشون ولم يصروا على محاربة المدارس

---

١ — ان كلمة مدرسة كانت تطلق فى تركية وايران على المعاهد الدينية فقط وهذه تلي (الكتاب) عادة أي أن من ينهي الكتاب يكمل تحصيله في هذه (المدارس) . وان الاتراك خصصوا اسم «المدرسة» للمدارس ألدينية وألمدارس ألحديثة سموها (مكاتب) .

٢ — تاريخ مساجد بغداد وآثارها — المصدر السابق .

مواطن العلم ولا كرهوا المدرسة لذاتها .

وهكذا تقدم أهل الخير لهذه المشاريع ، فتكونت ثقافة لا تزاحم . أما هذه المدارس فقد كانت أشبه شيء بالمساجد الا أن الوجهة الثقافية فيها غالبة وفى المساجد وجهة العبادة غالبة والتلازم مشهود ، فأدت هذه المعاهد خدمات عظيمة واشتركت الواحدة مع الاخرى أو تعاونا معا على التهذيب والتثقيف فقامت كل مؤسسة بمهمتها والغاية واحدة «[٣]» .

وبمرور الزمن أخذت هذه المدارس تفقد ما كانت عليه من علو المركز والاهمية ، كما أخذ عدد الطلاب يتناقص شيئا فشيئا مع الايام ، حتى أصبح أكثرها أثرا بعد عين . ولعل النهاية الاليمة التي نزلت بالمدارس النظامية خير دليل على ذلك فقد اختفت نظامية بغداد فى ظروف غامضة وبعد أن (كانت روضة من رياض الجنة ومأوى الكتاب والسنة ومشرق أنوار العلوم ومطلع بدور علماء المنطوق والمفهوم ، قد أصبحت مسكنا لاراذل اليهود ومجمعا لاقذارهم وجيفهم مع أنها كانت أول بيت يبنى للعلم وشيد لنشر الفضائل ؟ وان ما جرى عليها وعلى أمثالها نتيجة تلاعب أقوام كانوا أعداء المعارف وآفة العدل وخصوم الانصاف الذين أهملوا أسباب الحضارة وجدوا فى الافساد وتخريب البلاد «[٤]» . فلقد تعرض العراق كما مر بنا الى ضروب المحن والمصائب من حروب طاحنة بين الاتراك والفرس ومعارك وفتن بين الولاة والامراء ونكبات وأرزاء من الامراض والاوبئة والفيضانات ، حتى اذا انتهى الامر الى تسلط العثمانيين كانت الثقافة فى حالة من الانحطاط لان وضعا اجتماعيا كهذا لا يؤمل منه فلاح ولا يتيسر فيه نشاط أدبي أو علمي ، غير أن هجوم المتغلبة على هذه الربوع سواء كانوا من الفرس أو العثمانيين لم يمكنهم من الهجوم على (الجوامع والمدارس) فهذه أصل (مناهج تعليمية ثابتة)

---

٣ ـ من كلمة للاستاذعباس العزاوى المحامي في كتاب(الدليل لاصلاح الاوقاف) للاستاذ محمد احمد العمر بغداد ١٩٤٨ .

٤ ـ مساجد بغداد وآثارها المصدر السابق .

ومؤسسات دينيــة لا تتناولها أيدي العدوان فى الاكثر لان الحرمة للمساجد والمدارس مرتكزة فى النفوس ولكنها لم تَسْلَمْ دائما بل لم يُصِبها الاعتداء من كل الوجوه «٥» • ولذلك فقد كادت تندثر هذه المؤسسات ، لولا أن أُعِيدَ بعضها ، وأسس القليل منها لا سيما وأنها كانت المخرج الوحيد للعلماء والادباء والموظفين والتجار وسائر الصنوف فى ذلك العهـد ، غير أن هـذه الظروف والاحوال الطارئة كانت قد شَوَّشَتْ أمرها وأثرت عليها كثيرا «٦» •

ولقد كان العراق أيام حكم المماليك «٧» أشبه ما يكون بدولة مستقلة لا يربطها بالباب العالي غير الاسـم وغير ارسال الهَدايا والاتاوى • ولذلك كانت سلطتهم سلطة تستند الى اخوة عنصرية تَجْمَعَ أهل البلد الواحد فـي بلاد غريبة كانوا يبقون فيها عبيدا لو لم يَتَسَنَّ لهم حكمها ، فأصبحت سُلالة نصف وراثية غير تركية ، حتى بقى السلطان العثماني مدة خمسين عاما لا يعد العراق الا جارا محترما «٨» • ولقداشتهر من هؤلاء فى تشجيع الثقافة، سليمان باشا الكبير أبو سعيد ، اذ ذُكِرَ عنه انه أول وزير تركي أحيا العلم والادب فى العراق وخصوصا فى بغداد ، اذ قرب العلماء والادباء واحترمهم وبذل الاموال اليهم تنشيطا على نشر العلم فرغّب الناس فى عهده بالعلوم والآداب وبنيت عدة مدارس وكثر طلاب العلوم والآداب •

ولكن أشهر وزراء المماليك فى هذه الناحية هو (داود باشا) الذي بذل جهده فى سبيل ارجاع عز بغداد ومجدها العلمي فقرب اليه العلماء والادبـاء واحترمهم وأكرمهم وحرّض الناس على الاشتغال بالعلوم والآداب والفنـون

---

٥ ـــ العراق بين احتلالين ج ٤ عباس العزاوي .

٦ ـــ العراق بين احتلالين ج ٥ العزاوي .

٧ ـــ دام حكمهم نحو مائة سنة ابتدأت بوزارة سليمان باشا الكبير وانتهت بعزل داود باشا ومغادرته بغداد سنة ١٨٣١ .

٨ ـــ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث المصدر السابق .

فبنى عدة مدارس وجوامع ومساجد فتقدم العلم والادب والشعر وتنافس العلماء والكتاب وتنفست بغداد فى زمانه ودب فيها بعض الشعور العلمي حتى بلغت المعاهد العلمية بسعيه ثمانية وعشرين معهدا «٩» . ومهما يكن من أمر هذه العناية فان كثيرا من هؤلاء المماليك سلكوا هذا السبيل ترويجا لسياستهم وتوطيدا لاركان حكمهم ، فلما استتب الامر لهم وشاعت الطمأنينة بين السكان ساعد هذا الوضع على نشر الثقافة ونموها ويسر الاتصال بثقافة الاقطار المجاورة . وتمكنت المعرفة وفاضت وكان العراقيون يفضلون المماليك لحمايتهم للمعرفة ولكن الاهليين لم ينتفعوا من ثقافتهم للادارة انما كان ميلهم وانصرافهم الى العلوم الدينية ، ولذا كانت الثقافة فى هذا العهد يدير شؤونها رئيس العلماء ومن معه من العلماء «١٠»

أما الدور الذي تلا أيام المماليك فى العراق فقد عد عهد اغفال للثقافة واهمال لامرها، ولو أن (المدارس) ظلت سائرة بقوة الاستمرار، ولكن الدولة لم يكن لها يد فى انشائها ولا فى التغذية العلمية ، بل ربما كانت المساعي مكينة فى احباط ما بذل فى العلم وتقويته مما أدى الى اختلال أمرها بسبب صدود الحكومة عنها «١١» .

ولئن كانت العناية منصرفة الى انشاء بعض المدارس خلال العهد العثماني فى بغداد فان الحواضر العراقية الاخرى كالموصل والبصرة لم يكن فيها شيء من النشاط فى هذا المجال لان تدهور الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى العراق وتعرضهما للمعارك والغزوات والسلب والنهب قد أخر النظر فى مثل هذه المطالب وان كان التاريخ يحدثنا عن بعض الولاة الذين قاموا بانشاء بعض المدارس وأوقفوا لها بعض الاوقاف اسوة بما كان يعمله امراء وولاة بغداد .

---

٩ ـ مختصر تاريخ بغداد . علي ظريف الاعظمي .

١٠ ـ العراق بين احتلالين ج ٦ العزاوي .

١١ ـ العراق بين احتلالين ج ٨ العزاوي .

وهكذا ما أن دخل القرن العشرون حتى كانت علائم التأخر بارزة للعيان في كافة أنحاء البلاد وقد وقف المرحوم العلامة انستاس الكرملي (مجلة لغة العرب ـ الجزء الاول ـ عام ١٩١٢) متسائلا قائلا ... (لا أدري ما السبب لهذا التأخر ؟ غير أن النواميس الطبيعية التي وضعها الحكيم جلّ وعلا هي أقوى دليل على اثبات الاسباب ، فقد قضى ربك أن يكون لكل شيء ناموس طبيعي يجذبه الى العلو ويرفعه الى فوق واذا فسد مجراه عاد الى الوراء أو هوى الى تحت . وقد كانت هذه البلاد ، لما كان القائمون بها رجالا يسيرون بها على مقتضى القانون والحكمة التي وضعها الله سببا لرقي الامة : منبع الحكمة ، وكعبة العلم ، وأم المدنية ، وعروس الحضارة ، والتقدم في العلم والادب والصناعة والتجارة والزراعة والحكمة والفلسفة والطب والهندسة وغير ذلك ، فنبغ فى ذلك الاوان أولئك الرجال الكبار الذين كانوا السبب الاعظم فى كشف كثير من الاسرار الغامضة فى عالم الطبيعة .

أما اليوم وقد بدل من على هذه الارض وتغيرت تلك الاحوال وطمست الآثار وتهدمت صروح العلم وسلط ربك على هذه البلاد الغرق والحرق والطاعون والتفرقة ، غدت العربية تندب رجالها وتبكي المنازل أبطالها والمدارس طلابها وأمست الى ما تراه ، أي لا تجد من الناس الا القليل ممن يعرف تاريخ بلاده وحياة آبائه أو يحسن النطق بلغته وهل بعد هذا الهوان العظيم أعظم وأدهى ؟! وكلما سرحت طَرْفي فى تاريخ هذه البلاد وأخذت افتش عن المعاهد والمنتديات وتلك المدارس والكليات وتلك المعالم والمستشفيات لا أجد فيها الا آثارا قائمة على جرف هار كالمستنصرية وقد أصبح قسم منها دارا للمكس وآخر مطبخا للآكلين وشطراً منه مشرب قهوة للبطالين وأهل الفراغ » ! .

مدارس بغداد (١٢)

ومن المدارس والمعاهد التي كانت تجري فيها الدراسة والتي زال أثرها ، والمدارس التي لا تزال آثارها موجودة حتى اليوم هي :

١ ـ المدرسة النظامية : كانت أقدم مدرسة فى مدينة السلام ، بل أول بيت وضع للعلم فى بلاد الاسلام ، وكانت فى جانب الرصافة وسط سوق الثلاثاء ، بناها أبو علي الحسن بن علي بن اسحق بن عباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي ، تم بناؤها سنة ٤٥٩ هـ • ولما جرى على بغداد من المصائب احترقت مرتين ثم أعيدت ثم اندرست رسومها وانمحت علومها وتفرقت جموعها وعمها الخراب وتناثر منها التراب وألفها الوحش اليباب • ولم يبق منها سوى بقايا مئذنة وكانت تسمى (المنارة المقطوعة) والمحلة التي حولها قريبة من الشارع العام تسمى محلة المنارة المقطوعة وكانت على مقربة من جامع مرجان •

٢ ـ المدرسة المستنصرية : شيد هذه المدرسة أبو جعفر المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣٠ هـ و سنة ١٢٣٢ م اذ افتتحت فى هذا العام وباشرت بتأدية واجبها العلمي على أعظم وجه الى أن حدثت حادثة التاتار وخراب بغداد على أيدي الفجار فنال المدرسة ما نالها • وبعد أن تولى أمر بغداد من تولى عاد شمل المدرسة وأهلها الى ما كان عليه ولم تزل مجمع الافاضل والفضائل الى أن دخل العراق فى حوزة الدولة العثمانية فهناك اختل أمر المدرسة وانتظامها ، وغابت عن أفقها شمس العلم وتفرق عنها جموع الطلبة والمشتغلين وخلت ربوعها من العلم والعلماء العاملين • وهكذا ظلت ربوع المستنصرية فى هذا العهد خالية من الانيس ومجالسها لا يسمع فيها صوت تدريس ، حتى اذا

---

١٢ ـ لقد اعتمدنا فى الكتابة عن مدارس بغداد العلمية ، على كتاب (مساجد بغداد وآثارها) تأليف المرحوم العلامة محمود شكري الالوسي وكتاب (البغداديون أخبارهم ومجالسهم) تأليف الاستاذ ابراهيم الدروبي •

ولي بغداد سليمان باشا الكبير ، جعل المستنصرية (خانا) ووقفها على مدرسته (السليمانية) اخمادا لنورها ونسيانا لذكرها ولم تزل موسومة من يومئذ بخان الموصليين . وكان المجلس العسكري فى أواخر العهد العثماني قد استأجرها من دائرة الوقف وجعلها مخزنا لملابس الجنود . وقد أسف لذلك كل ذي دين وبكتها الاقلام بدمع معين ، وقد رثاها الشعراء منهم المرحوم معروف الرصافي والمرحوم جميل صدقي الزهاوي ..... فقد جاء فى قصيدة الرصافي عن لسانها هذه الابيات ...

وضيعني الالى عرفوا بمجدي — وبي كم قد غدا لهم انتفاع
وبعد اولئك العلماء صارت — بعين الجهل ترمقني الرعاع
وبعت بأبخس الاثمان بيعا — على زهد كما بيع المتاع «[١٣]»
فيا بغداد كيف نبذت عهدي — كما نبذت يراعتها الصناع
فها أنا فيك أنشد عند بيعي — (أضاعوني وأي علا (أضاعوا)

أما الزهاوي فقد جاء في قصيدته ...

وقفت على المستنصرية باكيا — ربوعا بها للعلم أمست خواليا
وقفت بها أبكي قديم حياتها — وأبكي بها الحسنى وأبكي المعاليا
وقفت بها أبكي لشعري بناتها — وأنعي سجاياها وأنعي المساعيا
بكيت بها عهدا مضى في عراصها — كريما فليت العهد لم يك ماضيا

٣ — مدرسة الامام الاعظم : شيدت هذه المدرسة بجوار مشهد الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، شيدها شرف الملك أبو سعيد محمد بن منصور الخوارزمي سنة ٤٥٩ هـ . وقد سارت فى العهد العثماني فى

---

١٣ — لقد باعتها الحكومة العثمانية بالمزاد العلني فاشتراها سليمان باشا الكبير سنة ١٢٠٦ هـ والحقها بوقف المدرسة السليمانية ، ثم استولت عليها المالية وجعلتها من أملاكها ولكنها سلمت الى دائرة الاوقاف ، وقداستأجرتها منها مديرية الاثار العامة فيما بعد حيث قامت بترميمها .

تأدية رسالتها على أتم وجه اذ كانت آهلة بالعلماء والطلاب ، وقد درس فيها كثير من العلماء المشهورين • وقد استمرت فى أداء مهمتها الدينية حتى أيام جمال بك (السفاح) والي بغداد الذي شيد الطابق العلوي فيها لتكون كلية تدرس فيها العلوم الاسلامية والفنون الحديثة وقد فتحت أبوابها للطلاب حتى زوال الحكم العثماني «١٤» •

٤ ـ المدرسة السليمانية : هي المدرسة التي انشأها أبو سعيد سليمان باشا والي بغداد وأوقف عليها أوقافا عظيمة للصرف على لوازمها والحق بها مكتبة عظيمة ، وبنى فيها الحجر الكثيرة لطلاب العلم ، وقد خصصت من هذه المدرسة شقة اتخذت مسجدا جامعا تقام فيه الصلاة ، وبناية المدرسة فى الوقت الحاضر تقع على مقربة من مديرية شرطة بغداد بينها وبين الاعدادية المركزية للبنين •

٥ ـ المدرسة العلية : كانت هذه المدرسة قد شيدت على شاطىء دجلة غربي جانب الرصافة ، شيدها علي باشا الشهيد والي بغداد سنة ١١٧٦ هـ • وقد أمر بانشاء هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية وتعليم الفنون العقلية والنقلية ، وقد ازدهرت بالطلاب وتصدر فيها للتدريس فطاحل العلماء آخرهم العلامة السيد محمد أفندي الطبقچلي ، حيث اندرست معالمها فيما بعد ولم يبق اسمها ولا رسمها ذلك أن مدحت باشا والي بغداد سنة ١٢٨٥ هـ غيرها وجعلها مدرسة للصنايع ومطبعة لجريدة الزوراء وقد اتخذت مقرا للبرلمان فيما بعد •

٦ ـ المدرسة المرادية (مدرسة نائلة خاتون) : تقع هذه المدرسة أمام جامع الحيدرخانة فى بغداد • وكانت أول أمرها مسكنا لمراد أفندي ، أحد رجال الدولة العثمانية وامرائها ، فلما توفي وقفته زوجه (نائلة خاتون) واتخذته مدرسة تشتمل على غرف كثيرة ، وعلى مصلى للعبادة ووقفت عليه بساتين وعقارا • أما مدرسة جامع المرادية الواقع فى الميدان فقد كانت مدرسة

---

١٤ ـ معجم العراق ج ١ ... المؤلف .

تدرس بها العلوم العقلية والنقلية وآخر من تصدر للتدريس فيها العلامة المرحوم الشيخ قاسم القيسي والعلامة السيد عبدالرحمن المشهور بالسيوطي .

٧ ـ مدرسة جامع علي أفندي : يقع هذا الجامع فى محلة البارودية ببغداد ، شيده الحاج علي أفندي ابن مراد من أهالي القرم سنة ١١٢٣ هـ وشيد فيه مدرسة علميـة لتدريس العلوم والمعارف وعين فى الجامع مدرسا واماما وخطيبا وثلاثة مؤذنين وقارىء القرآن العظيم وقارىء دعاء الختم ومعلم صبيان . وشيد فيه ثلاث غرف لسكن الطلاب الغرباء . وشرط أن تعطي لكل طالب علم تخصيصات يومية . وآخر من تصدر للتدريس فى هذه المدرسة امام الجامع السيد عبد الرزاق .

٨ ـ المدرسة الداودية : أو مدرسة جامع الحيدرخانة الواقع على شارع الرشيد اليوم ، شيده الوزير داود باشا وفرغ من تعميره سنة ١٢٤٢ هـ وشيد فيه مدرسة تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وسماها المدرسة الداودية ورصد لها اوقافا كثيرة ، وكانت المدرسة فى كل زمان عامرة بطلابها وتصدر للتدريس فيها كثير من العلماء الاعلام آخرهم العلامة الشيخ عبد المحسن الطائي .

٩ ـ مدرسة جامع الوزير : هذا الجامع واقع فى سوق السراي فى بغداد وهو جامع كبير ومن المساجد القديمة ، جدد عمارته الوزير حسن باشا . وفيه مصلى كبير مطل على نهر دجلة ، وشيد فيه مدرسة علمية تدرس فيها العلـوم العقلية والنقلية وقد تصدر للتدريس فيها أكبر العلماء منهم العلامة الشيخ طه السنوي وغـيره .

١٠ ـ مدرسة مسجد آل شاكر أفندي : يقع هـذا المسجد فى محلة جديد حسن باشا بالقرب من سوق الصاغة وهو مسجد صغير فيـه مدرسة تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وفى سنة ١٣١٨ هـ جعل فيه مدرسة ابتدائية رسمية تحت رئاسة (الخوجة علي أفندي) والمدرس الثاني شقيقه محمد

أفندي • ثم فى سنة ١٣٢٥ هـ نقلت منها المدرسة الابتدائية وبقيت مدرسة العلوم الاصلية •

وكانت هذه المدرسة تزخر بطلابها ومدرسها هو العلامة (الخوجة الحاج علي أفندي) ، أمين الفتوى سنة ١٣٣٦ هـ الذي تخرج عليه العلامة محمد فيضي الزهاوي • وقد درس فى هذه المدرسة الاستاذ منير القاضي •

١١ — مدرسة جامع الآصفية : ان جامع الآصفية من المساجد القديمة فى بغداد وهو واقع الان على رأس الجسر القديم • مطل على نهر دجلة وكان يسمى بجامع (المولى خانة) جدد عمارته (محمد جلبي) كاتب الديوان فى عهد أحمد الطويل سنة ١٠١٧ هـ ، ثم ان الوزير داود باشا جدد عمارته أيضا وسمي (بجامع الآصفية) نسبة الى داود باشا المنعوت بـ (آصف الزمان) وجعل فيه مدرستين اولى وثانية ووقف على لوازم الجامع والمدرسة بعض الاملاك المدونة وقد تصدر للتدريس فى هذه المدرسة فطاحل العلماء آخرهم العلامة المرحوم الشيخ عبد الجليل أفندي آل جميل •

١٢ — المدرسة الطبقجلية : هذه المدرسة واقعة فى محلة العاقولية • كانت فى الاصل دار للعلامة السيد محمد أفندي الطبقچلي «[١٥]» • فجعلها مدرسة علمية وألحق بها مكتبة من نوادر المخطوطات ووقف على لوازمها بعض العقارات وتصدر للتدريس فيها جماعة من أكابر العلماء آخرهم الفاضل السيد صالح السهروردي •

١٣ — المدرسة العمرية : هذه المدرسة واقعة فى جانب الكرخ على شاطىء دجلة شرقي جامع القمرية ، شيدها عمر باشا والي بغداد سنة (١٠٩٠ هـ)

---

١٥ — ذكر الاستاذ محمد بهجت الاثري فى (الفوائت) من كتاب (مساجد بغداد وآثارها) ان (الشيخ أحمد بن اسماعيل مفتي بغداد المتوفى سنة ١٢١٣ هـ) هو الذي وقفها على طلاب العلم ثم اتخذها بعض الشيوخ دارا يسكنها ولا يزال ابناؤه وأحفاده ويقيمون فيها وهي فى محلة (الحيدرخانة) •

وسنة ١٧٦٩ هـ واتخذ فيها غرفا لطلاب العلوم وعين فيها مدرسا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمود من أهل ما وراء النهر • وقد وقف وحبس عليها بعض الاملاك وقد كانت هذه المدرسة مجمع الفضلاء ومثابة الاعلام ، وتحوي خزانة يعجز عن وصفها لسان التحرير كما يقول العلامة محمود شكري الالوسي حيث أصبحت فى زمانه « خراب لا مدرس ولا طلاب ولا تقرير ولا كتاب » •

١٤ — المدرسة السويدية : شيد هذه المدرسة على نهر دجلة فى الجانب الغربي (الكرخ) سنة ١٢٣٩ هـ و ١٨٢٣ ميلادية العلامة الشيخ محمد أمين ابن الشيخ علي السويدي ، وكانت قبلا محل سكناه واشترط التدريس فيها بجميع العلوم العقلية والنقلية وقد كانت مزدهرة بطلاب العلم الا أنها منذ ما يقرب من أربعين سنة حولت الى مسجد سمي بمسجد (خضر الياس) •

١٥ — مدرسة جامع القبلانية : يقع جامع القبلانية فى سوق الهرج ، وهو من مساجد بغداد القديمة ، جدد بناءه (قبلان مصطفى باشا) والي بغداد سنة ١٦٧٧ م كما أن الوالي سليمان باشا الكبير ، جدد عمارته وشيد فيه مدرسة علمية وجعل فيها خزانة كتب تضم نوادر المخطوطات • وقد تصدر للتدريس فى هذه المدرسة علماء أعلام منهم العلامة يوسف العطا مفتي بغداد ومن بعده العلامة الشيخ قاسم القيسي ومن بعده العلامة الشيخ نجم الدين الواعظ •

١٦ — المدرسة المرجانية : تقع هذه المدرسة على شارع الرشيد الآن عند مدخل سوق الشورجة ، شيدها أمين الدين مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني من موالي السلطان أويس بن الشيخ حسن الايلخاني أحد أمراء التاتار وذلك سنة ٧٥٨ هـ وشرط التدريس فيها على المذاهب الاربعة ووقف على لوازمها ما كان يملكه من العقارات فى بغداد وخارجها وقد بنى غرفا فى الطابقين وجعلها مسكنا لطلبة العلم وأجرى عليهم الجرايات

فلما توفي مرجان المذكور سنة ٧٧٤ هـ دفن فى المدرسة وشيد على قبره قبة بديعة الشكل ، ثم أن الوزير سليمان باشا الكبير اتخذ من هذه المدرسة مسجدا جامعا تقام فيه الصلوات الخمس والجمعات والاعياد . وقد درس فى هذه المدرسة عدد كبير من فطاحل العلماء الاعلام .

١٧ ـ مدرسة جامع حسين باشا : هذا الجامع من مساجد بغداد القديمة يقع فى محلة الحيدرخانة ، جدد عمارته (حسين باشا) والي بغداد سنة (١٠٨٥ هـ) وتسمى باسمه وشيد فيه مدرسة علمية تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وعلوم القرآن وعين مقدار الطلبة الذين يدرسون فيها فى كل سنة ، وقد وقف هو وغيره من ذوي الاحسان ، الاوقاف الكثيرة . وقد تصدر للتدريس فيها علماء اعلام آخرهم العلامة الشيخ محمد القزلجي ، وكانت هذه المدرسة تحوي مكتبة تضم نوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة .

١٨ ـ مدرسة جامع الفضل : جامع الفضل من مساجد بغداد القديمة يقع فى محلة الفضل ، كانت فيه مدرسة عامرة يدرس فيها جميع العلوم وفيها حجر لطلبة العلم، جدد عمارته وأحيا رسومه الوزير سليمان باشا سنة ١٢١٠ هـ ويقال أن هذا الوزير هو الذي شيد هذه المدرسة وأوقف على لوازمها أملاكا . وقد تصدر للتدريس فيها العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب والعلامة الشيخ سعيد أفندي . وفى هذه المدرسة مكتبتان احداهما مكتبة العلامة المرحوم الشيخ عبدالوهاب النائب والثانية مكتبة الشيخ سعيد أفندي وهاتان المكتبتان تضمان نوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة .

١٩ ـ مدرسة جامع العادلية الكبير : يقع هذا الجامع اليوم فى شارع المستنصر قبالة المحكمة الشرعية ، شيدته عادلة خاتون بنت أحمد باشا والي بغداد وتمت عمارته سنة ١١٦٨ هـ وشيدت فيه مدرسة لتدريس العلوم في المعقول والمنقول واشترطت تعيين مدرس لهذه المدرسة وأمام للحنفية وامام للشافعية وخطيب ومؤذن وخادم ، كما شرطت أن يكون فى هذه المدرسة (١٥)

طالبا كل سنة وخصصت لكل طالب مخصصات يومية ، وجعلت فى صدر كل طالب اشارة يعلقها فى صدره مكتوب عليها (طلبة مدرسة العادلية بغداد) وقد وقفت على هذه المدرسة أوقافا خاصة بها • وقد تصدر للتدريس فيها أعلام علماء منهم العلامة السيد محمود الالوسي مفتي بغداد والعلامة صبغة الله الحيدري وغيرهما •



٢٠ ـ مدرسة جامع الاحسائي : أو التكية الخالدية ، ويقع هذا الجامع شرقي المحكمة الشرعية على نهر دجلة • كان فيه مدرسة للعلوم العقلية والنقلية تزخر بالطلاب وقد جدده ومدرسته الوزير داود باشا والي بغداد سنة ١٢٣١ هـ وقد اتخذ هذا المسجد زاوية للشيخ خالد النقشبندي • كما أن الوزير الحاج محمد نجيب باشا والي بغداد أجرى اصلاحات فى التكية الخالدية ومدرستها ، كما أن موقوفات عظيمة قد أوقفت على هذا الجامع ومدرسته فى أوقات مختلفة • وقد تصدر للتدريس فى هذه المدرسة علماء كبار منهم العلامة الشيخ خالد النقشبندي والعلامة الشيخ عبد الرحمن الروزبياني والعلامة الشيخ ابراهيم فصيح الحيدري والعلامة السيد أحمد التكية والعلامة الشيخ سعيد النقشبندي وغيرهم • وفى هذه المدرسة خزانة كتب ثمينة تضم نوادر المخطوطات نشأت من ضم كتب السيد أحمد التكية الى مكتبة السيد ابراهيم فصيح الحيدري الذي أوقفها سنة ١٢٩٢ هـ •

٢١ ـ مدرسة جامع الحاج أمين الباجه‌جي : يقع هذا المسجد في محلة رأس القرية ، شيده الحاج أمين جلبي الباجه‌جي سنة ١٢٣٧ هـ وشيد فيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية والنقلية ، وأوقف على لوازمها أملاكه • وأول من تصدر للتدريس فيها هو العلامة السيد محمود أفندي الالوسي مفتي بغداد ، وفى هذه المدرسة مكتبة تضم الكتب المخطوطة النادرة •

٢٢ ـ مدرسة مسجد الحاج نعمان الباجه‌جي : شيد هذا المسجد نعمان جلبي الباجه‌جي سنة ١٢٣٦ هـ وكان فيه مدرسة علمية يدرس فيها العلوم

العقلية والنقلية ، وأوقف عليها وعلى المسجد أوقافا معلومة وشرط صرف غلتها على لوازم المسجد والمدرسة • وقد درس فيها أكابر رجال الدين منهم العلامة (غلام رسول الهندي) وغيره وفى هذه المدرسة مكتبة غنية بمخطوطاتها •

٢٣ ــ مدرسة جامع السيد سلطان علي : هو الجامع المعروف بهذا الاسم المجاور لبناية (اورزدي باك) على شارع الرشيد ، لا يعلم تاريخ بنائه على وجه التحقيق ويقال أنه بني فى زمان يقارب العصر الذي بنى فيه المدرسة المرجانية • وفى سنة ١٣١٠ هـ جدد عمارته السلطان عبد الحميد خان العثماني وأنشأ فيه مدرستين لتدريس العلوم العقلية والنقلية وبنى فيه حجرا لطلاب العلم • وقد درس فى هاتين المدرستين العلماء السيد أحمد شاكر الالوسي والسيد محمود شكري الالوسي والعلامة محمد درويش الالوسي ، والعلامة الشيخ ابراهيم الراوي • وفى هذه المدرسة مكتبة قيمة تضم نوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة •



٢٤ ــ مدرسة جامع النعمانية : يقع هذا الجامع تجاه دائرة البرق والبريد المركزية ، بنته السيدة فاطمة خاتون بنت السيد بكتاش ابن السيد ولي سنة ١٧٧١ م وألحقت به مدرسة علمية لتدريس العلوم الدينية ووقفت على لوازمها عقارات كبيرة • آخر من درس فى هذه المدرسة العلامة الشيخ قاسم البياتي •

٢٥ ــ مدرسة مسجد بابا كوركور : يقع هذا المسجد فى رأس سوق الميدان المدعو (سوق الهرج) وكان سابقا تكية للبكتاشية ثم حول الى مسجد وألحق فيه مدرسة علمية تدرس فيها العلوم الدينية • وتصدر للتدريس العلامة الشيخ عبد الرحمن القره داغي وولده العلامة الشيخ علي القره داغي •

٢٦ ــ مدرسة جامع الخاصكي : يقع هذا الجامع بين شارع المستنصر وشارع الرشيد فى محلة رأس القرية ، شيده محمد باشا الخاصكي والي بغداد سنة ١٠٩٤ هـ ، فيه مصلى تقام فيه الصلوات الخمس والجمع والاعياد ، وفيه مدرسة كانت تزخر بالطلاب وكان يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وآخر

من تصدر للتدريس فيها السيد عبد المجيد بن عبد المالك المشهور بملوكي •

٢٧ ـ مدرسة جامع الخلفاء : وهو الجامع الذي كان قد شيده الخليفة المكتفي بالله خلال الست سنوات من حكمه (٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ) وكان يعرف بجامع القصر ثم أطلق عليه اسم جامع الخليفة ثم جامع الخلفاء • وقد كان الجامع الرسمي للدولة العباسية • وقد شيد فى هذا الجامع سنة ٦٨٧ هـ مئذنة لا تزال قائمة الى يومنا هذا وهي تعرف بمنارة سوق الغزل لان الجامع قد قطعت أرضه وانشىء فى احدى القطع الشرقية منه سوق للغزل • وشيد سليمان باشا والي بغداد (١١٩٣ ـ ١٢١٧ هـ) جامعا فى غرب المنارة بقى قائما الى سنة ١٩٥٧ ويعرف بجامع سوق الغزل ثم هدم من أجل الشارع الجديد • وكانت فيه مدرسة علمية تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وقد تصدر للتدريس فيها علماء بغداد وأعيانهم الاعلام منهم العلامة السيد يحي الوتري والعلامة الشيخ عبد الله الموصلي «[16]» •

٢٨ ـ مدرسة جامع الرواس : يقع هذا المسجد فى محلة دكاكين حبوب على مقربة من شارع الكيلاني ، شيده السلطان عبد الحميد سنة ١٣١٣ هـ وخصص له موارده اللازمة ، وشيد فيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية وجعل فيها مكتبة قيمة تضم نوادر المخطوطات والمطبوعات • وتصدر للتدريس فيها علماء منهم الشيخ عبد المحسن الطائي • وقد أزيل المسجد والمدرسة بمناسبة فتح الشارع الطولاني •

٢٩ ـ مدرسة جامع الشيخ سراج الدين : يقع فى محلة سراج الدين ـ الصدرية ـ وهو من المساجد القديمة ، جدد عمارته الوزير حسن باشا والي بغداد سنة ١١٣١ هـ وشيد فيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية والنقلية وبنى فيه حجر لطلبة العلم • وفى سنة ١٣١٢ هـ كان الشيخ عبد

---

١٦ ـ دليل خارطة بغداد قديما وحديثا الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة .

الرحمن ثنيان قد شيد فى هذا الجامع مدرسة اخرى لتعليم علم التجويد • وقد أوقف له كثيراً مـن الاوقاف • أما اليوم فليس لهذا المسجد أثر لان الاوقاف قد هدمتـــه •

٣٠ ــ المدرسة القادرية : مدرسة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وهي مدرسة قديمة العهد شيدها العالم الفاضل أبو سعيد المبارك المخرمي وفوضها الى تلميذه العالم شيخ الاسلام الشيخ عبـد القادر الكيلاني • وقد تصدر للتدريس فى هذه المدرسة بعد وفاته أولاده وعلماء أعلام غيرهم منهم العلامة الشيخ عبد الله السويدي والعلامة أبو الثناء شهاب الدين الالوسي والعلامـة خليل أفندي الرحبي والعلامة الشيخ عبد السلام الشهير بالشواف والعلامة السيد يوسف العطا والعلامة الشيخ قاسم القيسي والمدرسة باقية حتى هـذا اليوم تزدهر بطلابها وقد خصص لها تخصيصات من غلة الاوقاف القادرية • أما المكتبة فانها عامرة تضـم ما يقرب من سـبعة آلاف مجلد بين مخطوط ومطبــوع

٣١ ــ مدرسة جامع الخاتون : هذا الجامع يقع الآن فى محلة الحيدرخانة وهو على اتصال بدار المعلمات الابتدائية اليوم (المكتب السلطاني فى العهد العثماني) شيدته (منورة خاتون) زوج سليمان باشا والي بغداد سنة ١٢٦٧هـ وألحقت به مدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وفى هذا الجامع حجر للطلبـة فى الطابق العلوي والسفلي • وقد أوقفت عـلى لوازم الجامع والمدرسة بعض العقارات والمسقفات وقد تصدر للتدريس فى هذه المدرسـة علماء أعلام منهم العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب •

٣٢ ــ مدرسة جامع خضر بك : يقع هـذا الجامع فى محلة قنبر علي ، شيده خضر بك سنة ١٢٠٠ هـ ، وشرط أن يكون فيه مصلى تقام فيه الصلوات الخمس والجمع والاعياد ومدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية • وقد أوقفت أملاك كثيرة على هـذا الجامع والمدرسة ، وقد شرط خضر بك

صرف الغلة على مصالح الجامع والمدرسة وشرط أن تكون خزانة الكتب في داره واذا احتاج الطلبة أو المدرس للمطالعة ترسل اليه أو الى الطلبة ثم تعاد الى البيت بعد المطالعة وشرط أن يمنح للمدرس (٣٠ أقجة) فى اليوم . ولكن الجامع والمدرسة استولى عليهما الخراب وبقيا مدة تنوف على عشرين سنة فتصدى لتعميرها المتولي عبد الله بك بن علي بك بن محمد باشا آل عبد الجليل بك ، غير أن التدريس قد ألغي .

٣٣ ــ مدرسة مسجد الشيخ الانصاري : أو مسجد الحاج عبد الرزاق جلبي الخضيري وهو مسجد صغير وفى سنة ١٣٠٣ هـ عمه الخراب وجدده الحاج عبد الرزاق جلبي الخضيري ، وقد شيد فيه طابقا ثانيا جعله مدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية . وكان قد عمر دكاكين فى أطراف المسجد وجعل صرف غلتها عليه وعلى المدرسة .

٣٤ ــ مدرسة جامع حمام المالح : وهو من مساجد بغداد القديمة يقع فى شرقي جامع الفضل ، فيه مدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية . جدد بناءه أحمد باشا بوشناق سنة ١٠٩٩ هـ وأوقف على لوازمه ولوازم مدرسته أوقافا وخصص (١٠ اقجات) يوميا للمدرس ثم توقف التدريس فى هذا الجامع لقلة رواده ثم أعيد اليه فى سنة ١٣٢٧ هـ .

٣٥ ــ مدرسة مسجد السيف : يقع هذا المسجد على شاطىء دجلة الغربي من بغداد وهو من مساجد بغداد القديمة وفيه مصلى تقام فيه الصلوات الخمس وفيه مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية والنقلية ، وقد استولى عليه الخراب مدة طويلة الى أن جدد عمارته داود باشا سنة ١٢٣٦ هـ وأوقف على مصالح المسجد ومدرسته أوقافا معلومة ، وآخر من درس فى هذه المدرسة العلامة الشيخ عبد الحليم الحافي .

مدرسة الشيخ شكر في بغـــــداد

ان المدارس المار ذكرها كانت خاصة بأبناء السنة فی بغداد أما الجعفرية فلم يكن لهم فيها الا مدرسة واحدة هي (مدرسة الشيخ شكر) «[١]» •

كانت هذه المدرسة قد اتخذت لها احدى زوايا (جامع المصلوب) فـي محلة (صبابيغ الآل) مكانا للتدريس وقد تولى الشيخ شكر بنفسه شؤون التدريس فيها ، حيث كان يدرس الطلاب دروس (المقدمات) التي تتألف من علوم النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والبلاغة وشيئا مـن العلوم الفقهيـــة •

ومن تلامذته الذين درسوا فی مدرسته هذه فی أواخر القرن التاسع عشر السادة : المرحوم الحـاج كاظم أبو التمن والمرحوم الشـيخ مهدي الازري والمرحوم السيد حسين السيد عباس والمرحوم الشيخ عباس حمندي ، والحاج عبـد الرزاق الغبان ، وقد سافر هؤلاء بعد انتهاء دراستهم فيها الى النجف الاشرف حيث أكملوا تحصيلهم العالي فيها وأصبح بعضهم من المبرزين بـين العلماء من رجال الدين والمجتهـدين •

أما طلابه الذين لم يسافروا الى النجف الاشرف ، بل أكملوا تحصيلهم فيما بعد فی بغداد فقد كان منهم الحاج محمد حسن كبة والمرحوم السيد جعفر حمندي والسيد كاظم شكارة والسيد عباس شكارة والسيد عباس مهـدي وعبـد الحميد مهدي وغيرهـم •

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من قيام هذه المدرسة بتلقين الطلاب وتدريسهم العلوم العقلية والنقلية شأنها فی ذلك شـأن (المدارس) الخاصة بأبناء الطائفة السنية من حيث الطريقة والاسلوب ، على الرغم من ذلك فـان (السلطة) لم تعترف بها ، ومعلوم أن عدم الاعتراف هذا يحرم طلابها مـن

---

١ ـ كان المرحوم الشيخ شكر عالما فاضلا ومحل اعتمـاد وثقة العلمـاء الجعفريـــة .

امتياز يتمتع به طلبة المدارس السنية ، ذاك هو اعفاؤهم من الخدمة العسكرية، وفى هذا الموضوع بالذات يتكشف لنا جانب من جوانب المحبة والاخوة بين أبناء البلد الواحد على الرغم من تفريق السلطة الحاكمة ورغبتها فى توسيع شقة الخلاف بين الطائفتين • فقد حدثني الاستاذ السيد كاظم شكارة «٢» عن هذه الناحية قائلا (ان أحدا من طلاب مدرسة الشيخ شكر لم يخدم العسكرية، بل أنهم جميعا قد نالوا امتياز الاعفاء ، لا لكونهم (طلاب علم) فى مدرسته ، بل لانهم (طلاب علم) مسجلين فى المدارس السنية المعترف بها لدى السلطة • فقد كان للشيخ شكر صلات ود وصداقة بينه وبين رجال الدين من علماء السنة الاعلام وبموجب هذه المودة تم تسجيل طلابه فى مدارسهم تسجيلا (صوريا) حتى اذا ما حلت (قُرعة) أحدهم أخذ من المدرسة التي قد سجل اسمه فيها كتابا الى دائرة التجنيد يشير الى كونه طالبا فيها وعلى أساسه يحال للامتحان أمام اللجنة الممتحنة حيث يعفى بعدها من الخدمة العسكرية !!) •

أما مسألة اعتراف السلطة العثمانية آنذاك بالمدرسة فلها قصة طريفة تكشف لنا جانبا آخر من جوانب اضطهادها لابناء الطائفة الجعفرية ، أما هذه القصة فخلاصتها .....

ان أحد طلاب مدرسة الشيخ شكر وهو المدعو (سيد جعفر) قد رأى أن مُفاتحة السلطة بمسألة الاعتراف بالمدرسة أمر ضروري ، اذ ليس هناك ما يدعو الى ممانعتها ، وحرمان طلبتها مما يتمتع به زملاؤهم فى مدارس المذاهب الاسلامية الاخرى ، من امتيازات وحقوق ، ولذلك فاتح الشيخ شكر بالامر وحرر (مضبطة) لترفع الى ادارة الاوقاف لاخذ موافقتها بهذا الاعتراف • ثم أنه سلم هذه المضبطة الى الشيخ شكر نفسه ليؤيدها له وجهاء الطائفة ،

---

٢ ــ أحد طلاب الشيخ شكر ومدير حسابات المدارس الجعفرية فى الوقت الحاضر ..

فلما رآها الوجيه (عبـد المجيد المختار) «٣» وهو الذي سعى لبنـاء جامع المصلوب ، بادر بتمزيقها ولم يقبـل بالفكرة لا خوفا مما يترتب عـلى ذلك الاعتراف من تدخل ، وانما خوفا من أن يكون ذلك الاعتراف سببا فى اخراج (جامع المصلوب) نفسه من أيدي الشيعة ! ولو أن الامر انتهى عند هذا الحد لهان ، ولكن ذلك الخوف حمل (المختار) على أن يسد أبواب الجامع بوجه الطلاب ويمنع الشيخ شكر من الاستمرار بالتدريس فيه . فلم يجد الشيخ بدا من الانتقال الى مكان آخر فى نفس المحلة حيث اتخذ من (بُراني) دار (السيد حسين الحيدري) أو ما يدعي آنذاك بـ (الديوة خانة) مدرسة له . وكان عدد طلابه زهاء الخمسين طالبا يأتون يوميا من جانب الكرخ والكرادة والمحلات المجاورة الاخرى .

وقد ظلت هذه المدرسة مثابرة على عملها فى تدريس العلوم وبث الثقافة حتى عـام ١٩٠٨ ، اذ تم فى ذلك التاريخ تأسيس مكتب (الترقـي الجعفري العثماني) حيث تولى الشيخ شكر نفسه شؤون ادارته والتدريس فيه .



٣ ـ هو جد الاستاذ عبد الهادي المختار المفتش الاختصاصي فـي وزارة المعـارف .

مدارس الموصل

كانت ولايـة الموصل هي الاخرى عرضة للحروب والغزوات فى ذلك العهد، فانحطت فيها العلوم لاسيما فى عهد الدولة الايلخانية والدول التركمانية ثم فى زمن سيطرة الاعجام عليها ، ولما استولت الدولة العثمانية على الموصل وفوضت حكمها غالبا الى الوزراء الجليليين، أحدث هؤلاء الوزراء نهضة علمية بما بذلوه من المساعي الحثيثة فى سبيل نشر الثقافة بالمدارس التي شادوها «١» .

ومن يطلع على كتاب (مخطوطات الموصل) لمؤلفه الدكتور داود الجلبي المطبوع سنة ١٩٢٧ م ، يجد خلاصة وافية عن المدارس العلمية التي كانت فى الموصل فى العهد العثماني . ويرى أن هـذه المدارس كغيرها مـن المدارس الاسلامية أما أن تكون ملحقة بالمساجد والجوامع أو فى دور خاصة . وان الكثير منها كان قد شيده الولاة والامراء وبعض ذوي الخير ووقفوا عليهـا العقـارات الكثيرة .

وقد اشتهرت من هذه المدارس . مدرسة الباشا ، ومدرسة الرابعية ، ومدرسة النعمانية ، ومدرسة يحي باشا . واشتهر من المعلمين فى هذه المدارس أكابر العلماء منهم الشيخ يوسف العمري والشيخ قاسم المعروف بابن الخباز والشيخ علي محضر باشي ، والشيخ المفتي عبد الرحمن أفندي الكلاك والملا محمد أمين أفندي ابن الملا عبيدة وغيرهم .

ومن يطالع سجلات مديرية الاوقاف العامة يجـد أن هناك نحو ثلاثين مدرسة دينيـة كانت ولا تزال مرتبطة بها . تجري فيها تدريسات العلـوم العقليـة والنقليـة «٢» .

أما أهم مدارس الموصل التي كانت موجودة فى العهد الاخير من الحكم العثمـاني فهـي :

---

١ ــ تاريخ الموصل ج ١ القس سليمان الصائغ . مصر . ١٩٢٣ .
٢ ــ معجم العراق ج ١ للمؤلف .

اسم المدرسة	المحلة
١ ـ مدرسة ابن يونس النحوي	محلة الشهوان
٢ ـ « الاحمدية	محلة السراي
٣ ـ « جامع الاغوات	سوق باب الجسر
٤ ـ « جامع باب الطوب	سوق باب الطوب
٥ ـ « جامع الباشا	سوق السراجين
٦ ـ « جامع بكر أفندي	راس الكور
٧ ـ « جامع جمشيد	جمشيد
٨ ـ « جامع الجويجاتي	الباب الجديد
٩ ـ « جامع حمو القدو	قرب سوق الميدان
١٠ ـ « جامع الخاتون	حوش الخان
١١ ـ « جامع خزام	خزام
١٢ ـ « جامع عبد الله بك	راس الكور
١٣ ـ « جامع العراقدة	راس الحمام
١٤ ـ « جامع العمرية	الشيخ محمد
١٥ ـ « جامع المحمودين	المحمودين
١٦ ـ « جامع الحاج حسين بك	باب المسجد
١٧ ـ « جامع الجبار	باب النبي
١٨ ـ « جامع الحجيات	القنطرة
١٩ ـ « جامع الحسينية	الرابعية
٢٠ ـ « الخياط	الامام علي
٢١ ـ « ديوان أفنديسي	الحانوتية
٢٢ ـ « الرضواني	الشيخ محمد
٢٣ ـ مدرسة سعد الدين	الامام عون الدين

٢٤ — «	عبد الرحمن جلبي الصائغ	الامام ابراهيم
٢٥ — «	الطغرائي	الميدان
٢٦ — «	العبدالية	باب السراي
٢٧ — «	العثمانية	الرابعية
٢٨ — «	فتحية خاتون	قبالة جامع الرابعية
٢٩ — «	المحمدية	باب البيض
٣٠ — «	محمود بك محضر باشي	باب النبي
٣١ — «	مسجد بنات الحسن	سوق الصاغة
٣٢ — «	الحاج شريف	باب السراي
٣٣ — «	السبيلخانة	جامع جمشيد
٣٤ — «	الشالجي	باب النبي
٣٥ — «	الشيخ أبي العلا	أبي العلا
٣٦ — «	عثمان الخطيب	الشيخ أبي العلا
٣٧ — «	النعمانية	السرجخانة
٣٨ — «	يحي باشا	السرجخانة
٣٩ — «	منصور الحلاج	باب المسجد
٤٠ — «	عمو البقال	عمو البقال
٤١ — «	النبي جرجيس	جامع النبي جرجيس
٤٢ — «	النبي دانيال	مسجد النبي دانيال
٤٣ — «	النبي شيت	جامع النبي شيت
٤٤ — «	المدرس	عمو البقال

وهناك غير هذه المدارس الدينية حوالي (عشرين مدرسة) دينية منتشرة في الالوية والاقضية التي كانت تابعة لولاية الموصل كالسليمانية وأربيل وكركوك .

مدارس البصرة

كانت ولاية البصرة أيام العهد العثماني ، من بدايته حتى نهايته عام ١٩١٤ مسرحا للحروب والمعارك وغزوات السلب والنهب . وكانت فى حالتي الفوضى والهدوء أبعد من أن تفكر فى شؤون العلم والثقافة ، لان حكامها على اختلاف أجناسهم وعناصرهم كانوا فى شغل شاغل عن سلوك مثل هذا الطريق . فقد تعرضت البصرة لهجمات الايرانيين والعثمانيين وهجمات المنتفكيين واستيلائهم عليها ثم دخولها فى قبضة الفرس ثانية والمنتفكيين مرة اخرى وحوزة العثمانيين مرة ثانية ثم استيلاء كريم خان الزندي عليها وتعرضها مرارا وتكرارا لغارات المنتفكيين وأمير نجد وأمير خزاعة وبني كعب . الى أن استقر الامر فى حكمها نهائيا للعثمانيين حتى بداية الحرب العالمية الاولى عـام ١٩١٤ .

ولم نجد واليا من ولاتها قام بمثل ما قام به ولاة بغداد أو الموصل الا واليها الوزير (عبد الرحمن باشا سنة ١٠٩٤ هـ) اذ قام ببناء المساجد وأحيا بعض المدارس وأسس المدرسة المعروفة (بالرحمانية) نسبة اليه «[١]» .

ولدي الرجوع الى مجموعة المدارس الدينية الملحقة بالمعابد فى العـراق والتي تشرف عليها مديرية الاوقاف العامة وجدنا أن هناك مدرستين أخريين هما (مدرسة الحللية) و (مدرسة الرحمانية) أما الزبير فقد كان فيها (٨) مدارس دينية «[٢]» ومدرستان فى مدينة العمارة ، احداهما فى الجامع الكبير والاخرى فى جامع الحاج سالم وهناك مدرسة ثالثة فى جامع قلعة صالح «[٣]» .

المدارس والاوقـــاف :

ان تاريخ التعليم الاسلامي يحدثنا أن التعليم كـان يجري قبل (بيت الحكمة) فى أمكنة غير مخصصة له ، اذ كان يلتقي العلماء بالطلاب فى المساجد، كما كان الراغبون فى العلم يسعون الى دور الشيوخ للسماع منهم فيها . وهكذا

---

١ ـ مختصر تاريخ البصرة علي ظريف الاعظمى بغداد ١٩٢٧ .

٢ ـ سالنامة البصرة لسنة ١٣٠٨ هـ .

٣ ـ معجم العراق ج ١ للمؤلف سنة ١٩٥٣ .

ومن أجل هذا لم تكن هناك نفقات معينة تبذل فى سبيل نشر العلم «[٤]» • ومع مساعدة الخلفاء والامراء والاعيان للعلم والعلماء وأمر التعليم ، فان تلك المساعدة لم تكن منظمة قائمة على خطة أو اساس حتى زمن نظام الملك الذي وضع أساسا قانونيا لمالية المدارس ورتب ميزانيتها ، فبعد أن كان المدرس يدرس مجانا أو فى مقابل أجر يتقاضاه من التلاميذ أصبح يأخذ راتبا فى كل شهر • وبعد أن طلب الناس العلم فى الجوامع أصبحوا يدرسون في المدارس «[٥]» •

وفى العراق عندما أسس نظام الملك (المدرسة النظامية) وصار الناس يشعرون بصبغة حكومية ، وأكبروا التدخل فى حرية العلم ، سارعوا من جانبهم بالقيام بأمر خيري وهو الاكثار من المدارس ، اذ تسابق الناس في تكثيرها ، وتقدم أهل الخير لهذه المشاريع باعتبارها معاهد خيرية وراحوا يوقفون عليها العقارات والاملاك المختلفة ، ما دامت تستهدف عين الاهداف ، من تلقين العبادة والاتصال بالعامة وتعليمهم امور دينهم وتلقينهم الصلاح «[٦]» • فلما تعددت هذه المؤسسات وكثرت الموقوفات عليها ، على مر الزمن كان لابد من مراقبتها فصار من واجب (الحسبة) القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنظر فى أعمال المتولين وتقصيراتهم والمدرسين وواجباتهم الخ • ومن تاريخ الحسبة وتاريخ منصب القضاة يرجع تكوّن مراقبة الاعمال الخيرية •• حتى اذا حل عهد المغول وتشكلت فى العراق (ادارة الاوقاف) راحت تصدر الفرامين بالتدريس والامامة وغير ذلك • وعلى الرغم من الفترة التي تلت ذلك يمكن القول أن الدولة العثمانية لم تتعرض فى أيامها بالموقوفات ولا بالاوقاف ذاتها لذلك كانت تدر الخيرات على المدارس والمساجد والتكايا • وأكثر

---

٤ ــ تاريخ التربية الاسلامية المصدر السابق •

٥ ــ التربية عند العرب الدكتور طوطح •

٦ ــ الدليل لاصلاح الاوقاف المصدر السابق •

المؤسسات الخيرية الجديدة كما مر بنا كانت أيام المماليك . غير أن اضطراب أمر الدولة العثمانية فى عهدها الاخير قد أدى الى اعتلال أمر الاوقاف والتدريس فى تلك المدارس . ولما كانت (ادارة الاوقاف) قد أصبحت مسؤولة عن ادارتها وعن تنفيذ شروط الواقفين، فقد ترتب عليها الاهتمام بأمر التدريس والمدرسين، ولهذا كان (نظام توجيه الجهات) الذي صدر عام ١٩١٣ م يتضمن ما يلي :

١ ــ يطلق اسم الجهات على خدمات المؤسسات الوقفية كالتدريس والخطابة والامامة والقيمية ومحافظة الكتب والتولية .

٢ ــ الجهات قسمان : ــ الجهات التي يتوقف القيام بوظائفها على تحصيل العلم وتسمى الجهات العلمية ، كالتدريس والخطابة والامامة ومحافظة الكتب والجبايـــة .

والجهات التي تتعلق بالعمل والصنعة ولا يحتاج فيها الى تحصيل علم . وتسمى الجهات البدنية كالقيمية والفراشية وخدمة الضرائح .

٣ ــ توجه الجهات المشروطة وفقا لاصولها الشرعية الى المشروطة له ، الذي تتحقق كفاءتـــه .

٤ ــ يجب أن يجري امتحان الجهات العلمية فى استانبول من قبل شورى الاوقاف باشتراك ذاتين يعينهما مقام المشيخة الاسلامية . وفى الخارج من قبل هيئة مؤلفة من خمس ذوات هم (حاكم الشرع . مفتي البلد . ثلاثة من العلماء) ويرأسها حاكم الشرع وذلك بمحضر من مأمور الوقف . وينتخب العلماء الذين يؤلفون الهيئة الامتحانية فى الخارج حاكم الشرع والمفتـــي ومدير الوقف أو مـأمــوره .

٥ ــ يعين لامتحان التدريس مقدار مناسب لا يقل عن عشرة أسطر من كتاب (المطول) ويطلب من الممتحن أن يضع علائم الاعراب عليها ، وفقـا لقواعد اللغة العربية ، ويحرر مضامينها ويترجمها ويصورها . وكذلك يستنبط من هذه العبارات سؤالان مــن كل علم من علــوم الصرف والنحو والمنطق والبيان والمعاني واصول الفقه وعلم الكلام وتلقى عليه .

٦ ـ يجب أن يرجح المجاز على غيره عند حصول التساوي كفاءة فـي مسـابقة التدريس «٨» •

لقد اقتطفنا هذه المواد من نظام توجيه الجهات العثماني ، وهي توضح للقارىء الطريقة الواجبة الاتباع لانتخاب المدرسين آنذاك للتدريس فى المدارس العلمية ، وتبين كذلك الهيئة الممتحنة وسهولة المعلومات المطلوبة ممن يود الاشتراك فـي هذه الامتحانات •

ومهما يكن من شيء فان عدد المدارس الدينية الملحقة بالمعابد فى العراق والتي تشرف عليها ادارة الاوقاف ، حوالي (١٣٣) مدرسة انتشرت فى كافة أرجاء العراق على الصورة الآتيـة «٩» : ـ

المدينـة	عـدد المدارس	المدينـة	عـدد المدارس
بغـداد	٢٥	الزبـير	١
سـامراء	١	العمـارة	٢
الـدور	١	قلعة صالح	١
البصـرة	١	الموصـل	٢٥
عقـرة	١	بيـارة	١
دهـوك	١	مخمـور	١
زاخـو	١	الرمـادي	١
العماديـة	٣	هيت	١
كركـوك	٢٠	عانـة	١
ألتون كوبري	١	راوة	١
كفـري	١	الفلوجـة	١
طوز خرماتو	١	بعقوبـة	١

٨ ـ الدليل لاصلاح الاوقاف المصدر السابق .

٩ ـ معجم العراق ج ١ للمؤلف .

كويسنجق	٨	حلبجة	٢
المنصورية	١	بنجوين	١
أربيل	٥	خانقين	١
السليمانية	٢١	المجموع	١٣٣

أساتذة المدارس

لقد اشترطوا منذ زمن مبكر جدا فى أساتذة المدارس شروطا يمكن اجمالها فيما يلي «[1]» : —

١ — أن لا ينتصب أحد لهذا المنصب العلمي الخطير الا بعد أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أفاضل أساتذته وكبار علماء عصره أو بلدته على الاقل .

٢ — أن يتفرغ للتعليم ، ولا يشرك بعمله الشريف هذا عملا آخر .

٣ — أن يستعلم عن أسماء طلبته وحاضري درسه وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم لما فى ذلك من تقوية الصلات بينه وبينهم ، والتعرف الى ماضيهم .

٤ — أن لا يمتنع عن تعليم أحد منهم علما أو بحثا اذا أنس منه الفهم .

٥ — أن يطرح على التلاميذ أسئلة كثيرة يفهم منها مقدار ما استوعبوه من دروسه فان وجدهم قد فهموا منه أثنى على البارع منهم وشجع المتوسط ، فان وجدهم لم يستفيدوا منه أعاد الكرة .

٦ — أن يختبر مقدار فهم تلاميذه ، فيوصي كل واحد منهم بقراءة الكتب التي تلائم مستواه الفكري ومقدار علمه .

٧ — أن يصون مجالس درسه عن الغوغاء ، واللغط ، وسوء الادب ، والمباحثة .

---

١ — راجع فى هذا الباب كتاب ، تاريخ التربية الاسلامية ، والتعليم في رأي القابسي ، والتربية عند العرب والتعليم في الاسلام .

٨ ــ أن يراعي مصلحة طلابه فى تعيين مواعيد الدروس وساعاتها ، وأن لا يدعي علم ما يجهل • فاذا سأله تلاميذه عن شيء يجهله قال (لا أعلم) •

٩ ــ أن يهتم مع طلابه بالدروس المهمة فيقدم ما تكثر حاجتهم اليه على غيره • وأن يكون مطلق الحرية فى توجيه الطلاب بالشكل الذي يريده ما لم يخالف الشريعة والتقاليد الاسلامية •

١٠ ــ أن يكون مهذبا متدينا متحليا بالاخلاق النبيلة كاظما لغيظه ، حليما وقورا متئدا رفيقا بطلابه • وأن يكون متقيدا بشروط واقف المدرسة منفذا لرغباته ، وأن يكون حريصا على حفظ أثاث المدرسة وكتبها وأدواتها وأن يوصي الطلاب بذلك •

وقد كانت هذه الشروط متوافرة فى معظم المدرسين الذين مارسوا التدريس فى مدارس بغداد والموصل ولا سيما فى العهود العثمانية المتأخرة •

غير ان المدارس المنتشرة فى بقية المدن العراقية لم يكن لها نصيب في تهيأة أمثال اولئك المدرسين •

ومهما يكن من أمر فان اضطراب الاحوال وانشغال الدولة العثمانية بالحروب لا سيما فى العهد الاخير أدى الى اغفال شؤون المدارس ، اذ باتت جهة التدريس توجه كما رأينا فى (نظام توجيه الجهات) الى كل من يستطيع الاجابة عن الاسئلة التي توجه اليه مما لا يقل عن عشرة أسطر من كتاب (المطول) • ويضع علائم الاعراب على ما يقرأ منها الى آخر ما جاء في المادة المنصوص عليها فى النظام • وتمتحنه هيئة مؤلفة من (حاكم الشرع • والمفتي • ومأمور الوقف) وبامكان القارىء أن يتلمس مقدار اهتمام هذه الهيئة بالامتحان وبالعلم والثقافة بعد الاطلاع على هاتين النادرتين •

النادرة الاولى (٢)

يحكى أن (شيخ الاسلام) كان مدينا لشخص بقال أو غيره من أرباب

---

٢ ــ الروض الازهر فى تراجم آل السيد جعفر ص ٤٠٢ لمؤلفه السيد مصطفى نور الدين الواعظ : الموصل سنة ١٩٤٨ •

الحرف ولم يكن يريد وفاء دينه ، وهذا كل وقت يطالبه • فقال له الشيخ
— أتريد أن أعينك قاضيا فى أحد الاقضية ؟ فقال له البقال ، ومن أين لي علم لكي أدير القضاء ؟ فأجابه الشيخ :
— القضاء ليس بشيء ، واني أعلمك كلمة تقولها لمن يأتي فى خصومة • فقال ما هـــي ؟ قال الشيخ ••••••
— قل لمن يأتيك (شاهداك زوجاك !! هل لديك بينة ؟) !!
فصار هذا بعد أن تولى القضاء يقول لكل من يأتيه هذه الكلمات !!

النـــادرة الثانيـــة (٣)

يروى أن قاضي الشطرة الذي انتهت مدته ، رغب فى اعادة تعيينه فـــي (سوق الشيوخ) أو (الحي) فأبرق البرقية التالية الى القاضي ببغداد يلتمس منه ترشيحه لاحد هذين المنصبين قائلا (ان سقتم الشيخ الى السوق فممنون بخمسين ! وان أودعتم الميت الى الحي فممنون بستين !!) وأخيرا عين فى الحي بعد أن دفع الى قاضي بغداد ستين ليرة ذهبا ؟!

ان هاتين النادرتين ، وغيرهما كثير ، تظهران لنا حقيقة الوضع العلمي فى تلك الايام ، أما بعد صدور التنظيمات الخيرية والمباشرة فيما بعـد بتأسيس (المكاتب) على النهج الغربي فقد أهملت المدارس العلمية وزادت عناية الناس بهذه المدارس الجديدة بعد اعلان الدستور عام ١٩٠٨ • فحدث كما يقـول الاستاذ العزاوي (تيار النفرة من جهة والجهل من جهة اخرى) «٤» •

العلماء والمدرسون الاعلام

قلنا أن مدارس بغـداد ومجالسها العلمية ظلت مزدهرة على الاكثر ، وكانت الثقافة فيها ماضية على نهجها العلمي الادبي الاسلامي ، وكلها كما رأينا راحت تتعثر فى العهود الاخيرة • ولما كانت هي المخرج الوحيد للعلماء والادباء

---

٣ — فى غمرة النضال ص ٥٥ — سليمان فيضى بغداد ١٩٥٢ •
٤ — العراق بين احتلالين ج ٨ • بغداد ١٩٥٦ •

والموظفين والتجار وسائر الصنوف ، لخلو البلاد من معاهد العلوم الاخرى ، فقد ظلت هذه مرجعا لتدريس العلوم العقلية والنقلية . وقد تصدر للتدريس فيها أكابر العلماء وأساتذة العلوم وأقطاب الشريعة ، يلقون فيها دروسا خاصة لطلابهم ودروسا عامة للمسلمين كافة »[١] .

ونظرا لطول العهد العثماني فى العراق فاننا سنحاول ذكر أكابر العلماء الذين كان لهم الفضل فى نشر العلم والثقافة فى بغداد وغيرها من المدن العراقية ابتداء من عهد المماليك أي عام ١٧٤٩ م وهـم :

١ ــ آل السويدي وأولهم الشيخ عبد الله السويدي وأولاده وأحفاده
٢ ــ آل الحيدري صبغة الله الحيدري وأولاده وأحفاده
٣ ــ آل الراوي ــ السيد عبد لله واخوه عبد الرحمن وعبد الفتاح وابنه اسماعيل والسـيد عمر
٤ ــ آل الالوسي ــ ومنهم السيد عبد الله والد السيد الاستاذ أبي الثناء
٥ ــ آل الواعظ ــ ومنهم السيد عبد الفتـاح
٦ ــ آل الشواف ــ ومنهم عبد العزيز الشواف استاذ أبي الثناء
٧ ــ آل المدرس
٨ ــ أحمـد الزندي
٩ ــ علي علاء الدين الموصلي

أما علماء الحَقبة التي تلت عهد المماليك فى العراق والتي تبتدىء سـنة ١٨٣١ م فمنهـم :

١ ــ آل الطبقجلي ــ ومنهم السيد محمد سعيد المفتي وأسعد ومحمد
٢ ــ عبد الغني بن محمد جميل بن عبد الجليل المفتي
٣ ــ أبو الثنـاء الالوسـي
٤ ــ محمـد أمين الزند

---

١ ــ البغداديون أخبارهم ومجالسهم المصدر السابق .

٥ ــ محمد فيضي الزهاوي ــ وآل الزهاوي أولاده وأحفاده

٦ ــ آل الحيدري ــ منهم صبغة الله الحيدري الثاني وابنه ابراهيم فصيح الحيدري ٠

٧ ــ عيسى صفاء الدين البندنيجي

٨ ــ آل الشواف ــ ومنهم عبد الرزاق الشواف وعبد العزيز الشواف الذي كان فى عهد المماليك ٠

٩ ــ عبد الفتاح الشواف ــ من فرع آخر من آل الشواف وأخوه العلامة عبد السلام الشواف ٠

١٠ ــ آل الواعظ ــ وهم آل الادهمي منهم محمد أمين الواعظ ٠

١١ ــ آل الراوي ــ اشتهر منهم فى هذا العهد السيد محمد بن السيد حسين آل عبد اللطيف الراوي ٠

١٢ ــ آل الروزبياني ــ منهم الروزبياني وابنه عبد الرحمن الحاج رسول الكردي ٠

١٤ ــ السيد أحمد الموالي ٠

أما العلماء والاسر العلمية التي اشتهرت فى العهد العثماني الاخير فمنهم :

١ ــ الشيخ داود النقشبندي وأولاده ٠

٢ ــ ابراهيم فصيح الحيدري ٠

٣ ــ الشيخ طه السنوي ٠

٤ ــ الاستاذ محمد فيضي الزهاوي وآل الزهاوي جماعة منهم محمد سعيد الزهاوي وأمجد الزهاوي ٠

٥ ــ الاستاذ نعمان خير الدين الالوسي وآل الالوسي كثيرون منهم الاستاذ السيد أحمد شاكر ٠

٦ ــ أحمد بك الشاوي ٠

٧ ــ الحاج أحمد السمين —

٨ ــ حسين البيشدري ٠

٩ ـ السيد ثابت الالوسي .

١٠ ـ السيد جعفر الواعظ .

١١ ـ السيد عبد اللطيف الراوي .

١٢ ـ نجم الدين النائب

١٣ ـ مصطفى وفى من آل الجميل .

١٤ ـ عبد الوهاب نيازي .

١٥ ـ الشيخ طه الشواف .

١٦ ـ السيد مصطفى الواعظ .

أما العلماء الذين بقوا أحياء الى ما بعد احتلال بغداد أو الى ما بعد الهدنة عام ١٩١٨ فهم :

١ ـ الاستاذ محمود شكري الالوسي .

٢ ـ السيد علي علاء الدين الالوسي .

٣ ـ عبد الوهاب النائب .

٤ ـ عبد الرحمن القرداغي «٢» .

علماء الموصل ومدرسوها

أما العلماء الذين نبغوا فى الموصل لا سيما أيام ولاية الجليليين وبعدهم ممن تصدر للتدريس فنذكر منهم «٣» :

١ ـ عبد الله أفندي الدملوجي ٢ ـ عبد الله أفندي العمري

٣ ـ محمد أمين أفندي الخطيب ٤ ـ عبد الباقي الغوري العمري

---

٢ ـ لقد استخرجنا هذه الاسماء اللامعة من كتاب العراق بين احتلالين للاستاذ العزاوي .

٣ ـ تاريخ الموصل ـ القس سليمان صائغ مصر ١٩٢٣ .

وأخذنا هذه الاسماء من رسالة بعث بها الينا الاستاذ الفاضل المرحوم صديق الدملوجي بتاريخ ٦ـ٩ـ١٩٥٣ جوابا على رسالة منا حول هذا الموضوع .

٥ ــ الحاج محمد سعيد الجوادي
٦ ــ الشيخ يوسف العمري
٧ ــ الشيخ قاسم الخباز
٨ ــ الشيخ علي محضر باشي
٩ ــ عبد الرحمن أفندي الكلاك
١٠ ــ الشيخ محمد سعيد الغلامي
١١ ــ يوسف أفندي الرمضاني
١٢ ــ سليمان بك الجليلي
١٣ ــ محمد أفندي الصوفي
١٤ ــ عثمان أفندي الديوه‌جي
١٥ ــ عبد الله أفندي فيضي
١٦ ــ محمد أفندي الفخري
١٧ ــ الشيخ طاهر أفندي
١٨ ــ محمد أفندي عبد الرحيم
١٩ ــ عبد الرحمن الخباز
٢٠ ــ الحاج محمد الرضواني
٢١ ــ السيد حبيب العبيدي

هذا ولم نستطع العثور على أسماء العلماء الذين تصدروا للتدريس فى مدارس البصرة ومع هذا فان عددهم ان وجدوا فلا يتجاوز أصابع اليد الواحدة بعد أن وقفنا على الحالة العلمية فيها .

مناهج الدراسة في المدارس

يجدُر بنا ونحن فى صدد بحث هذا الموضوع فى العراق ، الوقوف على رأي فلاسفة الاسلام من الذين عَنَوا بمثل هذه الابحاث . ولما كان العلامة ابن خلدون قد كتب فى مقدمته فصلا ممتعا عن العلوم ومناهج دراستها فقد رأينا من المفيد جدا أن نثبُت للقارىء أدناه ما يقول ...

« اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولها فى الامصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين :

١ ــ صنف طبيعي ، للانسان يهتدي اليه بفكره وعقله .

٢ ــ وصنف نقلي يأخذه عمَّن وضعه .

والصنف الاول يضم العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ووسائلها وانماء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب

من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر •

والثاني : هي العلوم النقلية الوضعية وكلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا فى الحاق الفروع من مسائلها بالاصول • وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي (الشرعيات) من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للافادة • ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن •

وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى ، المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه ، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة والنص • أو بالاجماع أو بالالحاق فلابد من النظر بالكتاب ببيان ألفاظه أولا وهذا هو علم (التفسير) ثم باسناد نقله وروايته الى النبي (ص) الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراءة فى قراءاته وهذا هو علم (القراءات) • ثم باسناد السنة الى صاحبها والكلام فى الرواة والناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي (علوم الحديث) • ثم لابد من استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو علم (اصول الفقه) •

وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين وهذا هو (الفقه) • ثم أن التكاليف منها ماهو بدني ومنها ما هو قلبي وهو المختص بالايمان وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد ، وهذه هي (العقائد الايمانية) والحجاج عن هذه بالادلة العقلية وهذا هو (علم الكلام) • ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لانه متوقف عليها وهي أصناف منها ، (علم اللغة) و (علم النحو) و (علم البيان) و (علم الآداب) • هذه هي العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية وأهلها •

أما العلوم العقلية : — التي هي طبيعية للانسان ، من حيث أنه ذو فكر ،

غير مختصة بملة ، بل يوجه النظر فيها الى أهل الملل كلهم ، وهذه العلوم هي — علوم الفلسفة والحكمة وهذه تشتمل على أربعة علوم هي :

١ — المنطـــق

٢ — العلـم الطبيعـي

٣ — العلـم الآلهـي

٤ — التعاليـم — وهذا يشتمل على أربعة علوم أولها (علم الهندسة) وثانيها (علم الارتماطيقي) وثالثها (علم الموسيقى) ورابعها (علم الهيئة) •

ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه فمن فروع الطبيعيات (الطب) ومن فروع علم العـدد (الحساب) والفرائض والمعاملات • ومن فروع الهيئـة (الازياج) وهي قوانين لحساب حركات الكواكب «١» •

وعلى هذا الاساس كان المسلمون يسيرون سـيرة طبيعية حيث اتخذوا لهذا الدين الحنيف مدارس ومعاهد علمية عالية يتلقون فيها علوم الشريعة وفقه اللغة وفنون العقل والنقل ، حتى اذا دخل العراق فى حوزة الدولة العثمانية سارع السلاطين والامراء والولاة بانشاء المدارس فيه، لم تكن مناهجها لتختلف فى جوهرها عن مناهج الدراسة فى العصور الاسلامية الاولى الا قليلا •

طريقة التدريس

وقد رسـم الاستاذ الكبير محمد بهجت الاثري صورة واضحة لمنهج الدراسة فى المدارس العلمية فى العراق فى العهد العثماني وكيفية الدراسة فيها حيث يقـــول «٢» •••

كانت العـادة فى المدارس الاسلامية — التي تدرس فيها علـوم الدين واللسان — أن يبدأ الناشيء بعد أن يشدو القرآن الكريم ، ويتعلم الكتابة فى الكتاتيب ، بدراسة النحـو والصرف • فأول ما يتناوله مـن النحـو (متن

---

١ — مقدمة بن خلدون .

٢ — أعلام العراق محمد بهجت الاثري القاهرة ١٣٤٥ هـ .

الاجرومية) أو (شرح الكفراوي) على الاجرومية • ثم شرح (الشيخ خالد)
عليها بحاشية (العطار) • ثم الازهرية بحاشيتها • ثم شرح (القطر) بحاشية
السجاعي ثم (الشذور) ثم (الفاكهي) ثم شرح (السيوطي) على ألفية بن
مالك • ثم شرح (الاشموني) عليها بحاشية (الصبان) ثم (مغني اللبيب)
لابن هشام •

ومن كتب الصرف : الامثلة والبناء والمراح والغزي والمقصود والشافية
وما عليها من شروح وحواشي وتقارير • ويحفظ من النحو (الاجرومية) و
(متن القطر) و (ألفية بن مالك) •

ومن الصرف الامثلة والبناء والمراح • وان شاء حفظ متن الشافية أيضا
حتى اذا حصل على ملكة ما ، وميز بين المرفوع والمنصوب والمجرور ، كلف
قراءة شيء من (الفقه) فان كان (حنفيا) قرأ (نور الايضاح) ثم شرحه
(مراقي الفلاح) بحاشية الطحاوي ، فسائر كتب المذهب (كملتقى الابحر)
و (الدرر على الغرر) و (الدرر) بحاشية بن عابدين •

وان كان شافعيا قرأ ، (متن القاضي أبي شجاع) ثم شرح (ابن قاسم الغزي)
عليه بحاشية (البرماوي) ثم شرح (الخطيب الشربيني) عليه ثم شرح
(التحرير) ثم شرح (النهج) •

وقد يبدأ بقراءة (الفقه) و (النحو) معا قبل أن يقوم لسانه • ثم يقرأ
(فرق المنطق) (فالبلاغة) (فالعقائد)) فاصول الفقه) ويعني بهذه عنايته
بالصرف والنحو • فيقرأ من الوضع (عصام الدين) ومن المنطق (الايساغوجي)
و (التهذيب) و (الشمسية) وما عليها من شروح وتقارير • ومن البلاغة
(شرح عصام) على متن (السمرقندية) • ثم شرح (سعد الدين التفتازاني)
على تلخيص (الخطيب القزويني) • ومن العقائد (النسفية) وشرحها • ومن
أصول الفقه (الشاشي) و (شرح المحلي) على (جمع الجوامع) بحاشية
(البناني) •

وقد يقرأ من الحديث (شرح الاربعين) ومن التفسير طرفا من (تفسير

البيضاوي) أو (الكشاف) للزمخشري . واذا سمت بالطالب الهمة ، شـدا متنا فى (العروض والقوافي) ومتنا فى (الحساب) وكتيبا فى (الهيئة القديمة) وكتيبا فى (الحكمة) وحفظ بضع مقامات من (مقامات الحريري) .



الدراسة فى النجف الاشـــرف

كانت المدارس التي ذكرناها فى الصفحات المتقدمة ، خاصة بتعليم أبناء السنة أما المدارس الخاصة بتعليم أبناء الجعفرية فى تلك العهود ، فقد تنقلت خلالها من مدينـــة الى اخرى تبعـا لانتقال (دار العلم) وعواصم التدريس عندهم • ولقد انحصرت الدراسة ابان العهد العثماني بين مدن النجف الاشرف والحلة وكربلاء بالدرجة الاولى فى حين قامت مدارس دينية اخرى فى مدينتي الكاظمية وسامراء اقتضاها استقرار بعض العلماء من المجتهدين الاعلام فيهما واتخاذهما دارا للتدريس •

ويرجع تاريخ اتخـاذ النجف دارا للعلم وعاصمة للتدريس على المذهب الجعفري كما رأينا الى عام ٤٤٨ هـ ، عندما هاجر اليها من بغداد شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي ، هربا مـن اضطهاد السلاجقة • وقد ظلت مدينة النجف تؤدي واجبها العلمي حتى قامت مقامها مدينة (الحلة) عاصمة (آل مزيد) «[١]» • اذ أصبحت مقرا لاكابر علمـاء الشيعة الامامية زهاء الاربعـة قرون حيث حلت محلها فيما بعد مدينة (كربلا) • ولكنه ما أن حـل القرن الثالث عشر الهجري ، حتى انتقل التدريس منها ليعود ثانية الى مدينة النجف الاشرف فى عهـد العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي «[٢]» • وهكذا عادت النجف مرجعا للتقليد وعاصمة للتدريس ، يهاجر اليها الراغبون فى تحصيل العلم والاجتهاد ، من شتى أقطار العالم الاسلامي • ولقد بلغ عدد (الطلبة) الذين كانوا يدرسون فى مدارسها فى أواخر العهد العثماني زهـاء العشـرة الاف طالب وهم ما بين العراقـي والسوري واللبناني والبحريني

---

١ ــ آل مزيد : أمراء الحلة الذين يرجعون بنسبهم الى عشيرة بني أسـد ومؤسس امارتهم هذه هو أبو الحسن علي بن مزيد الاسدي أسسها سنة ٤٠٣ هـ ودامت حتى عام ٥٤٥ هـ وكان آخر امرائها هو علي بن دبيس بن صدقة .

٢ ــ تاريخ الشيعة محمد الحسني المظفري النجف الاشرف .

والكويتي والايراني والهندي والتركماني والافغاني وغيرهم • ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد هو أن المدارس التي كانت تقوم فى النجف انما كانت تقوم بجهود العلماء والافراد من أبناء الشيعة الامامية أنفسهم • أما الصرف عليها وعلى طلبتها فيتم بواسطة العلماء والمجتهدين مما يرد اليهم من أموال الخمس والزكات وحق الامام والتركات والهبات والتبرعات التي يقدمها المحسنون أينما وجدوا فى هذا الحقل • وليس للحكومة أي صلة بتلك المدارس أو بشؤون الصرف عليها كما هو الحال فى المدارس الاخرى •

مدارس النجف الاشرف

أما أهم المدارس فى النجف الاشرف ابان العهد العثماني والتي كانت تقوم ببث العلوم والثقافة الدينية والعربية فهي :

المدرسة	التأسيس	السنة
١ ـ المدرسة السليمية	أسسها سليم خان الشيرازي سنة	١٢٥٠ هـ
٢ ـ مدرسة المعتمد	تم تأسيسها في سنة	١٢٨٥ هـ
٣ ـ المدرسة المهدية	تم تأسيسها في سنة	١٢٨٩ هـ
٤ ـ مدرسة الشيرازي	أسسها الامام محمد حسن الشيرازي	١٢٩٨ هـ
٥ ـ مدرسة القوام	تم تأسيسها في سنة	١٣٠٠ هـ
٦ ـ مدرسة الايرواني	أسسها الامام الايرواني سنة	١٣٠٥ هـ
٧ ـ مدرسة الحاج ميرزة حسين الخليلي	أسسها الميرزة حسين سنة	١٣١٦ هـ
٨ ـ مدرسة الشربياني	أسسها العلامة الشربياني	١٣٢٠ هـ
		١٣٢١ هـ
٩ ـ مدارس الاخوند (الثلاث)	أسسها الامام محمد كاظم الخراساني	١٣٢٦ هـ
		١٣٢٩ هـ

١٠ ـ مدرسة الخليلي	أسسها العلامة الخليلي سنة	١٣٢٢هـ
١١ ـ مدرسة القزويني	اسسها الحاج محمد القزويني سنة	١٣٢٤ هـ
١٢ ـ مدرسة البادكو بئي	تم تأسيسها سنة	١٣٢٨ هـ
١٣ ـ مدرسة كاظم اليزدي	أسسها الامام اليزدي سنة	١٣٢٧ هـ
١٤ ـ مدرسة الهندي	تم تأسيسها سنة	١٣٢٨ هـ
١٥ ـ مدرسة البخاري	أسسها العلامة البخاري	١٣٢٩ هـ
١٦ ـ مدرسة الصدر	أسست في زمن الحاج محمد حسين الاصفهاني	

طريقة التدريس

كانت طريقة التدريس المتبعة فى مدارس النجف تتردد بين الطريقتين اليونانيتين القديمتين وهما .

أولا ـ طريقة التحليل

وهي أن يتناول الاستاذ المدرس موضوع البحث ويجزؤه الى أقسام ، ثم يتناول كل قسم ويحلله الى أجزاء وهكذا يحلل ويجزيء حتى يصل الى أدق تلك الاقسام ، حيث يتناولها باحثا فى الاسباب والمعاني والالفاظ .

ثانيا ـ طريقة التفسير والشرح

وهي أن يضع الاستاذ أولا نص القضية فيدرسها ويأخذ بتفسيرها على صورة (سؤال وجواب) أو طريقة (فان قلت كذا) ـ (قلت كذا) . ففي هذه الطريقة يبدأ الاستاذ بطرح الاسئلة ، ثم يجيب عليها الجواب الذي يتوقعه من ذلك الطرف المفروض ، فيتدرج اليه بالاسئلة حتى يصل به الاستجواب الى الحقيقة التي يحذقها نفسه »[1] .

ولقد ظلت الدراسة فى النجف تجري على نفس الاسلوب والطريقة

---

١ ـ مقال (الحركة العلمية فى النجف) مجلة لغة العرب ج ٦ السنة الرابعة.

المتوارثة منذ القرن الخامس الهجري مع بعض التجديد والتشذيب اقتضاها تغير الزمان وتطور الامور والاحوال ، اذ كان التدريس يجري على أساس نظام الحلقات ، حيث يرقى الاستاذ منبرا أو يتخذ له ركنا من أركان المجلس ويحيط به الطلبة من كل جانب للاستماع اليه والاخذ عنه .

وليس للدراسة فى النجف محل معين للتدريس يلتزم به الطالب ، فربما يكون فى مدرسة علمية أو جامع عام أو حسينية ، على حسب الاتفاق المتبادل بين الاستاذ وطلابه . كما وان الطلاب مخيرون فى انتقاء الاساتذة دون أن يفرض عليهم شخص معين . ومن طريف ما يرويه المرحوم العلامة السيد محسن الامين فى هذا الباب هذه الحادثة اذ يقول «٢» ....

(جاءني نجفي (من الطلبة) فقال فلان يباحث فى الفقه وهو جد فقيه فوجدت أنه لا يحضر درسه الا هو واثنان من العامليين من نوعه وبعض الشروقيين ، فقلت له ، ان أعمى تزوج بمُبصِرة فقالت له وددت انك كنت بصيرا لترى جمالي وصباحة وجهي ! فقال لها لو كنت كما تقولين لما تركك البصراء الي !! ولو كان هذا الشيخ كما تقولون لما انحصر تلاميذه فى هؤلاء).

والدراسة فيها تستمر طول السنة لا تتأثر بفصل ولا يؤثر فيها حر أو برد أو ماشاكل ذلك ماعدا التغير الذي يحدث فى شهر رمضان المبارك، اذ تجري فيه الدراسة ليلا مراعاة لحالة الطلاب والاساتذة الصائمين .

مراحل الدراسة :

تنقسم الدراسة فى النجف الى مرحلتين هما ....

١ ــ دراسة المقدمات

ويُقصَد بها الدراسة التمهيدية وهي التي تقابل فى العصر الحاضر ، الدراسة الابتدائية والثانوية ، وتسمى هذه الدراسة حسب العرف المصطلح عليه عندهم بدراسة (السطوح) وهي مرحلة القراءة من سطح الكتاب في ذلك

---

٢ ــ أعيان الشيعة ج ٤٠ ١٩٥٧ .

العلم ، اذ يقرأ المدرس عبارة الكتاب ويفسرها • وان كان له نظر خاص أو اعتراض ، شرحه وبينه • ومن كان له من الطلاب قابلية الرد عليه ومباحثته ، رد عليه وباحثه «٣» • ان العلوم التي تدرس فى هذه المرحلة تضم العلوم الآتية :

١ ــ علوم العربية وتشمل النحو والصرف واللغة والمعاني والبيان الخ •

٢ ــ العلوم الرياضية وتشمل الحساب والهندسة والفلك •

٣ ــ العلوم الاجتماعية : وتشمل التاريخ والجغرافية •

٤ ــ العلوم العقلية : وتشمل المنطق والحكمة والفلسفة والفقه والاصول والتفسير وعلم الكلام «٤» •

ويتدرج الطالب فى دراسة هذه الموضوعات حسب الكتب المقررة لها ففي الصرف والنحو يقرأ كتاب (الاجرومية) و (قطر الندى) و (ألفية بن مالك) أو كتاب (مراح الارواح) وكتاب (شرح الخلاصة) • فاذا أنهى الخلاصة ، يكون قد قرأ كثيرا من الصرف ، فينتقل بعد ذلك لقراءة كتاب (مغني اللبيب) •

وفى علم المنطق لا يقرأ الطالب الا (حاشية الملا عبد الله) وكتاب (شرح الشمسية) • واذا أراد التوسع قرأ (شرح المطالع) ، ويقرأ مع هذا العلم بعض الرسائل الفقهية مثل (التبصرة) و (الرسالة العملية) التي يضعها مجتهد الوقت لمقلديه •

وبعد هذا يقرأ فى علم المعاني والبيان كتابي (المختصر) و (المطول) للتفتازاني ، ثم كتاب (الشرائع) فى الفقه •

ومن ثم يشرع فى قراءة اصول الفقه ، وأول ما يقرأ كتاب (المعالم) وقد يقرأ قبله كتاب (المبادي والمعارج) ثم الكتاب الاول من (القوانين)

---

٣ ــ أعيان الشيعة لمصدر السابق .

٤ ــ كتاب الامام السيد أبو الحسن . بقلم أحد خدام الشريعة . النجف الاشرف .

وكتاب (شرح اللمعة) وكتاب (الوسائل) وكتاب (الكفاية) •

وفى علم الكلام يقرأ (شرح تجريد الاعتقاد) •

أما فى الرياضيات فيقرأ (خلاصة الحساب) للشيخ البهائي • وكتاب (أشكال اقليدس) فى الهندسة ، وكتاب (المجسطي) فى علم الهيئة «٥» •

٢ ـ دراسة الخارج

وتقابل هذه الدراسة ، الدراسة فى المعاهد العالية ذات الاختصاص فـي العصـر الحديث ، وهي الدراسة الخارجة عن الكتاب ، اذ فى هــذه المرحلة لا يلتزم الطلبة بكتاب ، انما يتلقون معلوماتهم عن طريق محاضرات الاساتذة وكبار العلماء ، اذ يلقي الاستاذ محاضرته ببيـان الموضوع ، ثم يشـرح لهم جميع الاشكالات الموجودة حوله ، مستعرضا ما أدى اليه اجتهاده واستنباطه مؤيدا ومفندا، ناقضا ومبرما بحسب الموضوع وما يستلزمه ثم يختتم محاضرته أو بحثه باختيار ما يرتأيه فى المسألة ، مفندا جميع الوجوه المعارضة الاخرى • وفى مثل هذه الدراسة يكون المجال حرا للمناقشة والاستفادة حتى وان كانت المناقشة ردا لرأي الاستاذ المحاضر نفسه «٦» •

ان هذه الدراسة هي التي تؤهل الطالب للوصول الى درجـة الاجتهاد فيما بعد اذ يواصل الدرس بصورة لا تنقطع معه الى آخر العمر ، سالكا فـي ذلك طريق التبحر فى العلم • حتى اذا ما وصل الى هذه المرحلة نال شهادة من كبار العلماء المجتهدين تدل على أنه قد أصبح ذا ملكـة قادرة على استنباط الفروع من الاصول وأنه بات ثقة عدل يصح أخذ الكلام عنه •

العلماء والمدرسون الاعـلام

لقد نبغ من العلماء أبان العهد العثماني عدد كبير ممن ساهموا فى نشر

---

٥ ـ مقال (كتب القراءة وطريقة التدريس عند الشيعة فى العراق) بقلـم نجفي . مجلة لغة العرب ج ١ سنة ١٩١٣ .

٦ ـ من رسالة بعث بها للمؤلف سيادة الاستاذ ضياء شكارة (عندما كان قائم مقاما للنجف عام ١٩٥١) جوابا لاسئلته المتعلقة بهذا الموضوع .

التعليم وتصدروا للتدريس فى مدارس النجف والحلة وكربلا والكاظمية وسامراء وقد كان فى المقدمة ، هؤلاء الاعلام وهم :

العلامة الكبير الشيخ جعفر صاحب كتاب ـ كشف الغطاء ـ

العلامة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهرم

العلامة الحاج ملا علي الخليلي

العلامة السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي

العلامة الشيخ مرتضى الانصاري

العلامة السيد محمد كاظم اليزدي

العلامة الامام محمد حسين النائيني

العلامة الشيخ مهدي كاشف الغطاء

العلامة الشيخ محمد ـ الفاضل الايرواني ـ

العلامة الشيخ محمد ـ الفاضل الشربياني ـ

العلامة الشيخ محمد كاظم الخراساني ـ الاخوند ـ

العلامة الشيخ عبد الحسين آل صاحب الجواهر

العلامة الشيخ علي كاشف الغطاء

العلامة الشيخ حسن المامقاني

العلامة الشيخ محمد طه نجف

العلامة السيد محمد تقي الطباطبائي آل بحر العلوم

العلامة الشيخ زين الدين المازندراني

العلامة الشيخ محمد تقي التستري

العلامة السيد حسن الصدر

العلامة الشيخ مهدي الخالصي

العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي

آداب التدريس والمدرس

كان السلطان عبد الحميد الثاني قد أصدر ارادته السنية الى والي بغداد (الحاج حسن باشا) فى سنة ١٣١٠ هـ بتعيين خمسة من علماء بغداد (مدرسين سيارة) فى الالوية والاقضية ، وقد اعتمد الوالي فى تنسيب انتخاب هؤلاء العلماء الى السيد مصطفى الواعظ • فانتخب لهذا الغرض خمسة من العلماء الاعلام «[1]» • ثم طلب منه الوالي أن يحرر له نظاما لاداب التدريس والمدرس فوضع هذه الرسالة ، وها أنذا أثبتها بنصها لاهميتها بالنسبة للارشاد للتعليم في تلك الايام •••••

بسم الله الرحمن الرحيم ويقيني بالله يقيني

لما كان قوام الدين ونظام الملك وانتظامه بالعلم ، الذي هو باعث للسعادة الابدية ، والمعرفة التي هي السبب الاقوى للنجاة والنجاح والفوز والفلاح ، وبهما يمتاز الانسان وينال أقصى مراتب الشرف الذي لا غاية بعده ، وبتدني الزمان وانحطاطه ، نبذ العلم ظهريا واستولى الجهل على كافة الاكناف باغواء دعاة الضلال • وعم جميع الآفاق خصوصا أقطار العراق ، تداركه الله سبحانه بحضرة خليفته فى خليقته أمام المسلمين ، وأمير المؤمنين ، ونائب سيد المرسلين (صلعم) الملك المظفر المطاع ، والخليفة الواجب الاتباع ، حميد الذات فاروقي الصفات ، فانه خلد الله تعالى ملكه وأدام شوكته وأعلى كلمته وأعز دولته منذ رقي ذروة منبر الخلافة وجلس على عرش السلطنة ، وقام فى محراب الامامة ، أحيا ما أنمحى من مراسم الدين المبين ، وأسس على التقوى ما عفى من آثار

---

١ — هم : —

آ — طه الشواف : لقضاء الدليم
ب — الملا قاسم الملا أحمد : لقضاء الجزيرة
ج — الملا عمر الجبوري : لقضاء الكوت
د — الشيخ أحمد داود النقشبندي : لقضاء بعقوبة
هـ — المولوي غلام رسول الهندي : لقضاء مندلي

المساجد والمعابد ، وغمر بانعامه المسلمين ، وتعاهد امور مملكتـه وتفقد أحوال تبعتـه •

وحينما عرض على أعتابه الملوكيـة وسداتته الخاقانية ، صاحب الدولة حسن باشا أدام الله اجلاله ، أحوال العراق من استيلاء ظلمه الجهل على أكثر العشائر والقبائل، واستعطفه بتعيين علماء مدرسين وفضلاء مرشدين لتخليصهم من أسر الجهل واطلاقهم من قيد الضلال وايقاظهم من نوم الغفلة وتعليمهم أمور الدين والاسلام وأحكام أركان الايمان • صدرت الارادة السنية باسعاف مطلوبه وأجابه دعوته ، وسنحت العواطف الملوكية رأفـة بتبعته ، وعنايـة برعيته ، وخصص لهم الوظائف الكافية وأجرى عليهم الجرايات الوافية • ومن المعلوم أن هذا الامر الخيري المنتج للمصالح النافعة العامة ، هو قريب من الهمة بعيد من الاهمال ، ولا يتم الا بوضع مواد مخصوصة تكون (دستور العمل) ليكون المدرس على بصيرة فى سعيه واقدامه ، ويكون عمله انشاء الله مبرورا وسعيه بمنة الله تعـالى مشكورا •

المـادة الاولـى :

ينبغي أن يكون المدرس عالما عاملا عاقلا مجرب الاطوار متضلعا فـي العلوم ، فصيحا ، بليغا ، مقتدرا على البيان وأداء المواعظ الحسنة ، والنصائح المؤثرة ، عارفا بصناعة التعليم ، واقفا عـلى فن الارشاد ، مطلعا على الامور السياسية وأحوال العشائر والمواقع ، سيارا فى أطراف مركز القضاء ليعم نفعه ولا يضيع سـعيه •

المـادة الثانيـة :

يلزم على المدرس رعاية مصلحة التعليم ، فيكلم كل أحد بما يفهمه ، من تقريب البعيد الذي يجهله بالامثلة والادلة النقلية والعقلية ، قولا وفعلا وعملا مع حسن خلق وتدبير ، وسعة صدر ، مجتنبا عن الالفاظ المستهجنة ، متحررا عن الاقوال الموجبة للتغيير ، هينا ، لينا ، وقورا ، متواضعا متبسطا مع كمال

الاحتياط ورعاية الحـال ، ولا يكن فظا غليظا متهورا ، فانه أقرب لحصول المقصود وأكثر نفعا وأتم وضعا !

المـادة الثالثـة :

يجب على المدرس أولا ، تعليم الناس بالدرس الخاص والعام كل يوم بلا اهمال ولا اهمال ولا فتور ولا قصور ، أحكام الايمان والاسلام ، وأركان الدين والمسائل الاعتقادية والفقهية ، وليتكلم على صفات الباري عز وجل ، وليذكر لهم ما يجب له تعالى ، وما يجوز وما يمتنع عليـه فاذا علموها فيجب عليه أن يعرفهم حكمة ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية ، ويبين لهم عدد الانبياء والرسل والفرق بين النبي والرسول ويحثهم على الايمان بهم كلهم بلا فرق ويبحث عن معجزاتهم القاهرة وآياتهم الباهرة وما يجب لهم وما يجوز وما يمتنع عليهم ، ويثبت بالادلة القطعية عصمتهم عن الذنوب صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها وعدم بلوغ ولي من أولياء الله تعالى درجة نبي مـن أنبياء الله سبحانه أصلا فمن فضل أحدا من الاولياء على أحد مـن الانبياء فقد افترى وضل سـواء السـبيل .

المـادة الرابعـة :

ينبغـي للمدرس أن يبين للناس فضائل آل البيت النبـوي ومناقبهم ومآثرهم معلنا بقوله (حب أهل البيت ايمان وبغضهم نفاق) والحكمة فى ذلك أولا بيان الواقع ونفس الامر ، وثانيا اخراج ما استقر فى قلوب ضعفاء اليقين بتسويل دعاة الضلال من أن أهل السنة والجماعة لا يحبون آل البيت النبوي ، ومهما استطاع المدرس بالروايات الصحيحة المنقولة عن الصحابة فى فضائل آل البيت خصوصا روايات حضرات الخلفاء الثلاثة فى حقهم ، وليذكر من تعظيم الصحابة للآل والثناء عليهم وحسن معاملتهم معهم ، والروايات الصريحة المقبولة ثم ليعطف العنان بالمناسبات الحسنة الى ذكر مناقب الصحابة ومآثرهم وسرد روايات آل البيت فى فضائل الصحابة ليحيط الناس خبرا بأنهم كما أخبر الله

تعالى عنهم بقوله سبحانه : رحماء بينهم ، مع كمال الاحتياط عند ذكر الآل والصحابة (رضى الله عنهم) وليجتنب عن الروايات المنفرة ، بل يَجِد غاية الجَد بتأليف الفريقين على الوجه المشروع بلا افراط ولا تفريط* ولا تعصب يفضي الى الجدال ويوجب القيل والقال فانه نافع انشاء الله تعالى •

neither this extreme nor that extreme

المادة الخامسة :

يقتضي من المدرس تعليم الناس فضائل أولياء الرحمن من الصديقين والشهداء وصلحاء الامة والعلماء العاملين ، وليذكر مناقبهم وكراماتهم وليحذر من الطعن بأحد منهم عموما وخصوصا من غير تصريح بذكر طائفة مخصوصة من المبتدعة بل يخاطب بالخطاب العام فانه أبلغ بالنصح وأعظم تأثيرا فى الزجر وأقرب في القبول للنفع •

المادة السادسة :

اذا قرر المدرس مسألة خلافية بين أرباب الملل والنحل وكان المجلس عاما فليقرر المسألة على الوجه الاحق بالادلة الواضحة بعبارات سهلة المآخذ قريبة التناول ، حتى يعلم السامع ما يقول ويفهم ما أراد ، ثم ان شاء ورأى المصلحة فى ذكر قول المخالف فليذكر قول القائل كقوله مثلا ــ وخالف بعض الناس هذه المسألة ــ وقالوا كذا كذا وقولهم مردود بكذا • ثم يقول وما قلناه هو الحق وما عداه باطل ونحو ذلك مما يقارب ما شرحناه ، قال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال) •

المادة السابعة :

الواجب على المدرس أن يعلم الناس بعد الايمان والاسلام أحكام الصلاة وبقية أركان الدين على الوجه الذي ذهبت اليه الائمة الاربعة والمذاهب المتبعة ، وليعلمهم الشرائط والاركان والواجبات والمكروهات والمفسدات ، وليعرفهم كيفية الوضوء والاغتسال والصلاة قولا وفعلا وعملا • والاجراء بالفعل أوقع فى النفس وأقرب من القول، وليتوضأ بمحضرهم ويصلي

بهم وبعد الصلاة يعظهم ويأمرهم وينهاهم ، فيحضهم على أداء الصلوات الخمس والمواظبة عليها وصلاتي الجمعة والعيدين ، وكيفية صلاة الجنازة . وينهاهم عن تركها ويذكر لهم ما جاء عن الله تعالى ورسوله (ص) من الوعيد والعقوبة لتاركها . وبعد ختام الدرس يرفع يديه بالدعاء لحضرة أمير المؤمنين أعز الله نصره ثم يدعو لاخوانه المسلمين .

المادة الثامنة :

الواجب على المدرس ، المبادرة بالامر وعدم التواني والقصور و الفتور والتراخي فى وظيفته من كافة الجهات . وأن يجتنب عن الشواغل الدنيوية غير الضرورية كالبيع والشراء . وأن يحافظ على مسلك العلم وشرف التدريس وصيانة المقام مع التواضع والوقار ، محرزا عن ضياع الاوقات بالبطالات وارتكاب الهزليات وما لا ينبغي من العبث وعن كل ما يخل به . وليعلم أنه مأمور بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم ونصح المسلمين ، وان خالف شرطا من هذه الشروط المشروحة يكن مسؤولا باجراء الايجاب عليه بما يقتضيه الحال من العزل والتبديل .

المادة التاسعة :

ينبغي اعطاء الاوامر العلية بتعظيم التدريس واحترامه ووقايته وحمايته وصيانته وترويج اشعاراته وتشبثاته ان كان للمصلحة موافقا وللحقيقة مطابقا .

المادة العاشرة :

يجب على المدرس حث الناس على السمع والطاعة عقب الصلاة وسائر الاوقات الى حضرة حامي حوزة الدين المبين السلطان الغازي عبد الحميد نصره الرحمن ، والانقياد الى أوامر أولياء الامور ، فهو من أهم المهمات وأوجب الواجبات بحكم منطوق آية (وأطيعوا الله ورسوله وأولى الامر منكم) .

المادة الحادية عشرة :

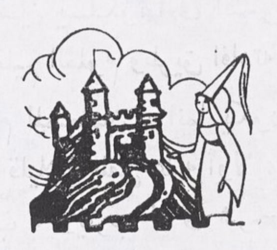
ينبغي أيضا من المدرس اعطاء المعلومات باجراءاته الفعلية وتتائج عمله وان رأت الحكومة السنية واقتضى الحال لاجراء البحث والتفتيش عن المدرسة بالسنة ولو مرة ، فهو منوط الى رأيهم العالي باجراء الايجاب وبالله التوفيق ، والله بقول الحق وهو يهدي السبيل .

خاتمـــة :

هذا ما ظهر وورد على الخاطر الفاتر من تنظيم المواد المقتضية لوظائف التدريس وأوصاف المدرس وآدابه . وأما تعديل هـذه الصور واصلاحها وقبولها ، فهو منوط الى أمر وارادة ملاذ الولاية الجليلة والامر لولي الامر .

تحريرا فى ٧ شعبان سنة ١٣١٠ «٢»

الداعي مفتي لواء الحلة
السيد مصطفى نوري
عفـي عنه
آمـين



---

٢ — الروض الازهر فى تراجم آل السيد جعفر — الموصل — ١٩٤٨ .

اسلوب الدراسة :

لم تكن الاساليب الدراسية وطرق التعليم عند المسلمين الاوائل على ماهو عليه الآن . وليس من شك فى أن تطور الحياة الاسلامية من عصرها الذهبي حتى العصور المتأخرة ، قد جعل أسلوب التدريس وطريقة التعليم ، طريقة ساذجة لا تستند فى الغالب على أي مبدأ من مبادىء اصول التدريس . لان التعليم كما يقول بن خلدون صناعة اختلفت فيها الاساليب والاصطلاحات . فلكل امام من الائمة المشاهير ، اصطلاح فى التعليم يختص به شأن الصنائع كلها .

وغير خاف ، ان الطرق المتنوعة التي كانت متبعة فى التدريس ترجع الى اسلوبين أو الى طريقتين هما (التعليم ، والتعلم) .

فالشرح والالقاء والاملاء والمحاضرة كلها وسائط ، تمكن المعلم من ايصال معلوماته وأفكاره الى تلاميذه .

أما اسلوب المناظرة والمناقشة والمطارحة والسؤال والجواب والاخذ والرد ، فهو واسطة تمكن الطالب من التعلم ، والتفكير والاستنتاج والنمو الذهني . والذي يبدو ، أن القرن الثامن الميلادي ، وهو القرن الذي عاش فيه العلامة بن خلدون ، كانت أساليب الدراسة فيه متأخرة ، فأراد ابن خلدون أن يضع طريقة لزملائه من المدرسين يسلكونها فى التدريس فكتب فى مقدمته فصلا بعنوان (الصواب فى تعليم العلوم وطريق افادته) قال فيه «[1] ....

« اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين ، انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا ، يلقى عليه أولا ، مسائل من كل باب من الفن . هي أصول ذلك الباب . ويقرب له فى شرحها على سبيل الاجمال ويراعي فى ذلك قوة عقله ، واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم . الا أنها جزئية وضعيفة ،

---

١ — مقدمة ابن خلدون المصدر السابق

وغايتها انها هيأتها لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع الى الفن ثانية فيرفعه الى التلقين عن تلك المرتبة الى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف أو وجهه ، الى أن ينتهي الى آخر الفن ، فتجود ملكته ثم يرجع به ، وقد شد ، فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا ، الا وضحه له، وفتح له مقفله . فيخلص من الفن وقد استوحي على ملكته ، هذا وجه التعليم . ثم يصف ابن خلدون ما لمسه فى المعلمين الذين درسوه أو زاملوه فى التعليم فيقول ...

« وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وافاداته ، ويحضرون للمتعلم فى أول تعليمه ، المسائل المقفلة من العلم ، ويطالبونه باحضار ذهنه فى حلها . ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه . ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله . ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا . ويكون المتعلم أول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا من الاقل ، وعلى سبيل التقريب والاجمال والامثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والاستعداد ثم فى التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن . واذا ألقيت عليه الغايات فى البداءات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه عنها حسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله وتمادي فى هجرانه . وانما أتى ذلك من سوء التعليم » .

ومهما يكن من أمر فان ما شاهده ابن خلدون فى بلاده أو فى مصر مما أشار اليه ، فى شؤون التربية والتعليم كان ولا شك أحسن حالا عما كان عليه التعليم فى العراق ، الذي كان آنذاك تحت حكم الدولة « الجلائرية » ، ومسرحا للحروب والانتفاضات المتوالية فى سبيل الحكم والسلطان . ثم ان توالي الاحداث والنكبات على العراق بتعدد عناصر حاكميه وأهوائهم

وانشغال القسم الاعظم منهم فى غير أمور العلم والثقافة ، أدى الى تدهورها ومن ثم أثرت فى طرق تحصيل العلم وتدريسه • ومع كل هذا التأخر والانحطاط فان التاريخ يحدثنا عن نبوغ عدد كبير من طلاب المدارس العلمية فى تلك العهود ، تضلعوا فى مختلف العلوم والفنون العقلية منها والنقلية كما مر بنا • ولكن هذه الحقيقة وحدها لا تدل على ان الفضل راجع وحده الى أساتذتهم، بل لعل الجانب الاعظم منه يعود الى الطلاب أنفسهم ، فان البيئات التي وجد فيها معظم اولئك الطلاب ، كانت فى الاساس بيئات ، اما علمية ، واما أدبية فلا عجب اذا ما رأينا نبوغ أفراد متعددين من العائلة الواحدة كأبناء العائلة الآلوسية والعائلة السويدية والعائلة الحيدرية وعائلة آل الجميل أو آل الواعظ أو آل الزهاوي أو آل الراوي أو آل الشواف أو آل الطبقجلي وغيرهم من العوائل العلمية التى برزت فى تلك العهود ، كما ان حدة ذكاء هؤلاء وعدم وجود ما يشغل الطالب آنذاك من الامور نظرا لتردي الحياة الاجتماعية وانحطاط مستواها من جميع الوجوه ، كل هذه من العوامل هي التي ساعدت على انصراف هؤلاء الطلاب الى الدراسة وانكبابهم عليها مما كانت الطريقة التي يتلقون بها ذلك العلم ، ومهما كان اسلوب الاستاذ الذي يدرسون عليه •

أما كيفية تدريس الطلاب العلوم ، فقد كانت تجري فى هذه المدارس على صورة (الحلقة) اذ كان الطالب يأخذ مكانه فيها والاستاذ قد اسند ظهره الى اسطوانة من اساطين المسجد أو المدرسة ، جالسا على كرسى وقد أمر أحد تلامذته بقراءة الفصل أو موضوع الدرس • اذ كان لهم (مقرؤون) واجبهم القيام بتلاوة النص بينما يقوم الاستاذ بشرحه وتفسيره • كما كان للاساتذة (معيدون) يقومون بالتدريس عند غيابهم ، وينتخب هؤلاء المعيدون عادة من بين الطلاب الذين تتجلى فيهم حدة الذكاء والنباهة وقابلية الفهم السريع (٢) • ولقد كانت الدراسة فى المدارس قبل ادخال الطباعة فى

---

٢ ـ مقدمة فى تاريخ التربية فى مصر الحديثة (بالانكليزية) هيورث • دون

المملكة العثمانية تجري عن طريق قيام الاساتذة بتلقين الدروس على الطريقة الاملائية اذ كان المدرس يملي دروسه املاء وقد لبث الحال مدة من الزمن حتى كثر التدوين والتأليف فشرعوا بعد ذلك العصر بدراسة الكتب وتفهم أغراض المؤلفين منها ، مبالغين فى ذلك مبالغة أدت الى وضع شروح للمتون وحواش للشروح وتقريرات للحواشي حتى زاد الاهتمام بها عن المتون »[٣] .

والدراسة فى المدارس لم تكن تخضع لجدول دروس معين أو موضوعات وفصول محددة يجب السير بموجبها ، بل كانت الامور متروكة للاستاذ نفسه شريطة ان لا يخالف شروط واقف المدرسة ولا بأس بمخالفة تلك الشروط اذا كانت تلك المخالفة لمصلحة الطلاب ، وكانت لا تخالف روح الشريعة والتقاليد الاسلامية المرعية (٤) . لقد كان الاعتماد كله على المدرس لا على المنهج . فأساس التعليم هو (المدرس والكتاب) اذ كثيرا ما نقرأ أو ما زلنا نسمع من أشياخ الماضى من يقول (قرأت على الشيخ الفلاني) ، الكتاب الفلانى » .

وهكذا وبعد ان يجوز الطالب بنجاح قراءة وتفهم مواد الدراسة ، العقلية منها والنقلية ، يكون قد بلغ مرحلة تؤهله لكي يصبح فاضلا ، يأخذ طريقه فى ميدان العلوم الدينية ويسير فى طريق أساتذته أو يبزهم فى علم من العلوم وفى هذه المرحلة ينال الطالب (الاجازة) فى الفرع الذي أتقنه، وبرز فيه ، سواء كان ذلك فى العلوم النقلية او العقلية ، وهذه (الاجازة) تجيز له التدريس مستقبلا بما أجيز فيه .

الاجازة

بينا أن الاكثرية من طلاب المدارس فى العهود السالفة كانوا يسعون

---

٣ ــ تاريخ التعليم فى عصر محمد علي ــ المصدر السابق .

٤ ــ التربية والتعليم فى الاسلام ــ الدكتور محمد أسعد طلس بيروت سنة ١٩٥٦ .

لطلب العلم ما أتيح لهم الفراغ والمال والموهبة ، ويكتفون بالقليل من العلم أو يجمعون منه الكثير على حسب ظروفهم الخاصة . أما اذا كان أحدهم يريد أن يكون مدرسا فانه يترك له أن يقرر وقتما يرى ذلك ممكنا ، أنه أصبح ذا كفاءة تؤهله لان يجلس مجلس الشيوخ . غير أن مجلس الشيوخ هذا لم يكن يسيرا ، ولهذا كان الطالب يتردد طويلا قبل أن ينقل نفسه من مجلس (التعلم) الى « مجلس التعليم » . وكان مجلس التعليم يرهب ، بسبب الاسئلة الكثيرة التى يمطرها الطلاب على المدرسين وبخاصة اولئك الذين هم حديثو عهد بهذه المنزلة ، فاذا استطاع أن يثبت أمام النقاش والاسئلة واذا وفق فى الاجابة عنها واقناع الذين تحلقوا حوله ، فانه حينئذ يستطيع أن يستمر فى عمله ويواصل التدريس بعد اجازته من قبل أساتذته .

وقد كانت الاجازة مقتصرة على (الحديث وروايته) . ثم انتقل هذا من الحديث الى سواه من العلوم . فاذا ثابر الطالب على الاستماع لامالي الشيخ فى الادب أو التاريخ أو غيرهما أو الشرح يقوم به المدرس لكتاب ما ، وتأكد المدرس من استفادة الطالب . كتب له شهادة على الورقة الاولى أو الاخيرة من الكتاب (أتم فلان قراءة هذا الكتاب . وأجزت له تدريسه ..) . وعلى هذا كان يمكن أن يحصل الطالب على (اجازة) فى موضوع ما فى حين يظل طالبا بالنسبة لموضوع آخر .

والاجازة تدل على المستوى العلمي لمن منحت له ، اذ أن الشيوخ ما كانوا يمنحون الاجازة الا لمن كان ذا معرفة تهيء له أن يجيد تدريس الكتاب المجاز به، أو رواية الاحاديث المأذون له فى روايتها . ويشترط لصحة الاجازة ، أن يكون الفرع معارضا بالاصل ، حتى كأنه هو ، وأن يكون المجيز عالما بما يجيز به ، ثقة فى دينه وروايته معروفا بالعلم ، وأن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسمته حتى لا يوضع العلم الا عند أهله «٥» .

---

٥ ـ تاريخ التربية الاسلامية ـ المصدر السابق .

واذا كانت الشهادات أو الدبلومات اليوم تعطي للطلبة عند انتهائهم من دروسهم الرسمية ، فقد اختلفت الاجازة العربيـة الاسلامية عن (الشهادات العلمية الحديثة) لان الاولى كانت تعطي باسم المدرس ، بينما الثانية تقـدم باسم المدرسة أو الكلية ، وكانت الاجازة تمنح كما رأينا لموضوع واحد مـن قبل استاذه • بينما الشهادات تمنح اليوم بعد اجتياز الطالب المناهج المقررة بنجاح • وكما أن الشهادة العصرية يحكم على قيمتها من شهرة وصيت الجامعة التي منحتها ، كذلك كان حكم (الاجازة) يستمد مـن شهرة الاستاذ الموقع عليها «٦» • وها أنذا أقدم فيما يلي نموذجين من هذه (الاجازة) • الاولى تعد أقدم شهادة معروفة وهي الصادرة سنة ٣٠٤ هـ وقد منحها محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري الى أبي عامر سعيد بن عمرو • وهي •••

بسم الله الرحمن الرحيم (٧)

(أطلقت لك يا أبا عامر سعيد بن عمرو أن تروي هذا الكتاب «٨» عني عن أبي علي ، تمام هذا الكتاب • وما كان فيه عن بكر الازدي وسعدان ابن مسـلم ••• وكتب محمد بن عبـد الله بن جعفر الحميري بخطـه فى صفر سـنة ٣٠٤ هـ ••)

أما النموذج الثاني ، فهي تلك الاجازة التي منحها السيد مصطفى نور الدين الواعظ لاحد تلامذة مدرسته العلمية بالحلة وهو (الشيخ أحمد المهنا) وذلك بتاريخ ١٣٣٠ هـ وهـذا نصها •••

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز سلطانه ، العظيم شأنه ، المتواتر فضله واحسانه • فمن

---

٦ ــ التربيـة عنـد العرب ــ المصدر السـابق .
٧ ــ تاريخ التربيـة الاسلامية ــ المصدر السابق .
٨ ــ الكتاب الذي منحت الاجازة عليه هو كتاب (قرب الاسناد) .

وصل حبله بمسلسل جنابه ، فاز بالحسنى ، ومن كرع من سلسبيل فيضه الاسمى حاز المقام الاسنى ، والصلوة والسلام على سيدنا المشهور بين الامم شهرة نارالقرى على علم، سيد الانبياء • ومنهاج الاصفياء ورسول العالم محمد (ص) صاحب اللواء المعقود ، ونخبة الخلق ، من أرسله الله بالهدى ودين الحق ، وعلى آله العترة الاطهار ، وصحبه الاخيار ، من المهاجرين والانصار الذين صحت منهم الاقوال ، وحسنت منهم الفعال ، ما عز عزيز ، وأجاز مجيز وسلم تسليما • أما بعد فيقول عيبة العيوب ، وذوب الذنوب ، المستعين بالله تعالى فى تفريج الكروب ، أبو اسماعيل مصطفى نور الدين الحسيني البغدادي الواعظ مفتي لواء الحلة رفع الله فى الدارين محله ، ان بقاء سلسلة الاسناد لما كان من شرف هذه الامة الامية والعصابة الاحمدية واتصالها بنبيها عليه الصلاة والسلام ، خصوصية لها من بين البرية ، رغب ولدي القلبي الذكي الزكي التقي النقي (مهنا زاده الشيخ أحمد أفندي) حفظه الله ، المعيد المبدي من كل ما يشين ويردي ، بعد أن قرأ علي قريبا من نصف صحيح الامام حجة الاسلام أبي عبد الله البخاري • قراءة تحقيق وتدقيق • وجزءا من صحيح الامام مسلم • ونبذة من كتب السنن الاربعة وبعضا من موطأ الامام محمد بروايته عن الامام مالك رحمهم الله تعالى ، وأجزاء من تفسير القاضي البيضاوي بيض الله غرته • وحضر مجلس الدرس وسمع كثيرا من الدروس المعتبرة نحو الاصول والفروع ، والمعاني والبيان والبديع ، وحل فى سلك الطالبين لتحقيق العلوم من المنطوق والمفهوم ، فى أن أجيزه بذلك بعد أن سمع مني الحديث المسلسل بالاولية وبسائر الكتب المعتبرة من المنقول والمعقول وبقراءة دلائل الخيرات والصلوة والمشيشية وبكل ورد ، ورد من طريق حسن اجازة خاصة عامة في كل علم وفن حسب روايتي عن مشايخي وأسيادي الاعلام عليهم رضوان السلام ، فأجبته لما طلب وأعطيته بغية ما فيه رغب طمعا فى الثواب وطلبا لرضى العزيز الوهاب • وأجزته اجازة عامة مطلقة بالشرط الصحيح المعتبر عند أهل

الحديث والاثر (بحق روايتي) لذلك ما بين القراءة والسماع ، والاجازة الخاصة والعامة ، وأذنت له برواية مؤلفاتي وسائر مروياتي وبكل ما صحت لدي روايتـه ، وتجوز عندي درايته حسبما هو مسطور فى ثبتنا المسمى بـ (عقـد الجيد الجامع لشذرات الاسانيد) ولنقتصر هنـا على الاسانيد التي اخترناها من المرحوم شيخنا العلامة السيد الشيخ داود أفندي عليـه الرحمة لانهـا الاقرب مما عداها والاعلى مما سواها • هـذا وأوصي المجاز الشيخ أحمد أفندي نجـل المرحوم علي بن حسـن المهنا بما أوصاني به أسـيادي وأشياخي من تقوى الله فى السر والعلن والاجتناب عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن لا ينساني وأولادي وأحفادي واخواني مـن صالح دعواته عقيب قراءته وصلواته فى خلواته وجلواته ، قال بفمه ورقمه بقلمه العبد الفقير الى لطف الله تعالى الخفي أبو اسماعيل السيد مصطفى نور الدين الحسيني الادهمي الحنفي نجـل المرحوم الواعظ تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته • والحمد لله أولا وآخرا ، وباطنا وظاهرا ، وصلى الله على سيد المرسلين وعلى كافة الانبياء والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمـــين •



---

٩ ـ الروض الازهر ـ المصدر السابق •

المدارس اخر الدولة العثمانية

وقفنا فى الابحاث المتقدمة على السياسة التعليمية فى العهود العثمانية المختلفة وتلمسنا الاغراض والاهداف العليا التي كانت تهدف اليها السلطة فى تربية واعداد أبناء البلاد . ورأينا كيف كانت الدراسة فى (المدارس) خلوا من علوم الدنيا ، تلك العلوم التي تفيد صاحبها فى زراعة أو صناعة أو غير ذلك من وسائل الحياة . فقد كانت عنايتها منصرفة الى تحقيقات لفظية ، ليس لعامة الشعب فيها غناء ولهذا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا أنها كانت تعنى بتخريج جماعة تكاد تكون منفصلة عن المجتمع . سواء كانت هذه الفئة ممتازة بعقليتها أم لم تكن . فالثابت أنه لم يكن لهذه المدارس كبير حظ فى تثقيف هذا المجتمع ، ذلك لان الاتصال لم يكن وثيقا بين العلم الذي يلقي فيها وبين سواد الناس ، اللهم الا ما كان يقوم به خطباء المساجد ورجال الوعظ والارشاد ، أو كبار العلماء الذين كانوا يختلفون الى المساجد أو المدن الاخرى، اذ كان عامة الناس ومن اليهم ، اذا ما فرغوا من صلواتهم يختلفون اليهم فى لذة وشغف ويقبلون عليهم فى حسن استماع وأدب ، وكان هؤلاء العلماء والخطباء والمدرسون يفقهونهم فى أوليات فرائض دينهم ، ويلقون اليهم بطرف من تفسير القرآن والحديث ويبسطون لهم ما قد يشكل عليهم فهمه من دقائق المعلومات أو يقصون عليهم من روائع القصص الديني ما ينزع بنفوسهم الى الخير ، وينأى بهم عن مواطن الزيغ «[١]» .

ومهما يكن من شيء فان تطور الحياة السريع لا سيما بعد صدور فرمان التنظيمات الخيرية المعروف (بخط كلخانة) أيام السلطان عبد المجيد ، والرغبة الملحة الى الاصلاح وبعض العوامل الدولية الخارجية ، هي التي حملت الباب العالي الى اصلاح أساليب الحكم وتنظيم شؤون الدولة على أسس جديدة فى مختلف الحقول سواء كان ذلك فى تنظيم الشؤون الادارية أو المالية

---

١ — تاريخ التربية فى عصر محمد علي — المصدر السابق .

أو القضائية أو التعليمية «٢» •

ولذلك فان انشاء المكاتب الحديثة وافساح المجال أمام أبناء البلاد لتلقي العلوم والفنون والصناعات كان من جملة تلك المطالب التي أخذ بها لترقية الشعب ماديا ، وتحويل معاهد الدراسة الى معاهد علمانية يكون الاشراف عليها من اختصاص الدولة لا رجال الدين • وقد كانت الدولة العثمانية بادىء الامر منصرفة لنشر التعليم الابتدائي لذلك تركت أمر التعليم العالي ، لان (المدارس) الدينية أشبه بالمعاهد العالية ولم تكن تصلح الا لعدد محدود من الطلبة فقد تركت أمر الدراسة فيها يجري على ما كان عليه ولم تحاول أن تغير مجراه ، غير أنها أهملت أمرها اذ تركتها وشأنها ولم تنتزع منها سلطة رجال الدين عليها كيلا يتكرر ما جرى أيام السلطان سليم الثالث (١٨٠٧) من مآسي بسبب محاولاته الاصلاحية •

ان اعلان (خط كلخانة) يعتبر ضربة موجهة للمدارس العلمية بل والى العلماء أنفسهم كما يقول الاستاذ العزاوي «٣» • ولذلك يمكن القول أن التطور السريع الذي جرى فى العهد العثماني الاخير ، قد غير بعض المفاهيم ، ولم تعد للعلماء ورجال الدين تلك المنزلة البارزة التي لا ينالها نقد أو تقريع فهذا هو المرحوم الاستاذ جميل صدقي الزهاوي ــ نائب بغداد ــ يقف في مجلس المبعوثان ويهاجمهم قائلا ••••

جاء فى الآية الكريمة (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) فلا يظن أحد بأن القصد من (الصالحين) هم العباد والنساك !! انما هم الصالحون لاعمارها !!

كما أن الاستاذ الزهاوي نفسه وقف يعارض صرف المخصصات على تلاوة كتاب (البخاري) فى المراكب الحربية العثمانية قائلا ••••

(اننا نعرف أن البواخر تسير بالبخار لا (بالبخاري) فلماذا لا تنفق تلك

---

٢ ــ البلاد العربية والدولة العثمانية ــ الحصري ــ المصدر السابق •
٣ ــ العراق بين احتلالين ج ٧ •

المخصصات على نشر التعليم ، ليتقن الناس استعمال البخار ما دام هو الذي يسير البواخر ؟! بدل أن تنفقها الدولة على قراءة (البخاري) الذي ليس له فى تسييرها منفعة أو شر ؟!) »[٤] •

وهكذا لم يكد ينتهي الحكم العثماني فى العراق حتى تغيرت حال (المدارس) وتبدلت نظرة الدولة لها ، وعزف عنها الدارسون ، اللهم الا اولئك الطلاب الذين قرروا الاستمرار فى تحصيلهم العلمي الديني فيها ، أما الآخرون فقد وجدوا فى (المكاتب) الجديدة التي أخذت تنشرها الدولة في كثير من المدن والحواضر لا سيما بعد اعلان المشروطية عام ١٩٠٨ ، وجدوا فيها المعاهد التي يربون أولادهم ويعلمونهم فيها •

المدارس والآداب

ظهر لنا من تتبع تاريخ المدارس ، بانها لم تكن الا معاهد دينية بالدرجة الاولى ، اذ كانت موضوعات الدراسة فيها مقتصرة على العلوم الدينية التي سار على تدريسها السلف الصالح من منقول ومعقول ، كما رأينا أن معظم المدرسين فيها كانوا من أكابر رجال الدين ، وعلمائه الاعلام الذين ظلوا قرونا عديدة يحتكرون شؤون التعليم فى البلاد ، لذا كان من الطبيعي أن يكون الاتجاه فى هذه المدارس اتجاها دينيا صرفا •

ولما كان التعليم الديني يتمتع بحرية مطلقة فى وضع دراساته من قبل الاساتذة والمدرسين ، فقد كان لهذه الحرية الفضل فى تكوين أعلام المفكرين من رجال الدين فى عصور مختلفة • كما أن الاتصال الذي حصل بين العراق ومجاوريه من الترك والفرس ، وتأسيس المطابع الحديثة فى العالم الاسلامي سهل لطلاب المدارس وأساتذتهم دراسة ما فى بطون الكتب المطبوعة ، فارسية كانت أم تركية ، علمية كانت أم أدبية • كما أن تأسيس الخط التلغرافي وتنظيم

---

٤ — في غمرة النضال — المصدر السابق •

شؤون البريد واصدار الصحف والمجلات كان له الاثر البعيد فى تنبيه الاذهان واكتشاف القابليات فى مختلف مجالات الحياة الثقافية والعلمية والسياسية .

لقد كانت المدارس فى ذلك العهد ، هي المخرج الوحيد للعلماء والادباء والموظفين والتجار وسائر الصنوف «١» . لانها كانت مدارس علم وأدب ، خرجت فى مراحلها المختلفة العلماء الاعلام وفريقا من الشعراء والكتاب والخطاطين .

الشعر والشعراء

لقد كان اهتمام تلك المدارس بتدريس علوم العربية من نحو وصرف ومنطق وفلسفة وبديع وبيان وعلم العروض وغيرها ، كل هذا كان له الاثر الكبير فى حفظ اللغة العربية . ان دراسة هذه العلوم مضافا اليها ما كان يدرس من علوم دينية ، كانت كفيلة بأن ترسم لصاحبها الطريق الذي سينهجه فى حقل العلم والادب والثقافة .

ولما كانت الحياة أيام العثمانيين لا سيما فى عهودهم الاخيرة حياة بسيطة خالية من أي نشاط ثقافي أو علمي يذكر ، فقد وجد الدارسون فى هذه المدارس ، أن مجالهم الفسيح هو (الشعر) لا سيما بعد ما كان معظمهم يمتلك عدده ، ويجيد عروضه ، ويعرف فنونه ، لذلك أصبح ميدانه أمامهم فى القرن التاسع عشر فسيحا ، غير أن آثار دراساتهم ، وأثر الحياة فى أشعارهم كانت بارزة ظاهرة . وقد لخص مؤرخو الادب العراقي أهداف الشعر العراقي في ذلك العصر بأربع نقاط هي «٢» :

١ ـ مدح السلطان

٢ ـ خدمة الدين

---

١ ـ العراق بين احتلالين ج٥ : العزاوي : المصدر السابق .

٢ ـ الشعر العراقي فى القرن التاسع عشر . الدكتور يوسف عز الدين . المصدر السابق .

٣ ـ الشعر الاجتماعي

٤ ـ الشعر القومي

أما الشعر فى المناطق الشيعية ، فقد تأثر ، نتيجة للتعصب الذي كانت تبديه السلطة الحاكمة ضدهم ، واتجه وجهة لم يتجه لها الشعراء من أبناء السنة . لذا كان الشعر فى مدح الامام الحسين (ع) يمثل (التيارات الصاخبة التي كانت تعتلج فى نفوس الناس، فكانت المآتم الحسينية وذكرى استشهاده ، أسواقا أدبية يتبارى فيها الشعراء ، ويحاولون أن يأتوا بالجيد من النظم والرصين من العبارة «[3]» . أما الشعراء الذين اشتهروا فى العهود العثمانية ، لا سيما فى القرن التاسع عشر ، والذين كانت لهم منزلة مرموقة آنذاك فنذكر منهم «[4]» .

الشيخ صالح التميمي	الشيخ محسن الخضري
عبد الباقي العمري	الشيخ محمد الجزائري
الشيخ موسى محي الدين	السيد حيدر الحلي
الحاج محمد علي كمونة	عبد الغفار الاخرس
الشيخ صالح الكواز	الشيخ محمد حمادي نوح
الشيخ عبد الحسين الطريحي	السيد ابراهيم الطباطبائي
السيد موسى الطالقاني	ابو الثناء الالوسي
السيد جعفر القزويني	السيد محمد القزويني
الشيخ عباس القرشي	السيد رضا القزويني
الملا كاظم الازري	حسين العشاري
عبد الجليل البصري	عمر رمضان
أحمد عزت العمري	عبد الحميد الشاوي

---

٣ ـ المصدر السابق .

٤ ـ نهضة العراق الادبية فى القرن التاسع عشر . الدكتور البصير . بغداد . ١٩٤٦ .

الشيخ جابر الكاظمي	الملا حسين البزاز
عبد الغني آل جميل	صادق اطيمش
صالح القزويني	محمد أسعد النائب
السيد عبد المطلب	أبو المحاسن
السيد مهدي داود	السيد محمد سعيد الحبوبي
الشيخ رضا الطالباني	الشيخ محمد حسن كبة
السيا هبوش	الشيخ محمد سعيد السويدي
عبد القادر البغدادي	محمود الغرابي
السيد نصر الله الحائري	السيد حسين مير رشيد
قاسم الحميري	قاسم الهر «٥»

ومن الشعراء الذين تخطوا العهد العثماني الى عهد الحكم الوطني الشعراء الآتية اسماؤهم ....

الشيخ عبد المحسن الكاظمي	جميل صدقي الزهاوي
معروف الرصافي	عبد الحسين الازري
السيد رضا الهندي	الشيخ جواد الشبيبي
الدكتور محمد مهدي البصير	السيد محمد حبيب العبيدي
عبد الرحمن البناء	السيد خيري الهنداوي

المؤرخون

وقد نهض فى ذلك العهد بعض الكتاب من المؤرخين كان لهم الفضل فى

---

٥ ــ شعراء الحلة ج١ علي الخاقاني . النجف . ١٩٥١ .
عصور الادب العربي . محمد كاظم الكفائي . النجف . ١٩٤٩ .
العراق بين احتلالين ج٨ ــ المصدر السابق .
مجموعة تراجم العلماء . محمود شكري الالوسي . مخطوط . مكتبة الآثار
العراق بين احتلالين . العزاوي . المصدر السابق .

الكشف عن تاريخ القطر نذكر منهم آل الغرابي ، مرتضى آل نظمي ، الشهابي، يوسف المولوي ، آل السويدي ، نشاطي وغيرهم .

الخطاطـــون :

كان للخط فى تلك العهود شأن كبير لانه لم يكن آنذاك لديهم المطابع الحديثة أو الآلات الكاتبة ، فكانت عنايتهم (بالخط) بالغة منذ الصغر ، وأن درس (حسن الخط) من الدروس الهامة ، فلا عجب اذا ما برز عدد كبير من الخطاطين الذين تفننوا فيه ، ولقد كان الخط أيام العثمانيين من الفنون الجميلة التي نالت عناية السلاطين والامراء والولاة . ونذكر هنا بعض مشاهير الخطاطين فـي مختلف العهود العثمانية وهـم «٦» :

الشـيخ محمد أمين الانسي
الاستاذ سـفيان الوهبي
السيد محمد بديع بك البغدادي
أحمد بن الحاج سفيان الوهبي
بكـر الصدقـــي
الشـيخ قاسـم البغـدادي
محمد أفندي المشهور (ياودود)
عبـد الوهاب النيـازي
السيد محمد درويش بن عزيز
محمود نديم بكر الصدقي
الحاج محي الدين عبد الحميد مكي
رشـيد آل خـان زادة
الملا محمـد الدوسكي
محمد أفنـدي الصائغ

الاستاذ درويش نعمان الذكائي
الاسـتاذ غالب الفـوزي
فضل الله أفندي كاتب الديوان
الشيخ عبد المحسن السهروردي
الشـيخ صـالح المولوي
السيد عبد القادر بن عبد الرزاق
العلامة الشيخ أحمد السمين
السيد خضر السيد جميل
السيد محمد أمين العطـا
جميل بن عبد الرحمن المدرس
عبد الجبار آل خان زادة «٧»
صالح أفندي السعدي الكبير الموصلي
علي أفندي الصـائغ
اسماعيل أفندي الصـائغ

---

٦ ـــ البغداديون ، أخبارهم ومجالسهم ـــ المصدر السـابق .
٧ ـــ من رسـالة للمرحوم صديق الدملوجي بعث بهـا للمؤلف بتاريـخ ٦ ـــ ٩ ـــ ١٩٥٣ م .

سياسة الاصلاح في العهد العثماني

كانت الدولة العثمانية ، خلال القرن التاسع عشر ، تتخبط فى دياجير الرجعية ، وتنوء بما خلفته تصرفات (الانكشارية) لا سيما بعد المصير الذي آل اليه السلطان سليم الثالث ، تنوء بمظالمهم وأعمالهم المنكرة ، فلقد عزم هذا السلطان على التجديد والاصلاح ، ولكن الانكشارية ومن ورائهم جماعة المحافظين ، قابلوا هـذه الاصلاحات بالامتعاض ، باسم الدين ، حيث أنهم استطاعوا أن يصدروا (فتوى) بخلعه ، نثبت فيما يلي نصها «[١]» ...

(هل يحق للسلطان الذي يحارب مسلكه وأنظمته ، القواعد الدينية ، المقدسة التي نص عليها القرآن الكريم ، البقاء على العرش ؟!

الجواب : كـلا !!)

وهكذا خلع السلطان وبعد عام من خلعه ، قتل ، وسارت الامور على حسب ما يشتهون ، حتى تولى السلطان محمود الثاني (١٨٠٩ — ١٨٣٩ م) حيث تمكن من القضاء على ذلك الجيش المفسد الفاسد ، وشرع يقلد أوربا فى اصلاحاتها الاجتماعية ، ولما خلفه على العرش السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١ م)كانت الدولة العثمانية تحت رحمة الدول الاوربية . وقد بادر لاعلان الاصلاحات التي كانت تريدها تلك الدول ، رغبة منها ، فى الظاهر ، لتحسين أحوال الاقليات فى أنحاء المملكة العثمانية .

ففي عام ١٨٣٩ م أصدر (الخط الهمايوني) الذي قريء في قصر (گلخانة) فعرف باسم (خط گلخانة) . غير ان ما جاء فى هذا الفرمان من دعوات للاصلاح لم يجر تنفيذها بسرعة أو بحرص لاسباب عدة ، فى مقدمتها مقاومة العناصر الرجعية . ولذلك كان هذا التباطؤ سببا فى زيادة ضغط الدول الاوربية ، مما حمل السلطان عبد المجيد لاصدار منشور آخر هو (منشور

---

١ — فلسفة التاريخ العثماني — المصدر السابق .

التنظيمات الخيرية) وذلك فى سنة ١٨٥٦ م . أكد فيه ما جاء بخط گلخانة ، مع اضافة مبدأ هـام ألا وهو (معاملة جميع تبعة الدولة العثمانية معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم) . كما قرر تنظيم أمور الدولة بوجـه عام باصدار قوانين جديـدة .

ولما تولى العرش السلطان عبد العزيز (١٨٦١ — ١٨٧٦ م) نظمت فـي أيام حكمه الاولى معظم شؤون الدولة ، ولكنه سرعان ما تنكر لجميع الافكار والآراء الحديثة التي جاء بها أثر زيارته لاوربا عام ١٨٦٧ م . سالكا الطريق الذي سار عليه أسلافه من السلاطين المستبدين ، وارتمى فى أحضان الرجعية ، وأبطل ما وضعه وزيره المفكر (فؤاد باشا) من أنظمة وقوانين . وأعاد جهاز الدولة الى سيرته الاولى «[٢]» . أما (فؤاد باشا) ذلك الوزير المصلح فلم ينس حاجة بلاده الماسة الى الاصلاح ، فقد بعث وهو على فراش الموت ، الى هذا السلطان الاهوج رسالته المشهورة نقتطف منها هذه المواد ...

١ — يجب على سلطان العثمانيين ، نبذ التقاليد القديمة والسعي لتجديد قوى الدولة ، بادخال المدنية العصرية والعلم الصحيح لتتمكن من مجاراة باقي الدول الاوربية فى مضمار الحضارة والعمران .

٢ — تسليم زمام الاحكام الى أرباب الحمية والضمير الصادق وعـدم الاكتراث بوشايات الاجانب .

٣ — يقتضي السعي للجمع بين قلوب الرعية ، قتل التعصب الديني الناجم عن تعدد الاديان ، والعمل (ان أمكن) على نشر المعتقدات الفلسفية . ومجمل القول أن اعتزال الدولة ، أمر التدخل فى شؤون الاديان خير لها وأبقى .

٤ — مـن الضروري انشاء المدارس المدنية والعسكرية ومد السكك الحديد ، ونصب دوائر للبرق فى أنحاء المملكة قدر الامكان ، فان لم يصر الى تعميم العلوم والمعارف ، فلن تقوم للدولة قائمة ولن تغنيها جيوشها أو ماليتها

---

٢ — مدحت باشـا — صديق الدملوجي — بغـداد ١٩٥٣ .

أو زراعتها أو ٠٠٠٠ فالعلم هو الاساس والباقي فروع له «٣» .

وقد حمل العبء ، بعد فؤاد باشا ، (أمين عالي باشا) اذ كان شأنه شأن سلفه . ولكن السلطان ماكان يود سماع عبارات الاصلاح أو دعاوي التجديد، انما كان يحب عبارات المدح والاطراء والتزلف والنفاق . حتى اذا جاء دور (أبي الاحرار) أحمد مدحت باشا راح يسعى مع رجال حزبه ، الى ايقاف طغيان السلاطين وتقييد سلطانهم بنطاق القانون . فقد وجد الدولة في دور الاحتضار ، كما رأى أن (التنظيمات الخيرية) التي شرعها أستاذه الاكبر (مصطفى رشيد باشا) بقيت حبرا على ورق ، فقرر أن الاصلاح الشامل وحده ، هو الطريق الوحيد لخلاص المملكة من الشر والفساد والتدهور والانحطاط .

ولقد آثر الاصلاح الدستوري على الثورة ، مع علمه بأن الدستور لا يقوي على العيش فى ظل حكومة مستبدة ، فراح يعمل رغم المثبطات المحيطة به ، فكان ما كان من أمر خلع السلطان عبد العزيز والاتيان بالسلطان (مراد بن عبد المجيد) الذي لم يدم حكمه الا (٩٣ يوما) أقصى بعدها عن العرش، بدعوى اختلال قواه العقلية ، ليحل محله السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩) عندما كان مدحت باشا أبرز رجل فى تركيا . لقد كان من رأي مدحت باشا فى مثل هذه الظروف ، ان الفرصة سانحة لتحقيق الاصلاح ، وعندما بادل السلطان الجديد آراءه الحرة فى الاصلاح ، أبدى له السلطان الجديد حماسة فائقة للحكم الدستوري ، لذلك باشر مدحت باشا باعداد لائحة الدستور ، فألف لهذا الغرض لجنة من ستة عشر موظفا مدنيا ، وعشرة علماء (رجال دين) ، وقائدين كبيرين . فلما فرغت هذه اللجنة من عملها ، نشرت اللائحة باسم (قانون أساسي) «٤» .وعندما رفعت الى السلطان عبدالحميد

---

٣ — مدحت باشا — المصدر السابق .

٤ — الاسلام فى القرن السابع عشر . كارل بروكلمان . بيروت . ١٩٥٥ .

راح يحذف ويعدل ويضيف ما شاء من النصوص والعبارات ، ويكفي ان نقول ان من جملة ما حذف من المواد هذه المادة ...

« تأسيس مدارس عامة يتلقى فيها أبناء البلاد على اختلاف طبقاتهم ومللهم مبادىء العلم الصحيح (٥) » .

وهكذا باشر السلطان بالتدخل بالامر وأخذ يتنكر لهذه الخطوات الاصلاحية . ولولا تردي الوضع الدولي لما أعلن الدستورولكنه أعلنه مضطرا بتاريخ (١٨٧٦/١٢/١٢ م) . فكان هذا الاعلان من أهم الوقائع فى تاريخ الدولة العثمانية ، ومنذ اللحظة التى اعلن فيها هذا الدستور أذاع مدحت باشا أمرا الى جميع الولاة ورجال الحكم والادارة يدعوهم فيه للعمل بمقتضى الدستور ونشر الحق والعدل بين جميع الطبقات وتطبيق قواعد المساواة دون تفريق بين طائفة وأخرى ، ثم باشر باتخاذ بعض الاصلاحات المستعجلة .

ولكن عبد الحميد كان يضمر عكس ما يظهر ، فما هي الا أيام حتى اعتقل وزيره ، ونفاه الى خارج المملكة ، وراحت الامور تجري على عكس ما يريد وتلفت يمنة ويسرة ، فلم يجد حوله الا عواطف المسلمين يلهبها لشد أزره ، فراح يستعين برجال الدين ، حاملا لواء الدعوة الى (الجامعة الاسلامية) ليجعل من نفسه حامي حمى المسلمين . ولذلك زادت عنايته برجال الدين ، وعني بفتح المدارس والمعاهد الدينية حتى قيل أنه كان يعيش فى استانبول وحدها أكثر من (اربعين ألفا) من طلبة المعاهد الدينية الاسلامية، واكثر من (٥٠٠ مدرسة دينية (٦)) . ولكن هذه الحال لم تهيء للسلطان ما كان يريد ، فقد اضطرته الحوادث فى النهاية الى اعلان الدستور الذي عطله قرابة (٣٢ عاما) ، اذ أعلنه ثانية تحت ضغط الاحداث يوم (١٩٠٨/١٢/١٧) قائلا « لقد كافحت من أجل نشر الرقي فى أرجاء مملكتي . واني احمد الله

---

٥ ـ عبد الحميد ظل الله على الارض . المصدر السابق .

٦ ـ غرائب الاغتراب ونزهة الالباب . أبو الثناء الالوسي . بغداد ١٣٢٧ هـ

أن حقق لى هذا الهدف ، فعمت الثقافة بين جميع طبقات السكان » •

وعلى الرغم من هذا التطور السريع وهذه الاحداث المتلاحقة فان القوى المحافظة والرجعية التي كان يسندها السلطان قامت تعمل باسم « الجمعيـــة الاسلامية » أو « الجمعية المحمدية » وتدعو لحماية « التقاليد القديمة ، ودين الاسلام ، من عبث الماسون والمرتدين واليهود (٧) » • غير ان هذا النشـاط لم يجد نفعا ، فقد زحف الجيش من سالونيك بقيادة محمود شوكت باشا نحو العاصمة لوضع حد لهذه الفوضى فلما دخل العاصمة ، ارتفع الهتاف بحيـاة قوانين الاسلام ، وبموت عبد الحميد • ولكن عبد الحميد لم يمت انما نحي عن العرش بقرار من المجلس الوطني فانتهى عهده بسفره الى منفاه فى سلانيك يوم ٢٨ نيسان ١٩٠٩ •

أما ثورة الجيش التي أطاحت بعبد الحميد فقد كانت من عمل جمعيـة (الاتحاد والترقي) تلك الجمعية التى كانت سرية غايتها القضاء على استبـداد السلطان ، كان قد شكلها رجال (تركيا الفتاة) فى سالونيك ، فلما انتقلت الى العاصمة واصبح زمام الامور بيدها ، فتحت لها فروعا فى المدن العثمانية ، وانضم اليها المواطنون العثمانيون على اختلاف أجناسهم وعناصرهم، فأصبحت الجمعيعة صاحبة السلطة المطلقة فى البلاد واستطاعت خلال السنوات الخمس التى سبقت الحرب العالمية الاولى ان تستمر فى الحكم ما عدا فترات قليلة ، وان تقيم ذلك الحكم على أساس من الاستبداد لا يقل عن استبداد عبدالحميد ولا يختلف عنه الا بالنوع • ولقـد طرح رجالها مبدأ المساواة بين العثمانيين جانبا وراحوا يسعون لترويج المصلحة التركية على حساب اخوانهم العثمانيين ولذلك راحوا يحكمون على أساس السيادة العنصرية للجنس التركي وفضـلا عن ذلك فانهم تشددوا بالاخذ فى مبدأ الحكم المركزي (٨) •

---

٧ ــ عبد الحميد ظل الله عـلى الارض ــ المصدر السـابق •

٨ ــ يقظـة العرب ــ جورج انطونيوس ــ ترجمـة علي حيـدر الركابـي دمشـق ١٩٤٦ •

وعلى الرغم من مساويء هذه السياسة فان رجال هذه الجمعية الاتراك لم يبالوا بالعواقب الوخيمة المرتقبة من هذه النعرة التي أثاروها، انما اتبعوا فى سبيلها خطة رعناء لتتريك جميع الشعوب التى تتكون منها المملكة العثمانية، وركزوا جهودهم فى هذا المجال بالدرجة الاولى على العنصر العربي (٩) . فلم يكتفوا باستعمال الصحافة والمنظمات السياسية لتحقيق أغراضهم بل اتخذوا الدين وسيلة لتحقيقها ، فقد اوعزوا الى احد علماء الدين المدعو (عبيد الله) بالدعوة للمذهب الجديد ، فراح يخطب فى جامع أيا صوفيا قائلا :

« أيها الاتراك المسلمون ، كفاكم وهنا ومسامحة انفضوا عنكم هذا الغبار ، وامحوا من مساجدكم أسماء الخلفاء الراشدين وآل الرسول ممن لا يعنيكم أمرهم ، واكتبوا بدلها أسماء الابطال الاتحاديين أمثال ، طلعت وجمال وانور وجاويد الذين هم أولياء الله الصالحون قدس الله سرهم » . وقد جمعت الحكومة الاتحادية خطب هذا الشيخ فى كتيب نشرته بعنوان (شعب جديد) وطبعت منه ملايين النسخ ووزعتها مجانا على الشعب التركي (١٠) .

ان هذه السياسة الرعناء أثارت الروح القومي عند الشبان العرب الموجودين فى استانبول فحمي الوطيس بينهم وبين الاتراك وأسسوا الجمعيات السياسية السرية والعلنية لهذا الغرض .

لقد كان للسياسة لتركية الطورانية التى لم تكن تعترف بحقوق القوميات الاخرى ، الاثر القوي فى مختلف مجالات الحياة العامة فى العراق وفى غيره من الاقطار العربية الاخرى، برزت صوره واضحة فى السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ .

---

٩ — أسرار الكفاح الوطني فى الموصل ج١ عبد المنعم الغلامي بغداد ١٩٥٨ .
١٠ — في غمرة النضال — سليمان فيضي — المصدر السابق .

الاصلاحات الخيرية والمدارس

من الممكن القول بأن صدور (خط كلخانة) ومنشور (الاصلاحات الخيرية) ما كان يتم الا بسبب دافعين أساسيين هما (١) :

١ : ـ اقتناع رجال الدولة المستنيرين بضرورة اصلاح ماكنة الدولة وتجديدها على أساس اقتباس النظم الاوربية من غير مساس بالاحكام الشرعية .

٢ : ـ ضغط الدول الاوربية ، ومطالبتها باصلاح أحوال المسيحيين التابعين للدولة العثمانية .

فلقد وقفنا فى الفصل السابق على الصراع العنيف بين القوى التقدمية الراغبة فى الاصلاح ، والقوى الرجعية المحافظة ، التي كانت ترى فى هذه الاصلاحات ، اعتداء على حقوقها وتقييدا لسلطانها ، ثم فوق هذا وذاك ، خروجا على قواعد الدين الحنيف !!.

ومهما كانت تلك المعارك او ذلك الصراع عنيفا ، فقد استطاع بعض رجال الدولة المستنيرين من زحزحة هذا الحاجز عن الطريق ، وكان فى مقدمة هؤلاء الرجال (مصطفى رشيد باشا) (ابو التنظيمات) . فلقد استطاع هذا الرائد أن يفتح ثغرة فى صف تلك القوى الرجعية ثغرة نفذ منها لاصدار قوانينه الاصلاحية ، اما تلك الثغرة فلها قصة نلخصها بما يلى :

لقد كان التعصب الدينى سائدا فى الدولة العثمانية ، وكان رعايا الدولة العثمانية ، من غير المسلمين مضطهدين أقسى أنواع الاضطهاد . ويكفي أن نشير الى أنه لم يكن لاحد من غير المسلمين الحق فى اداء الشهادة امام المحاكم. فتجاه هذه الحال اراد (مصطفى رشيد باشا) رفع هذا الحيف وغيره ، فاجتمع بمجلس (العلماء) «٢» ووجه اليهم السؤال الآتي :

---

١ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية ـ المصدر السابق .

٢ ـ أي أكابر رجال الدين .

ـ ألا يمكن قبول شهادة غير المسلم فى الجهات التي لا يوجد فيها رعايا مسـلمون ؟!

نظر العلماء بعضهم الـى بعض ولكن سرعان ما جـاء جوابهم .. (لا مساغ شرعي لذلك على الاطلاق !!)

فلما سمع (مصطفى باشا) هذا الجواب ، استغرب ولكنه لم ييأس ، بل راح يجادلهم قائلا ... ان هذا يعني كثرة الاعتداءات على رعايا الدولة مـن غير المسلمين يرتكبها المسلمون الذين لا يشهد أحد ضدهم فى المحاكم لا سيما اذا وقع الاعتداء منهم فى مناطق أكثريتها غير مسلمة !! ان هـذا غير معقول ، ولابد مـن حل لذلك !!

وهكذا بعد الجدل والنقاش استطاع (الباشا) أن يستل مـن المجلس هذه الجملة المتممة للرأي الاول وهـي ...

(الا انه يجوز للحكومة أن تتخذ ما تراه من التدابير الادارية فـي مثل هذه الحالات ، اذا صدر أمر سلطاني بذلك ، لان الاوامر السلطانية المبنية على المصلحة العامة ، تكون مطاعة وواجبة التنفيذ) . وعلى أساس هذا التخريج الشرعي ، راح رجال التنظيمات يصدرون الانظمة والقوانين على شكل أوامر سلطانية يأمر بها (ولي الامر) . ولذلك يعتبر عهد التنظيمات ، بداية عهد تقدم ونهوض فى الدولة العثمانية ، لا من وجهة الشؤون الحكومية فحسب ، بل مـن وجهة الامور الادبية والثقافية أيضا .

وعلى هذا الاساس كذلك أصدر السلطان عبد المجيد (خط كلخانة) ، ومنشور الاصلاحات الخيرية ، و (تشكيلات المعـارف) ، الذي أمر فيـه حكومته بانشاء (المكاتب الحديثة) ليتلقى فيها ابناء البلاد العلوم والفنـون والصناعات ، كوسيلة لترقية الشعب ماديا ، ومحو الجهل فى الشؤون الدينية والشؤون الدنيويـة .

وهكذا عندما صدرت تشكيلات المعـارف ، راحت الحكومة العثمانية

تهتم بشؤون التعليم الابتدائي • أما التعليم الثانوي والعالي فقد سكتت عنه • وبعد أن كانت الاوقاف تغذي (المدارس) العلمية من وارداتها فقد أغفلت الدولة أمور الاوقاف أيضا ، ولم تحرك ساكنا بغية اصلاح حالة تلك المدارس تمشيا مع الحركة الاصلاحية ، فأدى هذا الاغفال واهمال الاوقاف ، فضلا عن التدهور الثقافي الذي تميز به ، العهد العثماني الاخير ، أدى الى أن تصبح المدارس تلك فى حالة ضعيفة جدا من التأخر ، وأن تصبح الاوقاف لقلة العناية بها ، مأكلا لاناس عاطلين «٣» •

ولئن كان لتلك الاصلاحات الخيرية آثارها السريعة فى دار الخلافة وبعض الامصار الاخرى الخاضعة للامبراطورية العثمانية ، فقد كان أثرها بطيئا جدا فى العراق ، ولذلك لم يكن للتعليم الحديث أي أثر قبل عام ١٨٧٠ م ، لانه بفضل المصلح الكبير مدحت باشا (١٨٦٩ م — ١٨٧٢ م) وجدت مدرستان رشديتان ، (احداهما عسكرية والاخرى ملكية) ليس غير !

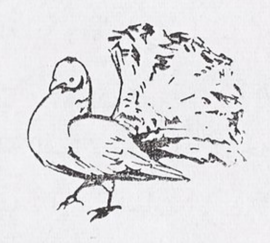
ولقد ظل العراق على الرغم من مرور فترة طويلة على صدور التنظيمات الخيرية ، والقوانين المستندة اليها ، ظل على درجة ملحوظة من التأخر الثقافي والتبلبل الفكري ، ولكن هذه الاصلاحات أثرت تأثيرا كبيرا فى تنوير الافكار ، وزاد مفعولها وتعاظم ، بعد اعلان المشروطية عام ١٩٠٨ م ، وقد وجد الناس ان ارتشاف العلم والمعرفة من المدارس الحديثة أجدى لهم وأنفع ، فقد تفتحت آفاق الدنيا أمامها ، ولم يعد لاسلوب الدراسة القديم فى المدارس من نصير ، لذلك سارعت بعض الاسر تدخل أبناءها ، أما فى المدارس الاهلية ، وأما في المدارس الرسمية وأما بارسالهم الى استانبول لاكمال تحصيلهم العالي فيها • وهكذا أخذ شأن (المدارس) العلمية يقل كلما تقدمت الايام وتطورت الاحوال

---

٣ — من كلمة للاستاذ عباس العزاوي . نشرت فى كتاب (الدليل لاصلاح الاوقاف) — المصدر السابق .

على الرغم من كون (المكاتب الجديدة) ان هي الا وسيلة للاعلان ليس غير «[٣]» .

وقبل أن نختم هذا البحث لابد لنا من القول ، بأن فضل (المدارس العلمية) على العراق كان عظيما بدون شك ، اذ لولاها لقضي على اللغة العربية وعلى التراث العربي الاسلامي الذي ضمته خزائن الكتب فيها ، وحافظت عليه من التلف والضياع ، مما يعتبر اليوم ، من نوادر المخطوطات ، وثمين التراجم والتآليف ، وفضلا عن كل ذلك فيكفي أنها أنجبت العدد الكبير من أكابر العلماء ومشاهير الادباء والشعراء فى تلك العصور المظلمة .



---

٤ ــ العراق بين احتلالين : ج٨ . المصدر السابق .

الدولة العثمانية والتعليم الحديث

يقتضينا التطور الذي حدث فى حياة الدولة العثمانية لا سيما فى عهدها الاخير ، أن نعطي القارىء فكرة تاريخية عن نشأة النظم التعليمية الحديثة وتطورها فى أوربا ، لنرى كيف وصلت فيما بعد ، وطبقت الى حد ما في الامبراطورية العثمانية •

كان القرن الخامس عشر مسرحا لنهضة أدبية فى أوربا • وقد اتخذت تلك النهضة فى القرن الذي تلاه ، صبغة دينية نقدية ، وظهرت دعوات اصلاحية من بين تلك الصيحات ، وكان فى مقدمة هؤلاء (لوثر) ، و (ملانكتون) وغيرهما • لقد رأى هؤلاء المصلحون ، بأن سعادة الامة تتوقف على تعليم كل فرد من أفرادها ليقوم بواجبه • ومع أن هذه الفكرة لم تختمر فى مختلف البلدان الاوربية الا بعد انتشار الافكار والنظريات السياسية ، لا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، الا أنها كانت قد تركت آثارا بارزة ترتب عليها ما يلي :

١ — نشوء فكرة تعميم التعليم •

٢ — وجوب جعل التعليم الزاميا يشمل جميع أفراد الشعب •

٣ — ليس فى وسع هيئة غير الحكومة أن تقوم بنشر التعليم الالزامي •

ومن هذه الآراء والدعوات • نشأت فكرة انتقال الاشراف على التعليم من أيدي رجال الدين الى أيدي غيرهم من (العلمانيين) • وأهم من ذلك انتقاله الى الحكومات نفسها، لانها تملك من الوسائل والاسباب التي لا تملكها الهيئات الاخرى ، كما أنها يمكنها الاشراف عليه اشرافا مجديا ، وتنظيمه والانفاق عليه واتخاذ الخطوات التي تمكن كل فرد من أفراد المجتمع من الحصول على القسط الكافي من التعليم •

ولم يقتصر الامر على حد التعبير النظري ، بل جاوزه (ملانكتون) الى مسألة التطبيق العملي، حين وضع خطة للتعليم فى سكسونيا، كان لها أثر كبير ،

اذ سارت عليها المدارس الالمانية فيما بعد ، ولذلك تعتبر هـذه الخطة ، أول خطة نظامية يعرفها تاريخ التربيـــة ٠

ثم جاء القرن السابع عشر ، فاتجه الميل الى العناية بالحقائق والمعاني ودرسها عن طريق الملاحظة والاستقراء ٠ كما اتجه الى تعميم التعليم ، ونقل الاشراف عليه الى أيدي الحكومة وذلك عن طريق وضع نظم عامة للتعليم ٠

أما القرن الثامن عشر ، فقد تمخض عن تطور عظيم ، اذ كانت فيه نهاية نظام الاقطاع ، والقضاء على امتيازات الاشراف ، وتجلت فيه كذلك فكـرة (الدمقراطية) فى التربية ، كما نشأ فيه التعليم الاولي الالزامي وظهور الفردية فى التربية والسياسة ٠ وكما أعلنت حقـوق الانسان أعلنت كذلك حقـوق الطفـل أيضـا ٠

لقد احتضنت المانيا هذه الآراء ٠ وطبقت فيها وأخذت سيادة الدولـة تحل محل سيادة الكنيسة تدريجيا فى شؤون التعليم ٠

أما فرنسا فقد تباطأت قليلا بالاخذ بنظرية المركزية هذه ، الى أن تولى نابليون ٠ حيث أخذ فى السنين الاولى من حكمه يقيم فى البلاد نظاما مركزيا موحدا للتعليم ٠ وفى عهـد لويس فليب (١٨٣٠ — ١٨٤٨ م) نظـم التعليم الابتدائي ، وجعل مجانيا ، فاجباريا ، وعلمانيا فى عهـد الجمهورية الثالثة ٠ فقد صدر قانون (جيزو) الخاص بالمعارف الذي أقر فيه بمبدأ قيام السلطات بالانفاق على التعليم الاولي ٠ كما أنه نص على قيام ميزانيات محلية للانفاق عليه ، ووجود مجلس محلي للتعليم يكون له حق الاشراف والتفتيش واصدار التعليمات وتعيين المعلمين وفصلهم الخ ٠ ويمكن تلخيص المبادىء التي قـام عليها قانون (جيزو) بما يلـي :

١ — استبعد الالزام فى التعليم لانه مضاد لحرية الاسرة ٠

٢ — المجـان المحدود للاهالـي ٠

٣ — جعل التنافس قائما بين الحكومة من جهة ، والافراد والهيئات من

جهة اخرى ، لنشر التعليم الاولي والاهتمام به وبشؤونه »[١] .

وفى أوائل القرن التاسع عشر ، أي هذا العصر الذي برزت فيه هذه النظريات التربوية الحديثة ، كانت الدولة العثمانية فى حالة الاحتضار ، اختلت أمورها وساد الاضطراب شتى نواحيها ، فالبلقان فى ثورة مستمرة والعراق والشام والحجاز واليمن والعسير وبلاد الكرد ، تشكو فساد الادارة المطلق . والخديوي قد شق عصا الطاعة وأعلن على الدولة حربا شعواء واستولى على سوريا ، كما برز من قلب الجزيرة الوهابيون ، فى حين استشرى الجيش الانكشاري ، وانقلب داء عضالا ينخر فى جسم الدولة ، وكنتيجة لمثل هذه الاوضاع المتردية ، باتت (كما رأينا) الناحية العلمية والثقافية فى اسوأ درك ، اذ قلت العناية بالعلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية وبالعلوم العربية وآدابها ، وطغت عليها اللغة التركية والعامية ، وانحطت حركة التأليف فيها انحطاطا كبيرا، وخمدت القرائح ، والتوت الاساليب ، وانعدم الابتكار ، فعمد المدرسون الى ما أمامهم من حقائق العلوم . وما ألف فيها، وراحوا يختصرونها اختصارا مخلا، فى (متون) منظومة أو منثورة ، وبأساليب ركيكة ، وعبارات غامضة ، ثم صاروا فيما بعد يحاولون حل رموز تلك (المتون) فى كتب اخرى تسمى (الشروح) ، ثم يأتي غيرهم ليوضح ما انطوت عليه تلك الشروح بـ (حواشي) ليأتي بعدهم آخرون يعلقون على تلك الحواشي بـ (التقارير) »[٢] .

وهكذا انحرفت العقول فى هذا العهد انحرافا بارزا ، وراجت فيه الكتب الرازية على الدنيا ، الناعية على أهلها ولوعهم بها . وأكثر المؤلفون من ايراد الحكايات عن الزهاد والمتصوفة ، فاشربت نفوس المسلمين ، الاستكانة والذلة ، وتوجهت الى ايثار الزهد والاقلال ، واعتمدوا على الاوهام ، وعولوا

---

١ ـ تاريخ التعليم فى عصر محمد علي ـ الدكتور عزت عبد الكريم

٢ ـ اصول التربية ونظام التعليم — علي عبد الواحد وافي ـ القاهرة ١٩٥٥ — ابراهيم ولي — الدكتور محمود زكي

فى تصرفاتهم على الخرافات والاضاليل ، فانحطت مداركهم، حتى اذا ما جاءتهم العلوم الأجنبية ، ظنوها كفرا ، فتألبوا على معارضتها لا سيما العلوم الطبيعية منها ، فقد أصبح هذا العلم عندهم من الرجس الذي لا يصح أن يقربه مسلم يؤمن بالله وباليوم الآخر !

وقد وقر فى النفوس ، أن ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وان الامة يكفيها أن تكون عالة على أسلافها فى جميع الكليات والجزئيات ، ليس فى الامور العبادية، بل وفى جميع المسائل الشرعية مما يختص بالمعاملات أيضا »[٣] .

وعلى الرغم من كون الدولة العثمانية على تماس مباشر مع الغرب ، فان سيطرة رجال الدين والقوى الرجعية عليها ، لم تتح لها فرصة الاستفادة من التطور العلمي الذي حل فى الغرب، لان كل فرصة كانت تتهيأ لها فى هذا المجال كانت تصطدم بهؤلاء ، ولعل قصة ادخال الطباعة الحديثة وهي عامل مهم فى نشر الثقافة ، جديرة بالتسجيل فى هذا البحث ، لانها تعطينا صورة عما وصلت اليه سطوة رجال الدين آنذاك ...

ان قصة الطباعة الحديثة ، ودخولها الى عاصمة السلطنة ترجع الى القرن السابع عشر ، اذ كانت أول مطبعة فيها ، مطبعة أسسها رجل يهودي يدعى (اسحق جرسون) . ولكنها كانت تطبع بالحروف العبرية فقط . أما الطباعة بالحروف العربية فدخلت الاستانة لاول مرة ، بتأييد وتشجيع من الصدر الاعظم (ابراهيم باشا) عام ١٧٢٠ ، اذ قام المدعو (ابراهيم متفرقة) بوضع أسس أول مطبعة عثمانية اسلامية فى ذلك التاريخ . غير أن اقامة هذه الماكنة وتشغيلها ما كان يتم لولا الحصول على فتوى من شيخ الاسلام . ونظرا لاهمية هذه الفتوى نثبت نصها أدناه :

السـؤال

(ما قولكم دام فضلكم فيما يقوله زيد ويدعيه عمرو من أنه يقدر على نقش

---

٣ ـ المدنية والاسلام . محمد فريد وجدي . القاهرة . ١٨٩٨ م .

صور كلمات وحروف المؤلفات فى العلوم الآليـة ، القواميس ، المنطق ، الحكمة ، الفلك ، وجمعها فى قالب وطبعها على الورق واستحصال نسخ كثيرة من هـذه الكتب ، فهل يجوز له ذلك شرعا ؟! افتونا مأجورين !!) .

الفتــوى

(ان زيدا الذي برع فى صناعة الطبع ، اذا نقش صحيحا على الورق فانه يحصل على نسخ كثيرة من غير عناء وتعب ، وهذا مما يستوجب رخص أثمـان الكتب والمؤلفات ، ومن ثم تتداولها الايدي ، وبذلك تعم الفائدة وتشمل كل طبقات الناس . وعليه يجـوز شرعا الطبع على الوجه المذكور ويستحسن تأليف لجنـة لتصحيح الكتب المراد نقشها والله أعلـم) (٤) .

وليس من شك فى أن الجهود التي بذلها الصدر الاعظم ابراهيم باشا ، هي التي أصدرت هذه الفتوى . لان الوقائع أثبتت فيما بعد ، مقدار ما كان يضمره العلماء لابراهيم متفرقة ، من بغض وعداء ، لانه لما مات عام ١٧٤٥ م وتوقفت مطبعته عن العمل ، تنفسوا الصعداء ، ولكنه على كل حال كـان قد أشعل الجذوة وأنار الطريق ، لأن الكتب التي نشرها كان لها الاثر البعيد فى نشاط الحركة الثقافية فى نهاية القرن الثامن عشر «٥» .

ان هذا التردي والانحطاط العام فى كافة شؤون الدولة . ما كان يحدث لولا ضعف شخصيات السلاطين واستسلامهم المطلق للقوى الرجعية المؤثرة فى الحكم ، الا أنه على الرغم من ذلك فقد قامت محاولات جريئة للاصلاح كان أولها ، القضاء على (الانكشارية) . فقد تمكن السلطان محمود الثانـي ،

---

٤ ــ مجلة لغـة العرب . ج٣ . سنة ١٩١٢ م .

(5) Islamic society & the west . Vol· I. by H. A. R. GIBB Harold Bowen Oxford 1957

لقوته ، من استحصال (فتوى) توجب افناء هذه الفئة الباغية ، فأخذ بعد الخلاص منهم يسير فى تنظيم جيشه على الاسس الاوربية ، كما أنه أمر بتأسيس مكاتب للصبيان على النهج الحديث عام ١٨٢٤ م «(٦)» . وقد حاول تحسين حالة رعاياه المسيحيين ، فأعلن نفسه نصيرا للتسامح ، ولكنه فشل فى الحصول على مساعدين مخلصين فى هذا المجال (٧) .

ولما تولى شؤون الملك ، السلطان عبد المجيد ، أظهر هو الآخر رغبة فى التجديد والاقتباس من الغرب ، وكانت الدول الاوربية آنذاك تنظر الى الدولة العثمانية نظرتها الى (الرجل المريض) ، فراحت تتدخل فى شؤونها ، وتطالبها باصدار التشريعات اللازمة للاصلاح ، وهكذا صدر (خط گلخانة) سنة ١٨٣٩ م الذي رسم الخطوط العامة للاصلاحات ، وعلى أساس ذلك قامت محاولات لاصلاح التعليم ، فتكونت عام ١٨٤٥ م ، لجنة خاصة لهذا الغرض ، قررت الاخذ بالنهج الغربي ، وعلى أساس توصياتها صدر منهج التدريسات سنة ١٨٤٨ م ، وان كان لم يطبق الا فى عام ١٨٦٩م (٨) . وفى ذلك التاريخ ايضا تم افتتاح (المكاتب الرشدية) والمدارس الفنية ، لتخريج الموظفين من مدنيين وعسكريين فى المملكة (٩) .

ومهما يكن من شيء فان هذه الاصلاحات والاعمال ما كانت تتم لو لم يكن هناك رجل فذ مؤمن بها ، متفان فى سبيل تحقيقها خدمة لبلاده ، ذلك

---

٦ — من رسالة خاصة بعث بها للمؤلف سيادة الدكتور ابراهيم عاكف الالوسي سفير العراق فى أنقرا سنة ١٩٥٣ جوابا على أسئلة تخص شؤون التعليم فى تركيا فى ذلك العهد . وكان قد استحصل هذه المعلومات من وزارة المعارف التركية .

٧ — المسألة الشرقية ومؤتمر باريس . الدكتور محمد مصطفى صفوت . القاهرة ٩٥٨ .

٨ — المسألة الشرقية ومؤتمر باريس . المصدر الاسبق .

٩ — راجع بحث (التواريخ المهمة) فى سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٢٩٩ هـ

هو (مصطفى رشيد باشا) • غير أنه ما ان تخلى عن الحكم حتى خارت قوى الاصلاح وضعفت أمام القوى والعناصر الرجعية ، ولذلك لم يستطع الشعب من متابعة السير فى تلك السياسة الاصلاحية التي نادى بها رشيد باشا •

ولكن ضغط الدول الاوربية لم يفتر بل تزايد ، حتى اصدر السلطان منشور الاصلاحات الخيرية سنة (١٨٥٦ م) ، أكد فيه ما قرره (بخط كلخانة) مضيفا اليه مبدأ هاما هو « معاملة جميع تبعة الدولة معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم » • وصرح فى الوقت نفسه ، بابقاء الحقوق والامتيازات الممنوحة لرؤساء الملل (غير المسلمة) • كما أنه قرر تنظيم شؤون الدولة بوجه عام ، باصدار قوانين جديدة (١٠) •

ولما آل الامر الى السلطان عبد العزيز كان المأمول ان تسير الامور فى زمانه فى سبيل النهوض والترقي على الاسس العصرية الحديثة • لكنه كان على العكس، اذ أصبح مثالا سيئا من أمثلة الملوك المستبدين، ورمى بالخطوات الاصلاحية جانبا وأبطل جميع الانظمة والقوانين ، التي وضعها له وزيره المفكر (فؤاد باشا) ، بما فيها (نظام المعارف العامة الذي صدر سنة ١٨٧٠ م) وعاد جهاز الدولة فى زمانه الى سيرته الاولى •

ثم تتابعت الايام ، وتتالت الحوادث ، حتى آل الامر الى السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٨٧٦م • وكان مدحت باشا كما رأينا ، رجل تركيا الذي تزعم حركة الاصلاح فى البلاد ، وتمكن من اعلان الدستور فى تلك السنة ، ولكن السلطان أخمد أنفاسه • غير أنه عاد مرغما بعد ٣٢ عاما معلنا (المشروطية) عام ١٠٩٨ م • وبقدر تعلق الامر بشؤون التعليم فى البلاد العثمانية ، ندرج فيما يلي النصوص الواردة فى الدستور عنه وهي (١١) :

---

١٠ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية . الحصري . المصدر السابق .
١١ ـ كنز الرغائب من منتخبات الجوائب . ج٦ . المصدر السابق .

المادة الخامسة عشرة : أمر التدريس يكون مطلقا . وكل عثمانى مأذون بالتدريس خصوصيا كان أو عموميا ، على شرط ، اتباع القانون المعين .

المادة السادسة عشرة : توضع جميع المكاتب تحت نظارة الدولة .

ويجب التشبث فى الاسباب التي تجعل التربية العثمانية على نسق واحد فى الاتحاد والانتظام . ولا يقع خلل فى أصول التعليم المتعلق بأمور معتقدات الملل المختلفة .

أما بالنسبة للتعليم فى الولايات العثمانية المختلفة فقد نص عليه فى هذه المـــادة :

المادة ١١٠ ــ ان وظائف المجالس العمومية ، كمـا سيصرح به القانون المذكور ، هي المذاكرة والمفاوضة فى الامور النافعة كتنظيم الطرق والمعابر وترتيب الصناديق وترقية أسباب الصنائع والتجارة ، ونشر المعارف العمومية التى تعود منفعتها على العموم الخ ...

وبموجب المادة (١١٤) من الدستور أصبح التعليم فى كافة أنحـــاء الامبراطورية الزاميا ، اذ تنص هذه المادة ..

المادة ١١٤ : ــ ان التعليم الابتدائي يجعل اجباريا على كل فرد مـن جميع افراد العثمانيين . وستعين درجات ذلك وفروعه فى نظام مخصوص .

وهكذا وبعد مرور ما يقر بمن المائة عام على مبدأ اهتمام الدولـة العثمانية بشؤون التعليم ، وضرورة السير به على النهج الغربي الحديث أسوة بالدول الاوربية الاخرى ، فان تاريخها فى هذا الحقل يمكن تلخيص النتائج التى تمخض عنها بما يلي :

١ : ــ ان الدولة العثمانية قد تأثرت وهي تتبع نظام المدارس الحديثة فى بلادها بالنظام الفرنسى تأثرا واضحا .

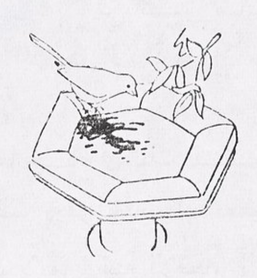
٢ : ــ انها حاولت جعـل التعليم الابتدائي الزاميا عـلى كل فرد مـن الرعايا العثمانيين .

٤ : ـ انها طبقت نظام الولايات ، وجعلت نشر المعارف العمومية من اختصاصات مجالس تلك الولايات وكانت متأثرة الى حد بعيد بقانون (جيزو) الآنف الذكر .

٥ : ـ أصبحت الدولة هى المشرفة على جميع التدريسات فى المدارس اذ أصدرت منهج التدريسات عام ١٨٤٨ (وطبقته عام ١٨٦٩) وعينت لهذا الغرض مفتشين خاصين .

٦ : ـ انها اعترفت تحت ضغط الدول الاوربية بحقوق الاقليات ، غير المسلمة فى بلادها ، ومنحتهم حق انشاء المدارس الخاصة بهم شريطة أن يدرسوا العلوم علانية وتحت مراقبة الحكومة . وان لا تخل دروسها بالآداب والراحة العامة .

٧ : ـ منحت الارساليات التبشيرية حق الاقامة فى أي جزء من امبراطوريتها وانشاء المعابد والمؤسسات الخيرية كالمدارس والمستوصفات وجعلت لقناصل دولهم حق حمايتهم والدفاع عنهم عند الحاجة ..



العراق والمدارس الحديثة

على الرغم من تلك الاحداث والتطورات التى حدثت فى مقر السلطنة وأثرت تأثيرا كبيرا فى مجرى الحياة السياسية عامة ، على الرغم من كل ذلك فقد كان العراق بعيدا عن مجرى هذه الاحداث ، لم ينل من آثارها شيئا يذكر . ولم يكن له من تلك التنظيمات والاصلاحات ، ولا سيما فى حقل التربية والتعليم ، الا السماع بأخبارها التى كان يتلقاها بشىء من الريبة والحذر .

ولعل من المفيد أن نبين هنا ما تركه اعلان (خط گلخانه) واصدار (منشور الأصلاحات الخيرية) من رد فعل فى العراق ، فلقد أوجس العراقيون خيفة مما جاء فيهما ، اذ كانوا يرون ان هذه التنظيمات ستؤدي الى تقوية سلطة الدولة عليهم (وكأنها لم تكن كذلك) فوقفوا بوجهها ، يعارضونها ، ويعارضون ما جاء فيها من مبادىء ، لا سيما تلك التى تدعو الى المساواة بين رعايا الدولة كافة ، مهما اختلفت نحلهم ، وتعددت مللهم واجناسهم . وخصوصا لما تناهى لهم بأن هذه الاصلاحات ما صدرت الا تحت ضغط الدول الغربية ، بدعوى الانتصار (للنصارى) ، اذ تولدت فيما بينهم تيارات ضد الغربيين واصبحوا يخشون ، لا من تطبيق مبادىء تلك التنظيمات ، بل مما يكمن وراءها من شرور ، أظهرها الرغبة فى اضعاف شوكة الدين وتفريق كلمة لمسلمين (١) .

ولذا يمكن القول ، ان ما جاء فى تلك التنظيمات ، وما صدر عنها ، أو ما صدر استنادا اليها من انظمة وقوانين ، لم تطبق او تنفذ فى العراق الا بصورة بطيئة جدا ،وأقل شمولا من بقية الاقطار العربية الاخرى التى كانت خاضعة لحكم العثمانيين أيضا (٢) .

---

١ ـ تاريخ العراق بين احتلالين ج١ . العزاوي . المصدر السابق .
٢ ـ يقظة العرب . جورج انطونيوس . المصدر السابق .

لقد صاحب تلك التطورات الدستورية ، دعايات متباينة ، وأفكار مشوشة ، ازداد على أثرها التعصب الديني ، وكثرت التعديات على الطوائف غير المسلمة ، حتى صار المسيحيون يشعرون بأن الدولة العثمانية غريبة عنهم ، اذ كانت تعتبرهم رعايا ولكنهم يتوجهون نحو الدول الاوربية التى كانت تحميهم ، وتقدم لهم بعض المساعدات فى كثير من المناسبات »[٣] .

ولذلك فان صدور تلك التنظيمات أنتج زيادة فى الترابط بين الجماعات المسيحية بسبب تنظيم شؤون البطركيات ، والاسقفيات ، وتكوين المجالس الجسمانية والروحانية ، كما حمل هذا الوضع منتسبى هذه الطوائف على العمل المشترك فى مؤسساتهم الدينية والخيرية بكل ودوتعاون . وفوق هذا أفسح ضعف الدولة العثمانية ، المجال للدول الاوربية بالتدخل ، بحجة حماية الاقليات المسيحية ، وقد ضمنت لها ذلك الحق بمعاهدة باريس (التى عقدتها بتاريخ ٣٠ مارت ١٨٥٦ م) . ومعاهدة برلين (التي عقدتها بتاريخ ١٣ تموز عام ١٨٧٨ م) وراحت تلك الدول تتنافس فى نشر نفوذها فى مختلف الارجاء العثمانية . فانتشرت ارسالياتها فى المدن والقرى التي يكثر فيها المسيحيون . وراحت تنشر فيها المدارس والمؤسسات الخيرية، كتلك التي أنشأتها فى الموصل وبغداد والبصرة .

وهكذا كان صدور تلك التنظيمات عاملا لنشر المدارس فى الاوساط المسيحية أو الاسرائيلية ، بينما لم تتسرب مبادىء تلك الاصلاحات بالنسبة لعامة السكان فى العراق الا ببطء . ولم تنتج شيئا يتفق وعظم شأن تلك المبادىء التى دعت لاجرائها (٤) .

ولم يباشر بانشاء المدارس الحديثة ، الا فى زمن المصلح الكبير الوالي مدحت باشا (١٨٦٩—١٨٧٢م) على الرغم من مرور ما يقرب من الثلاثين

---

٣ — البلاد العربية والدولة العثمانية . الحصري . المصدر السابق .
٤ — أربعة قرون من تاريخ العراق . لونكريك . المصدر السابق .

عاما على تأسيس المدارس فى استانبول أو الولايات العربية الاخرى !! ومع هذا فان المدرسة التي أنشأها مدحت باشا عام ١٨٧٠ م ، لم تكن مدرسة بالمعنى الصحيح الا أنها على كل حال كانت خطوة في سبيل الاصلاح ، ومحاولة لاعتبارها نقطة انطلاق لنشر مثيلات لها فى المدن والحواضر العراقية الاخرى ، وعلى الرغم من الدافع التقدمي الذي جاء به مدحت باشا ، فقد كانت الامية فى العراق بنهاية القرن التاسع عشر متفشية جدا • ويمكن القول أن نسبة المتعلمين فيه لم تكن لتزيد عن (النصف بالمئة) !

غير ان التطور السريع الذي حصل فى العهد الاخير ، نتيجة الصراع العنيف الذي كان دائرا بين لسلطان عبد الحميد الثاني والشبان العثمانيين المنضوين تحت لواء جمعية (الاتحاد والترقي) ، ومن ثم انتصارهم عليه ، واعلان المشروطية (بتاريخ ٢٣ تموز عام ١٩٠٨) ، قد أحدث رد فعل في الاوساط المحافظة أيضا ، ولكنه كان رد فعل بسيط هذه المرة ، لان العقول كانت قد تنبهت لاسيما بعد ما سهل الاتصال البرقي ، وقيام محمد علي فى مصر ، وحفر قناة السويس ، وطبع الكتب ونشر الصحف والمجلات • كل هذه العوامل أثرت هذه المرة تأثيرا كبيرا • فعندما صدر الدستور كثر المتحدثون عنه وعن فوائده وغاياته واهدافه غير ان الميدان لم يخل بتاتا من معارضين ، فقد برز فى الميدان أناس راحوا يفسرونه تفسيرات ذات أهداف خاصة ! ووجد من يقول ان صدور الدستور يعني ، أن يكون حبل المرء على غاربه ، يسوغ له أن يتعاطى ما شاء من الموبقات ، ويرتكب ما يريد من المنكرات «٥» •

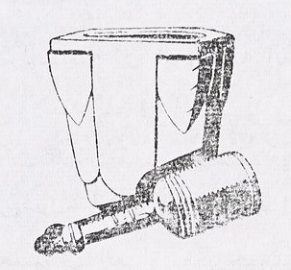
ومهما يكن من امر ، فان اعلان الدستور ثانية ، أحدث نشاطا ملحوظا فى الاوساط المثقفة ، لا سيما وان هذا الاعلان جرى فى الوقت الذي كانت قد وصلت بغداد الهيئة الاصلاحية برئاسة (ناظم باشا) واعلنت عن فتح (٢٤

---

٥ ـ العراق بين احتلالين . العزاوي . المصدر السابق .

مدرسة)للذكور و (٣) للاناث (وذلك يوم ١٤ تموز عام ١٩٠٨) ، فكان عملها هذا بالنسبة لتأريخ التعليم فى العراق ، من الاعمال الخالدة التىوضعت حدا فاصلا بين عهدين ، عهد الجهل والتظاهر بخدمة الثقافة ، وعهد الرغبة الصادقة فى نشر العلم والعرفان •

وهكذا ازدادت العناية بالمدارس منذ ذلك التأريخ ، اذ راح المسؤولون يبذلون ما فى طاقتهم لتأسيس المدارس ونشرها فى المدن والحواضر المختلفة • كما راح الاهلون وبعض الجاليات الاجنبية يؤسسون المدارس الخاصة على نفس الاسلوب ، رغبة منهم فى تثقيف ابنائهم على النهج الغربي الحديث • ولكن هذه الفترة كانت قصيرة اذ سرعان ما أعلنت الحرب العالمية الاولى ، فاضطرب أمر التدريس على بدايته وانتهى الامر بانتهاء آخر صفحة من صفحات الحكم العثمانى فى العراق عام ١٩١٧ •



المدارس في الولايات العراقية

لقد كشفت لنا الفصول المتقدمة عن حالة التعليم فى العراق ، ومدى عناية الدولة العثمانية بنشره وتعميمه فيه ، وكيف كان نصيب هذه البلاد أقل الامصار العثمانية حظا فى هذا الحقل ! هذا ولما كان العراق مقسما اداريا فى ذلك العهد الى ولايات ثلاث هي ، بغداد ، والموصل ، والبصرة ، فقد وجدنا ، أن من الانسب بحث حالة التعليم فى كل ولاية على حدة . لان انشاء المدارس فى كل واحدة منها لم يكن فى زمن واحد ، فضلا عن ان لكل منها فى ذلك العهد ادارة مستقلة خاصة بشؤون المعارف ، ولذا سنتكلم عن التعليم فى كل ولاية على حدة بالتفصيل فيما يلى ..

أولا ــ التعليم في ولاية بغداد :

سنتكلم عن التعليم فى ولاية بغداد على أساس المراحل الدراسية لا على أساس تاريخ انشاء المدارس فيها . ولذلك سنبحث عنها ابتداء من المدارس الابتدائية .

١ ــ المدارس الابتدائية

لقد بينا فى الابحاث السابقة أن الحكومة العثمانية لم تهتم فى بادىء ذي بدء بتأسيس المدارس الابتدائية فى العراق ، اذ قامت بتأسيس بعض المدارس (الرشدية) وكانت هذه تضم بين صفوفها صفوفا لمرحلة الدراسة الابتدائية ، وقد كان سبب عدم الاهتمام بمرحلة التعليم الابتدائي راجعا الى عدم الجدية فى نشر التعليم فى العراق من جهة، ونقص المعلمين من جهة أخرى ، وعزوف الاهلين عن ارسال ابنائهم الى تلك (المكاتب) ان وجدت ، خوفا عليهم من الانحراف من جهة ثالثة . لذلك ما كان فى العراق كله عام ١٨٨٩ م الا (٢٠) مدرسة رشدية عدد طلابها جميعا (٨٤٠ طالبا) (١) .

---

١ ــ راجع سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٠٥ هـ المصادف ١٨٨٩ م .

ويمكن اعتبار السنة التى تلت عام ١٨٨٩ م ، بدء العهدبالاهتمام بانشاء المدارس الابتدائية فى ولاية بغداد ، لاسيما بعد أن لمس المسؤولون ، بأن هذه المدارس هي المجهز الاساسى لمراحل الدراسات العليا ولذلك تم انشاء أربع مدارس ابتدائية فى بغداد هي ، مدرسة (الحميدية) ، ومدرسة (جديد حسن باشا) ، والمدرسة (العثمانية) ، ومدرسة (الكرخ) .

ان الاكثار من فتح المدارس الابتدائية قد تم فى عهد الوالى (نامق باشا) فانه لم يكتف بمدارس بغداد ، بل فتح ست مدارس اخرى فى مدن الحلة والديوانية وخانقين ومندلي (٢) .

ثم أخذ الاهتمام بنشر هذه المدارس فى المدن والحواضر التابعة لولاية بغداد ، حتى أصبح عددها عام ١٩٠٥ م فى ولاية بغداد (٢٠) مدرسة ابتدائية فقط (٣) . ولكن هذا العدد تزايد عام ١٩٠٨ م بعد ما وصلت الهيئة الاصلاحية فى تلك السنة . الا انه لم يكن فى عام ١٩١٣ م ليزيد عن (٣٢) مدرسة ابتدائية فى ولاية بغداد (٤) .

اما مناهج الدراسة فى هذه المدارس فقد كانت بسيطة ساذجة لم تكن تحتوي الا على تعليم الالفباء ، ومبادىء الحساب ، والهندسة البسيطة ، وعلم الحال ، والاشياء ، والصحة ، والتاريخ والجغرافية . وقد كان معظمها يدرس في اللغة التركية .

ومدة الدراسة فى المدرسة الابتدائية كانت أربع سنوات ويشترط فى الطالب الذي يقبل فى الصف الاول ، أن لا يقل عمره عن الست سنوات .

وما كان ملاك المعلمين فى هذه المدارس ، ليزيد عن معلم واحد فى كل مدرسة ، اذ نادرا ما كان ملاك بعضها يزيد عن المعلمين الاثنين .

---

٢ ـ سالنامة بغداد لسنة ١٣١٨ هـ المصادف ١٩٠٢ .
٣ ـ فى غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .
٤ ـ سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ المصادف ١٩١٣ م .

ولقد كان الذوات المدرجة أسماؤهـم أدناه ممن تولـوا ادارة بعض المدارس الابتدائية فى بغداد فى العهد العثمانى الاخير وهم :

المرحوم محمد خلوصي الناصرى ، المرحوم يوسف عز الدين الناصري ، الاستاذ عبـد العزيز الشواف ، المرحوم السيد نوري البرزنجي ، الاسـتاذ عبد الهادي الاعظمي ، المرحوم عمر اسماعيل كركوكلي .

المدارس الابتدائية للذكـور (٥)

عـــام ١٩١٣ م

المدينـــــة	عدد المدارس	عدد الطلاب
بغـــداد	٨	٧٣٣
الاعظميـــة	١	٦٦
الكاظميـــة	١	٤٠
ســـامراء	١	١٠٠
تكـريت	١	٦٠
عليـــاوة	١	١٥
خريســـان	١	٤٢
شـــهربان	١	٣٠
سلمان باك	١	٢٠
الكـــوت	١	٤٥
البغيلـــة	١	٢٩
شيخ سـعد	١	٣٠
الدليـــم	١	٣٠
طـــاش	١	١٥
كبيســـة	١	٢٠

٥ ــ سنتكلم عن مدارس الاناث فـي بحث خاص .

عنـــة	٢	٤٠
كربــلاء	٢	٧٠
هنديـــة	١	٢٠
الكوفـــة	١	٢٠
النجـف	١	٤٠
الحلـــة	١	٤٠
الشـامية	١	٢٥
الخضـــر	١	٢٥

٢ ـ المدارس الرشـدية :

كانت المدارس الرشدية ، أول المدارس التي أسست فى العراق وذلك عام ١٨٧٠ م وفى زمن الوالي مدحت باشا ، أي بعد مرور ثلاثين عاما تقريبا ، من تأسيس المدارس الرشدية فى استانبول . وان فتح هذه المدرسة فى بغداد يعتبر أول خطوة فى سبيل نشر الثقافة الحديثة ، ولقد بذل مدحت باشا ، نفسـه ، جهده لحمل الاهلين على ارسال أبنائهم أو أحد أقاربهم للانخراط فى هـذه المدرسة ، بعد أن شهد عزوف الناس عنها .. وبعد أن تم تسجيل عدد مـن الطلاب ، باشرت المدرسة عملها يوم ١٥ رجب من تلك السنة أي ١٢٨٦ هـ ، غير أن تدريساتها كانت مختلة وناقصة . ويكفي أن نقول أن تدريس اللغـة العربية فيها كان يجري باللغة التركية يدرسه أحد المعلمين الاتراك ، وهكـذا بقية الدروس الاخرى «[٧]» . كانت مدة الدراسة فى المدرسة الرشدية ، ثلاث سنوات ، بعد الدراسة فى الكتاتيب أولا ثم أصبحت بعد الدراسة فى المدارس الابتدائية فيما بعـد .

وفى عام ١٩٠٨ ، قدمت الهيئة الاصلاحية ، وقامت بفتح مدارس عديدة مابين ابتدائية ورشدية كان نصيب المدن والحواضر التابعة لولاية بغداد كبيرا .

---

٧ ــ فى غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .

ان الدراسة الرشدية هذه تعادل فى وقتنا الحاضر (الدراسة المتوسطة) • وقد كان لا يقبل فيها الا خريجو الدراسة الابتدائية • اما مناهجها الدراسية فقد كانت تشتمل على دروس الرياضيات ، والهندسة ، والحساب والجغرافية ، والتاريخ ، وحفظ الصحة ، وعلم الحال ، واللسان والخط •

ومع هذا فقد كانت مناهج الدراسة هـذه بتراء ولا تفي بالقصد • اما معلمو المدارس الرشدية فقد كانوا من الاتراك باديء الامر ، الا أنه بعد انشاء دور المعلمين فى الولايات العراقية ، باتت أكثريتهم مـن العراقيين • اما ملاك المدرسة الرشدية فما كان ليزيد عن الثلاثة معلمين فى الغالب •

المدارس الرشدية فـي ولاية بغـداد

عـام ١٩١٣ م

المدينـــة	عدد المدارس	عدد الطلاب
بغـداد	١	١١٢
الكاظميـة	١	٣٥
سـامراء	١	٣٥
تكـريت	١	٣٠
خانقـين	١	٦٣
خريسـان	١	٣٥
الكـوت	١	٢٨
الدليـم	١	٢٠
كربـلاء	١	٢٠
الحلـة	١	٢٥

٣ـ المدارس الاعداديـة :

يرجع تاريخ تأسيس أول مكتب اعدادي فى بغداد الى عـام ١٨٧٣ م ، وذلك فى زمن الوالي (رديف باشا) ، فقد افتتح (المكتب الاعدادي ملكي)

أبوابه فى أوائل شهر ربيع الآخر ، وبدأ بتسجيل الطلاب والتدريسات .

لقد كانت مدة الدراسة فيه (أربع سنوات) بعد الدراسة الرشدية وقد كان هذا المكتب يشمل الدراستين (الرشدية) (والاعدادية) اذ كان مؤلفا من سبعة صفوف ثلاثة منها رشدية ، والباقية (اعدادية) . أما الدروس التي كانت تدرس فى مكتب الاعدادي ملكي فكانت تشمل الموضوعات الآتية موزعة على السنوات الاربع وهـي :

المثلثات ، الحساب ، مسك الدفاتر ، الاقتصاد ، القانون ، الفلك ، علم الاحياء ، الهندسة ، الجبر ، الاخلاق ، الدين ، الآداب التركية ، اللغة التركية ، اللغة العربية ، اللغة الفرنسية ، اللغة الفارسية ، الجغرافية ، التاريخ ، الكيمياء ، المعلومات المدنية ، الفيزياء ، حفظ الصحة ، الميكانيك ، الرسم ، حسن خط .

لقد كانت الدراسة فى هـذا المكتب على ما يبدو معتبرة . وكان اهتمام الحكومة به بارزا . فقد كان ملاك التدريس فيه كبيرا وقد درس فيـه بعض الاتراك المشهورين أمثال المؤرخ التركي الشهير (علي سيدي أفندي) كما كان من المدرسين فيه ، المرحوم (فهمي المدرس) الكاتب السياسي العراقي «[8]» .

ان التدريسات فى هذا المكتب ، كانت تجري باللغة التركية أيضا . وكان الطلاب فى بعض الصفوف مجبرين على تعلم اللغة الفارسية . وكان عليهم بعد أن يجتازوا الصف الخامس أي الصف الثاني مـن المكتب (الاعدادي) أن يتعلموا واحدة من اللغتين الانكليزية أو الفرنسية .

٤ ـ المكتب السـلطاني :

وقد ظل مكتب الاعدادي ملكي ، يقوم بواجبه الثقافي حتى شهر تشرين الثاني من عام ١٩١٣ م اذ قررت الحكومة فى هذا التاريخ ابدال اسمه باسم (المكتب السلطاني) «[9]» .

---

٨ ـ سالنامة ولاية بغـداد لسنة ١٣١٨ هـ .

٩ ـ مجلـة لغـة العرب ج٣ لسنة ١٩١٣ م

اما دروس هذا المكتب ، فقد كانت نفس دروس الاعدادي ملكي . أما الفرق الوحيد بينهما ، فهو أن الدراسة فى السلطاني قد أصبحت تنقسم الى قسمين هما :

١ ــ القسم الابتدائي : وكان يتألف من خمسة صفوف .

٢ ــ القسم العالي : وكان يتألف من سبعة صفوف .

٥ ــ مدارس الانـــاث :

لقد وقفنا فى بحث (كتاتيب البنات) على حالة المرأة فى العراق من الناحية الثقافية ، وأطلعنا على الآراء التي كانت سائدة ابان العهد العثماني فيما يتعلق بأمر تعليمها وتثقيفها ، ولذلك ليس بمستغرب أن تكون الدعوة لتعليمها من الامور المستهجنة نظرا لسيطرة الرجعية ووقوفها فى وجه كل حركة تدعو الى ذلك .

ففي الوقت الذي راحت فيه الفتاة غير المسلمة ، تعب أفانين العلوم والثقافة من مدارس الاناث التي أنشأتها الطوائف غير المسلمة لها ، في ذلك الوقت كانت البنت المسلمة ، مقيدة ، قعيدة البيت ، وكتب لها أن تعيش بين جدرانه ، ضحية الجمود والجهل والرجعية المقيتة .

ولقد ظلت الفتاة المسلمة على تلك الحالة حتى أواخر القرن التاسع عشر ، عندما كتب الحظ أن ينشىء لها مدرسة . ففي عهد الوالي نامق باشا (١٨٩٩ ــ ١٩٠٢ م) تم تأسيس أول مدرسة للبنات ، لا فى بغداد وحدها بل وفي العراق كله تقريبا . وقد سميت هذه المدرسة باسم (أناث رشدية مكتبي) «١٠»

وعلى الرغم من وجود مدارس خاصة بتعليم البنات ، أنشأها الطوائف المسيحية والاسرائيلية . فقد كانت هذه الخطوة يخطوها نامق باشا خطوة جريئة ، تجاه قوة العناصر المحافظة آنذاك . وقد كان معظم المسلمين يرغبون فى تثقيف بناتهم ولكنهم كانوا يخشون غضب تلك الفئة ، ولذلك أحجموا عن

---

١٠ ــ سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٨ هـ .

ارسال بناتهم (لان بعض الجامدين الذين حافظوا على القديم ، كانوا كلما قام فاضل بارسال طفلته الى المدرسة ، قامت قيامة تلك الفئة ورمته بالزندقة والالحاد ورشقته بسهام من قوارص الكلام . مما يوهن العزم ويفت العضد حتى لا يكاد أحد منهم يجسر بالمجاهرة فى وجوب تهذيب الفتاة وتثقيف عقلها وانماء مداركها وتعليمها العلوم والثقافة التي تؤهلها لان تكون أما فاضلة في المستقبل) «١١» .

ومهما يكن من شيء ، فقد تم فتح هذه المدرسة ، وأخذ الناس يرسلون بناتهم اليها رغم تلك المقاومة . ويكفي أن نعطي القارىء هنا مثالا واحدا من الامثلة التي (ان صحت روايتها) فانها تكشف عن الجمود والتزمت ، وخلاصة تلك الرواية هي (ان مجلس معارف ولاية بغداد فى احدى السنين ، بحث في مسألة مدرسة البنات والبناية التي تصلح لها ، فطال الجدل والنقاش حول الشروط الواجب توفرها في تلك الدار وقد حصروها في الشروط الآتية : «١٢» .

١ ــ أن لا تكون احدى الدور المجاورة لها متسلطة عليها !

٢ ــ أن لا تكون شبابيكها مطلة على الشارع !

٣ ــ أن لا يكون فى الدور المجاورة أشجار عالية !

وكانت الدوافع لوضع هذه الشروط ، هو شدة الحرص على عدم تعرض الفتيات ، وهن يسرحن فى صحن الدار ، لنظر أو (لشرفية) أحد من الناس فى تلك الدور !

ومما يروى فى هذه القصة انه كان من بين أعضاء المجلس ، المرحوم الاستاذ جميل صدقي الزهاوي ، الذي كان صامتا أثناء مناقشة الاعضاء (وكان

---

١١ ــ مقال (المرأة العراقية) بقلم المرحوم ابراهيم حلمي العمر . مجلة لغة العرب . ج٢ عام ١٩١٤ .

١٢ ــ معجم العراق ج١ . للمؤلف ــ بغداد ١٩٥٣ .

معظمهم من رجال الدين أو المحافظين) فلما سكتوا قال (متهكما) ...
ان هذه الشروط ، يا حضرات الاعضاء ، لا تنطبق الا على بناية واحدة ، لم أر أليق منها لتصبح دارا (لمكتب الاناث) . فقال رئيس المجلس متلهفا .. هات يا أستاذ أين هي ؟ فقال الزهاوي ...

انها حوض (منارة سوق الغزل) !! لانها تجمع جميع المواصفات والشروط التي أرادها الاخوان !!

فضحك الرئيس كما ضحك الاعضاء الآخرون !!

ان هذه المدرسة التي فتحت ، كانت بمستوى المدارس الرشدية وكانت تضم كذلك الصفوف الابتدائية .

اما موضوعات التدريس فيها ، فكانت تتألف من تعليم الالفباء والقرآن الكريم . ومبادىء الحساب ، والجغرافية ، والتاريخ العثماني .

اما موضوعات الدراسة فى القسم المتوسط (الرشدية) ، فعلاوة على تلك الدروس كانت هناك دروس اخرى كتعليم اللغة الفرنسية والفارسية ، والخط ، والخياطة ، والنقش ، والتطريز ، وقد كانت العناية بالدروس الاخيرة بارزة ظاهرة .

اما أول مديرة لهذه المدرسة ، فقد كانت ، المعلمة الاولى (أمينة شكورة خانم) تساعدها بعض المعلمات ومنهن (مدام اليانور) معلمة الاشغال والخياطة والتطريز «١٣» .

لقد كان اقبال الناس على هذه المدرسة حسنا نوعما . فقد أصبح عدد الطالبات المسجلات عند افتتاحها (٩٥ طالبة) ، ولكنه أخذ يقل تدريجيا فيما بعد . ولقد ظلت هذه المدرسة تعمل وحيدة فى ولاية بغداد (باعتبارها المدرسة الرسمية الوحيدة) حتى عام ١٩٠٨ م اذ تم انشاء مكتب للاناث في جانب الكرخ ، وآخر فى البارودية ، والثالث فى باب الشيخ ، وكانت هذه المدارس

---

١٣ ـ سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٨ هـ .

ابتدائية «١٤» • وقد قامت جمعية الاتحاد والترقي فى بغداد بافتتاح (مكتب للاناث) يوم ٢٥/ ١/ ١٩١٤ وقد بقيت هذه المكاتب حتى الاحتلال البريطاني عـــام ١٩١٧ •

ان المشكلة التي كانت تواجه التعليم النسوي فى العراق علاوة على ما مر من أسباب ، كانت مشكلة المعلمات ، اذ كـان يصعب تعيين معلمات تركيـات واستقدامهن للعمل فى العراق ، ولذلك كان يستعان بزوجات أو بنات الموظفين الاتراك الموجودين فى بغداد ، اللواتي لهن ثقافة تؤهلهن للقيام بهذه المهمة ، فضلا عن نســاء بعض الاجانب أو المسيحيات لا سيما فى الدروس العمليــة كالخياطة والنقش والتطريز •

وقد كان عــدد الطالبات فى تلك المدارس (بما فيها المدرسة الرشدية) عام ١٩١٤ لا يزيد عن (٣٠٠ طالبة) •



---

١٤ ـــ مختصر تاريخ بغداد ، علي ظريف الاعظمي ، بغـداد ، ١٩٢٦ م •

التعليم والمدارس العسكرية

كان التعليم العسكري فى العراق أسبق أنواع التعليم الحديث نتيجة لاهتمام الدولة العثمانية بتنظيم التعليم العسكري فى استانبول وبعض الولايات العثمانية الاخرى تنفيذا للخطة التي وضعها الخبراء الالمان ، لاسيما (فون در غولتش) فى هذا الشأن . فلقد وضع هذا الخبير (عام ١٨٨٣ م) نظاما خاصا بالتعليم العسكري يرتفع بمستواه عن مستوى معاهد التعليم الاخرى . وكان من جملة ما قرره فى هذا النظام ، تأسيس مدارس رشدية عسكرية ، واعدادي عسكري ، لاسيما فى الولايات التي كانت فيها مراكز للجيوش العثمانية (أوردو) ، بغية اعداد الطلاب المدربين وتهيأتهم للدخول فى المدارس العسكرية الاختصاصية العالية الموجودة فى العاصمة (كمدرسة الفنون البحرية والهندسية ، والمدرسة الطبية العسكرية فضلا عن الكلية الحربية) .

ولقد كانت ولاية بغداد فى مقدمة الولايات التي فتحت فيها المدارس العسكرية الرشدية والاعدادية . تلك المدارس التي أصبح العراق بسببها أكثر الاقطار العربية نصيبا بالرجال العسكريين !

آ — المدرسة الرشدية العسكرية

كانت هذه المدرسة قد أسست في بغداد زمن الوالي مدحت باشا (عام ١٨٧٠ م) . وكان الغرض من افتتاحها هو تهيأة الطلاب للاعدادي العسكري .

لقد جعلت مدة الدراسة فى هذه المدرسة (أربع سنوات) وهي مدرسة داخلية ، يقبل فيها الطلاب على نفقة الحكومة ، بعد أن ينهوا الدراسة الابتدائية . أما الدروس التي كانت تدرس فيها خلال تلك السنوات الاربع فهي :ـ

التاريخ الاسلامي ، الجغرافية العثمانية ، مباديء الهندسة ، الحساب ، علم الحال ، اللغة العربية ، اللغة الفارسية والتركية والفرنسية وحفظ الصحة والجمناستك .

وقد كان معظم المدرسين فيها من الضباط الاتراك .

ونظرا لاهتمام الحكومة لاسيما فى العهد الاخير بالتعليم العسكري فقد افتتحت مدرسة رشدية ثانية ، جعلت من صفوفها بعض الصفوف الابتدائية .
وقد كان يطلق على هذه الصفوف اسم (المخرج) العسكري «١٥» .
وكان عدد طلاب المدرستين الرشديتين زهاء الـ (٧٠٠ طالب)

ب ـ مدرسة نواب الضباط الحربيين

ونظرا لمقتضيات الحرب وحاجة الدولة العثمانية الى عدد كبير من الضباط أو نواب الضباط لسد النقص فى ملاكات الجيش . فقد قررت فتح مدرسة خاصة فى بغداد لتدريب المنتمين لها ، على الفنون والدروس العسكرية بصورة مركزة ولمدة قصيرة لا تزيد عن الستة اشهر . يرسل المتخرج فيها الى الوحدات حيث يعين آمرا لفصيل من الفصائل .
وقد كان القبول فى هذه المدرسة من طلاب المدارس الاعدادية العسكرية أو الملكية أو ما يعادلها .

ج ـ المدرسة الرشدية العسكرية فى السليمانية

ولقد قامت الحكومة العثمانية بفتح مكتب رشدي عسكري فى مدينة السليمانية التابعة لولاية الموصل ، باعتبارها منطقة كردية ، يقبل فيها أبناء تلك المنطقة ، ويهيؤون للدخول فى مكتب الاعدادي العسكري فى بغداد ، تمهيدا لالحاقهم بالمدرسة الحربية فى استانبول . وقد بقيت هذه المدرسة تؤدي واجبها حتى الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ .
ولقد كان عدد طلابها عام ١٩١٤ م (١٣٨ طالبا) «١٦» .

---

١٥ ـ وقد كان أغلب طلابه من أبناء الضباط الذين يدرسون فى المدارس العسكرية وهو قسم داخلي أيضا .
١٦ ـ سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ .

د ـ مدرسة الاعدادي عسكري

لقد تم تأسيس (المكتب الاعدادي العسكري) فى زمن الوالي عبد الرحمن باشا (أي سنة ١٨٧٩ م) وذلك تنفيذا للخطة الموضوعة لنشر التعليم العسكري • والحصول على طلاب مستعدين للدخول فى الكلية الحربية فى استانبول من مختلف أنحاء الامبراطورية العثمانية •

لقد جعلت مدة الدراسة فى المكتب الاعدادي العسكري ثلاث سنوات بعد الرشدية العسكرية • أما الدروس التى كانت تدرس خلال تلك السنين الثلاث فهي :

المثلثات ، الجبر ، الهندسة ، حفظ الصحة ، الفلك ، الجغرافية ، التاريخ ، اللغات ، التركية ، العربية ، الفارسية ، الفرنسية ، الانكليزية ، الدين ، حسن الخط ، الرسم ، الجمناستك •

اما المدرسون فى هذا المعهد فقد كان معظمهم من الضباط الاتراك وعلى الاخص مدرسى الموضوعات العلمية والعسكرية ، اما مدرسو اللغات والخط فكان بعضهم من العراقيين •

وكانت المدرسة داخلية ، يعيش فيها الطلاب على نفقة الدولة ، اذ كانت تتكفل باعاشتهم واكسائهم ومنحهم مصروف الجيب الشهري ، كما أنها بعد تخرجهم فيها كانت ترسلهم على حسابها الى استانبول لاكمال تحصيلهم في المدرسة الحربية فيها •

ولقد تخرجت (الدفعة الاولى) من هذا المكتب (عام ١٨٨١ م) وكانوا ثلاثة عشر متخرجا ، ثم تتابعت دفعات المتخرجين فيها ، وكانت الحكومة تبعث بهم الى استانبول لاكمال تحصيلهم العالي فى الكلية الحربية فيها • ولم يتأخر عن السفر اليها الا خريجو الدفعة الاخيرة بسبب اعلان الحرب العالمية عام ١٩١٤ م •

---

١٧ ـ العراق بين احتلالين • ج٧ • العزاوي • المصدر السابق •

ومما تشير اليه الاحصائيات الرسمية هو أن عدد طلاب المكتب الاعدادي العسكري لم يتجاوز الـ (٥٠٠ طالب) عام ١٩١٣ م •

العراق والتعليم العسكرى

لقد كان لافتتاح المدارس العسكرية فى العراق تأثير كبير فى توجيه أذهان الشبان اليها وحملهم للانخراط فيها • وقد ساعد على ذلك الاتجاه عوامل عدة ، أهمها ما يلي •••

١ : ـ ما كان للضباط من شأن ، وما كان لبزاتهم وملابسم العسكرية الجذابة من أثر فى نفوس الناشئة •

٢ : ـ كون تلك المدارس ، مدارس داخلية يعيش فيها الطلاب على نفقة الحكومة بحيث لم يكن الطالب يكلف أهله فلسا واحدا •

٣ : كون المعاهد العالية جميعها متمركزة فى استانبول ، جعل من الصعب على متوسطي الحال من العراقيين ، أن يرسلوا أبناءهم اليها لاكمال تحصيلهم فيها لاسباب منها ، كثرة النفقات ، وبعد المسافة ، وكثرة المخاطر أثناء السفر ، ولذلك كان انخراط أبنائهم فى السلك العسكري ، مأمون العواقب ، فانه علاوة على تطمينه لرغبات الابناء ، يريح الآباء من تلك المصاعب المادية ، اذ تقوم الدولة بتسفيرهم الى استانبول وتدخلهم فى الكلية الحربية حيث يعيشون على نفقتها وتتولى رعايتهم فيها •

وهكذا ولهذه الاسباب ، كان العراق ، أكبر الامصار العربية العثمانية حصة بعدد خريجي المدارس العسكرية • ويكفي ان نشير أنه عندما تم تشكيل الحكم الوطني فى العراق عام ١٩٢١ ، وأخذ المسؤولون فيه يفتشون عن الشباب العراقي المثقف ، لم يجدوا أمامهم الا العدد الكبير من العسكريين ، بينما كان عدد حملة الشهادات العالية من غير العسكريين ، ضئيلا جدا «[١٨]» •

---

١٨ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية • الحصري ، المصدر السابق •

هـ ـ مكتب الصنائع

كانت الدراسة المهنية الفنية معدومة بالمرة فى العراق ، الا أنه فى زمن الوالى العظيم مدحت باشا ، تم تأسيس معهد فني لهذا الغرض • ذاك هو (مكتب الصنائع) • فلقد رأى حين وصوله الى بغداد ، كثرة المدارس الدينية فيها ، وخلوها من أية مدرسة يتدرب فيها الطلاب على بعض الحرف والصناعات التى تعينهم على كسب قوتهم عن طريق الجد والعمل ، ولذلك قرر انشاء مدرسة تهتم بنشر الثقافة الفنية • وقر ان يجعل من احدى تلك المدارس مدرسة للصنائع • فوقع اختياره على (المدرسة العلية) الواقعة على شاطيء دجلة ، وسرعان ما هدم عمارتها ، وعمرها على طراز جديد وجعلها صالحة لكى تضم كافة ما تحتاج اليه مدرسة الصنائع من مخازن ومعامل وأقسام داخلية وغير ذلك • ونظرا لحرصه الشديد على اقامة هذه المدرسة فقد استعمل طابوق سور بغداد الشرقية لبنائها [١٩] لعدم وجود معامل للطابوق آنذاك • وانه قبل اتمام عمارتها بكامل أقسامها ، افتتح الدراسة فيها بينما أسكن طلابها فى مخيمات أقامها على مقربة منها •

ولقد جلب لها الادوات واللوازم الضرورية من الخارج • كما جلب فى نفس الوقت (مطبعة) للولاية ، وأقامها فى قسم من أقسامها ، وعين المدربين المختصين فى الفروع الصناعية المختلفة فيها •

أما الطلاب الذين تم قبولهم فيها فكانوا من الايتام والفقراء وقد كان عددهم (١٤٤ طالبا) باشروا الدراسة فى عام ١٨٧١ م «[٢٠]» •

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد هو ، ان انشاء هذه المدرسة وشراء المعدات واللوازم كان قد ساهم بتكاليفه معظم ابناء المدن العراقية

---

١٩ ـ دليل خارطة بغداد . من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . بغداد ١٩٥٨ .

٢٠ ـ العراق بين احتلالين ج٧ . العزاوي . المصدر السابق .

بنتيجة حملة التبرعات التي أعلنها الوالي نفسه ، وجمعت مبالغ طائلة ساعدته على تنفيذ هذا المشروع الجليل (٢١) .

لقد كانت مدة الدراسة فى هذه المدرسة (خمس سنوات) بعد الدراسة الابتدائية أو ما يعادلها آنذاك ، تدرس خلالها من العلوم النظرية الدروس الآتية :

الجبر والحساب والهندسة والجغرافية والتاريخ والعقائد الدينية واللغة العربية والفرنسية .

اما الدروس العملية فكانت تشتمل على الفروع الآتية :

الحدادة ، البرادة ، الميكانيك ، صناعة النسيج (الصوفي ، الحريري ، القطني) صناعة السجاد والكنبار ، النجارة ، صناعة الاحذية وغير ذلك .

ولقد استعان الوالى فى تدريب الطلاب على هذه الصناعات ببعض (الاسطوات) المهرة فيها .

وقد قامت هذه الاقسام بانتاج بعض المصنوعات التى كانت على درجة لا بأس بها من الاتقان والجودة ، وفتح لها معرض خاص ، كما عهد الى بعض المخازن السوق ، لبيع تلك المنتجات . وقد كانت ادارة المدرسة تنشر بين الحين والآخر ، اعلانا تحث الناس فيه على شراء منتجاتها (٢٢) .

ومن طريف ما وقفت عليه حول هذه المدرسة ، هو الامتحان الذي جرى

---

٢١ ـ جريدة الزوراء باعدادها الصادرة عام ١٢٨٦ هـ .

٢٢ ـ نشرت جريدة الزوراء بعددها الصادر يوم أول رجب سنة ١٢٨٨ هـ ، هذا الاعلان (لا يخفى أن الاقمشة النفيسة من معمولات مكتب الصنائع من نوع المنسوجات القديفة والابريسم والامتعة المتنوعة من منسوجات القطن ، ومن الاشياء الظريفة مثل البسط ، والقوندرة والبوتين ، فانها تباع فى دكان (علي أفندي) الواقع فى سوق القشلة . وما عدا أنها، عال العال فان فئاتها أيضا هينة . فمن أراد شراءها فليراجع بذلك . ولاجل بيان ذلك حرر هذا الاعلان من طرف ادارة مكتب الصنائع) .

للصف المنتهي منها يوم ١٧ جمادي الآخرة سنة ١٨٧٦ م وهو الصف الذي كان طلابه أوائل الطلاب الذين سجلوا فى المدرسة أيام افتتاحها عام ١٨٧١ م .

فقد حضر الى المدرسة فى ذلك اليوم للاشراف على الامتحان هيئة كبرى مؤلفة من :

وكيل الولاية مع سائر كبار الموظفين من مدنيين وعسكريين ، وعدد كبير من الوجوه والاعيان وقناصل الدول المعظمة ، وقامت هذه بالاشراف والمشاركة فى امتحان الطلاب . وبعد الانتهاء من ذلك اعربوا عن غبطتهم وسرورهم لما لمسوه فى الطلاب من فطنة وذكاء ومهارة . وقد ألقى أحد الطلاب المتخرجين وهو المدعو (مهدي أفندي) كلمة بعد الديباجة المنمقة فى مدح السلطان والوالي جاء فيها ...

« ..... وقد كان أحاط بأطرافنا عدوان كبيران ، احدهما ، البقاء بلا أب ولا أم مع الفقر الذي يغير الاحوال ويزلزل من حل به اشد الزلزال . وثانيهما الجهل المفني للانسان فى الدنيا والآخرة باليأس والحرمان . فصارت لنا عنايات حضرة مولانا الذي آبت اليه الشوكة ، وتعطفاته الجليلة السلطانية الشاملة ، خصوصا وعموما ، دليلا لاجل تخليصنا من أيدي هذين العدوين ، وتيسر دخولنا بهذا المكتب الذي هو للصنائع أفضل مكتب ، الذي صارت هذه السنة سادس سنة لتاريخ فتح بابه وتهيأة أسبابه (٢٣) » .

لقد كان نصيب هذه المدرسة نفس النصيب الذي أصاب المدارس الاخرى من الاهمال الذي حل بعد مدحت باشا . فقد أخذت تسير القهقري وأهمل أمرها ، وقل عدد طلابها ، ومالت عمارتها الى الانهدام لولا ان هيأ الله لها واليا آخر هو الوالي (نامق باشا) عام ١٨٩٩ ، اذ اهتم بأمرها وعمرها وأسس قسما خاصا بالنجارة (لانه كما يذكر ، كان مولعا بالنجارة ويحسن صنعتها) ، وأدخل كذلك تدريس الموسيقى حيث جلب لها جوقا (باند)

---

٢٣ — جريدة الزوراء . جمادي الآخرة . ١٢٩٢ هـ .

موسيقيا كاملا من أوربا ، وعين المدربين الفنيين لها • فأصبح عدد طلابها فى زمانه (١٣٠ طالبا) بعد ان انخفض الى (٤٠ طالبا) قبله • وقد ارتفع مستوى الدراسة فيها وزادت العناية بها بادارتها فيما بعد ، اذ عهد بأمر الاشراف على شؤونها العامة الى لجنة خاصة تضم عددا من الشخصيات المهمة من موظفي الولاية ، فقد كان أعضاؤها عام ١٩٠٦ م السادة :

١ : ــ مصطفى فهمى بك ناظر الديون العمومية رئيسا
٢ : ــ محمد فهمى المدرس مدير مدرسة الصنائع عضوا
٣ : ــ فؤاد بك مفتش الصحة عضوا
٤ : ــ مسيو شوانيس مهندس الولاية عضوا
٥ : ــ مسيو موجيل مهندس البلدية عضوا
٦ : ــ عبد الجبار أفندي باشكاتب الاوقاف عضوا
٧ : ــ سليمان أفندي المحامي من الاهلين عضوا

ولقد زادت العناية بهذه المدرسة أكثر بعد اعلان المشروطية ، اذ كان خريجوها يفتحون لهم (الورش الصناعية) يساعدهم فى ذلك ما تجمع لهم أثناء دراستهم من مال وهو حقهم فى الانتاج • وقد كانت علاقتهم بالمدرسة مستمرة اذ كانوا يطلعون بواسطتها على الادوات الحديثة والاساليب الفنية الجديدة فى مختلف الفنون والصناعات •

ولقد كان عدد طلاب هذه المدرسة فى عام ١٩٠٦ م لا يتجاوز الـ (٧٠ طالبا) • وقد توقفت الدراسة فيها على أثر اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م •

و ــ دار المعلمين

لقد كان اهتمام السلطة العثمانية منصبا على فتح المدارس الابتدائية ، ولكن هذا الاهتمام كان تافها ، غير أنه لما تنبهت الافكار وتنورت الاذهان ظهر لها ان الضرورة تقضى بزيادة العناية بأمور التعليم الابتدائي ونشرالمدارس

الابتدائية فى كافة الارجاء • لذلك قامت بفتح هذه المدارس الا أنها جوبهت بعقبة لم تكن تحس بها، تلك هي الحاجة الى المعلمين • لذلك رأت تلك السلطة الاستعانة ببعض الشيوخ والملالي غير أن ذلك لم يكن ناجحا ، لان التعليم الحديث يتطلب تدريبا خاصا وثقافة جديدة • فلما أوشك القرن التاسع عشر على الانتهاء كانت الحاجة ماسة جدا لوجود معهد لتخريج المعلمين لتلك المدارس • وهكذا تم انشاؤه فعلا فى زمن الوالي نامق باشا ، الذي لمس صعوبة فى استقدام المعلمين من استانبول أو ارسال الشباب من العراق للدراسة فى دار المعلمين فى استانبول • فقرر فتح (دار للمعلمين) فى بغداد لهذا الغرض لاسيما بعد ما انصرفت نيته الى توسيع المدارس الابتدائية ونشرها فى العراق ، وقد قرر أن تكون هذه الدار معهدا داخليا يضم الطلاب من مختلف المدن التابعة لولاية بغداد •

ولذلك عندما تم افتتاح هذه المدرسة كان عدد الطلاب المقبولين فيها (٤٠ طالبا) •

كانت مدة الدراسة فى هذه الدار لا تزيد عن سنتين ، وكان يقبل فيها طلبة المدارس الدينية أو طلاب الاعدادي ملكى • وكانت الدراسة فيها أول أيامها دراسة بسيطة تافهة أشبه ما تكون بمدرسة دينية ، اذ لم تكن الدروس فيها لتزيد عن التجويد ، وحسن الخط ، والاملاء ، وتهذيب الاخلاق •

غير ان تطور الزمن لا سيما بعد الانقلاب العثماني أدى الى تغير مجرى الدراسة فى المدرسة ، اذ تقرر أن تكون الدراسة فيها على غرار دور المعلمين فى استانبول • ومدة الدراسة فيها (أربع سنوات) ولذلك أصبحت الدروس التى تدرس خلال هذه المدة تتألف من الموضوعات الآتية [٢٤] •

الرياضيات ، الهندسة ، العلوم الطبيعية ، أصول التدريس ، علم الالهيات ، التاريخ الاسلامي ، اللغة العربية ، الجغرافية ، قواعد اللغة

---

٢٤ ـ أسرار الكفاح الوطني فى الموصل . عبد المنعم الغلامي . بغداد ١٩٥٨ .

الفارسية ، اللغة التركية ، اللغة الفرنسية .

وقد كان أول مدير لهذه الدار المدعو (عبد الله افندي [٢٥]) . وقد ظل كذلك حتى حل محله المرحوم الشيخ نوري الشيرواني [٢٦] . وقد بقي فيها مدة حتى خلفه الاستاذ (عادل بك) الذي أكمل تنظيمها ورتب الدراسة فيها على الطراز الحديث . وكان من المدرسين العراقيين فيها لا سيما فى العهد الاخير من الحكم العثماني ، الاساتذة المرحومون : يحيى الوتري ، محمد فهمي [٢٧] رؤف العطار ، جميل المدرس [٢٨] .

وكانت الدراسة فى هذه المدارس على نفقة الحكومة ، وقد الحقت بها مدرسة ابتدائية للتطبيق هي (مدرسة تطبيقات دار المعلمين) وكانت فى أول تأسيسها تتألف من صف واحد . ثم توسعت وكانت تشغل البناية الواقعة قبالة نادي الضباط اليوم . أما دار المعلمين نفسها فقد كانت تشغل دار الحاج حسين خيوكة مكان بناية متصرفية بغداد الحالية ثم انتقلت الى بنايتها الجديدة التى كانت قد بوشر ببنائها يوم ٨ كانون الاول سنة ١٩١٤ م . وقد ظلت هذه المدرسة تؤدي رسالتها حتى توقفت بسبب الحرب العالمية الاولى .

ولقد كان عدد طلبة المدرسة عام ١٩١٣ م فى صفوفها المختلفة زهاء الـ (٢٠٠ طالب) .

المدارس الاهلية في بغداد

كان اعلان المشروطية عام ١٩٠٨ م بما جاء فيه من مبادىء الحرية والعدالة والمساواة ، الباعث الكبير الذي بعث فى النفوس ، الرغبة فى ارتقاء معارج الحضارة ، وراح الناس يتطلعون الى النور والعلم والثقافة . فكانت الهيئة

---

٢٥ ـ سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٨ هـ .
٢٦ ـ هو والد بهاء الدين نوري سفير العراق السابق فى الاردن .
٢٧ ـ هو والد عبد الجبار فهمي متصرف لواء بغداد السابق .
٢٨ ـ هو أخ المرحوم الاستاذ فهمي المدرس .

الاصلاحية التي جاءت بغداد فى ذلك الوقت ، وقيامها بفتح المدارس العديدة ، عاملا من تلك العوامل التي حركت الطوائف المختلفة ودفعتها للتفكير فى تثقيف ابنائهم ، الثقافة الحديثة والعلوم العصرية . ولذلك تم انشاء بعض المدارس الاهلية والاجنبية بعد ذلك التاريخ . وفى مقدمة هـذه المدارس ، المدارس الآتيـة ...

مكتب الترقي الجعفري العثماني (٢٩)

كانت سياسة الدولة العثمانية طيلة حكمها للعراق مبنية على سياسـة (فرق تسد) بالنسبة لسكان العراق أنفسهم . فلقد كانت تتعصب ضد أبناء الطائفة الجعفرية فى مختلف المجالات . وكان أبسطها ، حرمان هؤلاء حتى من الاستفادة من هذه المدارس . ولم يكن لابناء الطائفة فى بغداد غير تلك المدرسة الدينية التي أسسها المرحوم الشيخ شكر فى أواخر القرن التاسع عشر فى جامع المصلوب كما مر بنا ذلك .

ولذلك وبعد اعلان المشروطية وتوسع الحكومـة فى فتح المـدارس المختلفة ، شعر أبناء الجعفرية بضرورة وجود مدرسة خاصة بهم ، غير أنهم لم يكونوا متحمسين لذلك خوفا من معارضة رجال الدين ، فكانوا مترددين . ولكن هذا التردد لم يطل بل سرعان ما تبلورت الفكرة وأخذت طريقهـا الى ميدان التحقيق .

اما كيفية تأسيس هذا المكتب فلها قصة يجدر بنا اثباتها هنا لانها تكشف لنا صورة من صور التاريخ الثقافى فى ذلك العهد . ولذلك سنترك المرحـوم الاستاذ علي البازركان الذي عاصر تأسيس هذا المكتب يقص علينا قصته اذ

---

٢٩ ـ لما كان بحثنا خاصا بالعهد العثماني فسوف لا نتكلم فى هذا الكتاب عن (مدرسة التفيض الاهلية) بل سنبحث عنها فى كتابنا عن التعليم فى العراق فـي عهد الاحتلال البريطاني .

ويقـول «٣٠» ..

ترجع قصة تأسيس المكتب الجعفري العثماني الى عام ١٣٢٦ هـ وكـان المحرك لتأسيسها قصة (سماور) «٣١» . فقد كان الحـاج سلمان أبو التمن قد استورد (سماورات) متقنة الصنع ، جميلة الشكل ، كانت قد نفذت حال عرضها فى السوق . وقد جاءه الاستاذ البزركان راغبا فى شراء واحد منها ، فاعتذر الحاج بنفاذها . فلما رأى أنها مرغوبة ، أمر كاتبه (اليهودي) المدعو (شميل سوميخ) بالابراق لاستيراد وجبة جديدة .

فلما مر اكثر من شهر على ذلك كان الاستاذ البازركان مارا فى السـوق فشاهد سماورات من نفس النوع فى دكان (عباس محبوب أغا) . فأسرع الى الحاج سلمان معاتبا ، لعدم ارسال واحد منها اليه قبل عرضهـا للسـوق . فاستغرب الحاج سلمان من ذلك وضرب كفا بكف قائلا ... لقد خانني كاتبي اليهودي ، اذ استورده لغيري !!

ثم يمضى المرحوم البازركان قائلا ...

ان هذه القصة نبهتني الى خطر كبير .. الى الاخطبوط اليهودي الذي كان ينسج حبائله حول اقتصادياتنا فقلت ...

يا حضرة الحاج لو كان كاتبك مسلما ، فهل كان بوسعه أن يرتكب هذه الخيانة ؟! أجابني ... كلا !!

فقلت له : اذن يجب عليكـم أن تفتحوا مدارس لتعليم اللغات الاجنبية كاللغة الانكليزية والالمانية والفرنسية ، حتى تحصلوا على شـباب تتخذونهم كتابا، وكاتمي أسرار لتجارتكم . كذلك ينبغي علينا أن نهيىء جيلا من المسلمين يمتهن المحاماة كي يقوموا بمراجعة المحاكم !

فقال لي : بأية صورة نحصل على هؤلاء الذين ذكرتهم ؟

أجبتـه : بفتح مدرسـة !!

---

٣٠ ـ الوقائع الحقيقية فى الثورة العراقية . علي البازركان . بغداد . ١٩٥٤

٣١ ـ سماور كلمة فارسية معناها (ثلاث معطيات) وهو جهاز لغلي الماء للشـاي .

فقال الحاج سلمان : اسكت يا علي لئلا يسمعك الناس فيعتبرونك من الكفرة الفجرة !!

فعلمت من هذا الكلام أن هناك عددا غير قليل من المتمسكين بالقديم لا يروقهم التجدد ، وأنهم يعتبرون تعلم اللغات الاجنبية والعلوم العصرية كفرا محضا !!

ثم يقول الاستاذ البازركان ...

وبعد اعلان المشروطية والمناداة بالحرية والعدالة والمساواة ، قلت للحاج سلمان ... هذا زمن الحرية ، ويجب علينا أن نجاهر بآرائنا حول فتح المدرسة المذكورة !! وقد وافق على هذا الرأي شريطة أن نفاتح به (العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي الموجود آنذاك فى الكاظمية) فذهبنا اليه سوية ، وبعد جلسة قصيرة ، وقف العلامة على الفكرة والغاية من انشاء هذه المدرسة ، فسر بها سرورا كبيرا وقال ..

— انها لفكرة ضرورية وهي ليست من الكفر بشيء ، بل هي حياة لنا ثم قال (من تعلم لغة قوم أمن مكرهم) بالنسبة لتعلم اللسان الاجنبي !!

ثم قال (الحبوبي) رحمه الله ...

— من أجل أن افحم كل من يعارض هذه الفكرة سأنزل ضيفا على الحاج داود أبي التمن وأقابل المعارضين لاقناعهم !!

وقد بر بوعده فعلا . وراجت الفكرة وأخذ يعمل لها جماعة من الوجهاء والعلماء المعروفين منهم السيد عبد الكريم الحيدري والشيخ جواد التويج وكذلك جماعة من الشباب فأصبحت الاذهان متهيأة لها ، لذلك عقد اجتماع لهذا الغرض وانتخبت هيئة تألفت من الذوات المدرجة اسماؤهم أدناه وهم: «٣٢»

الحاج سلمان أبو التمن

---

٣٢ — نشرة (الجعفرية المسائية) . السنة الاولى . ١ مايس ١٩٥١ .

العلامة الشيخ شكر
العلامة السيد عبد الكريم الحيدري
جعفر الملائكة
السيد جعفر السيد هاشم
السيد علي مهدي البغدادي
عباس أغا عليوف
الحاج عبد المجيد الصفار
مهدي الخاصكي
الحاج محمد حسن الجوهر
اسطة علي العينه‌جي
الحاج عبد الحسين البحراني
الحاج أمين الجرجفجي
الحاج جودي قنبر أغا
الحاج حسين علاوي
الحاج حسين الشهربنلي
الحاج عبد الغني كبة
الحاج جعفر أبو التمن

وبعد مداولات حرروا طلبا يطلبون الاجازة بفتح المدرسة واتفق أن يقدمها الاستاذ البازركان نفسه • فلما رفعها للوالي وقرأها ، قال له ــ لماذا تطلب فتح مدرسة أهلية للجعفرية ؟ وهناك مدارس حكومية كثيرة ؟

فقال له الاستاذ البازركان •

ــ لا يوجد أي جعفري فى المدارس الحكومية !!

ولما تأكد من صحة قول البازركان من (المكتوبجي) ، وافق على منح الاجازة • وهكذا انتهت معاملتها وأصبح مديرا لها ، الشيخ شكر نفسه ، وأطلق على المدرسة اسم (مكتب الترقي الجعفري العثماني) • وقد اتخذت

من الدار التي كان يسكنها الطبيب المشهور (ارسطو) وهي مجاورة لمسجد الحاج داود أبو التمن ، مقرا لها .

وقد افتتحت الدراسة فيها يوم ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ هـ المصادف (١٩٠٩ — ١٩١٠ م) .

وقد جمعت تبرعات لغرض انشاء بناية خاصة بها بلغت (٨٠٠ ليرة) ذهبية .

وقد كان عدد الطلاب الذين سجلوا فيها عند افتتاحها (٣٠٠ طالبا) توزعوا على مختلف مراحل الدراسة التي احتوتها المدرسة من (روضة وابتدائية ورشدية) . ثم أخذت تتوسع حتى أصبحت بعد أربع سنوات ، مدرسة اعدادية .

أما ادارة المدرسة فقد كانت بعهدة (الشيخ شكر) يساعده عدد من المدرسين نذكر منهم الاساتذة .

المرحوم علي البازركان . محمد أفندي ، المسيو مهران ، السيد حسن .

ولقد سارت المدرسة منذ ذلك التاريخ باندفاع ، غير أن نشوب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م سبب بعض الفتور فاغلقت الصفوف الاعدادية والرشدية ، وبقيت الدراسة فيها مقتصرة على المرحلة الابتدائية .

وفى نهاية الحرب عام ١٩١٨ م كانت بنايتها قد فرغ من انشائها فانتقلت اليها وغيرت اسمها عند ذاك ، وأصبحت (المدرسة الجعفرية) . وقد تخرج فى هذه المدرسة عدد كبير من الرجال الذين تولوا المناصب العالية فيما بعد نذكر منهم الاساتذة :

المرحوم جعفر حمندي ، الحاج محمد حسن كبة ، أحمد زكي الخياط ، رؤوف البحراني ، عباس مهدي ، عبد الحميد مهدي ، صادق البصام ، عبد الرزاق الازري ، عباس شكارة ، حسن جواد ، عبد الهادي المختار ، عبود زلزلة ، كاظم شكارة ، جعفر خياط ، عبد المجيد محمود ، حسام الهادي وغيرهم «[٣٣]» ..

---

٣٣ — لقد استقينا كثيرا من هذه المعلومات من الاستاذ كاظم شكارة مدير حسابات المدارس الجعفرية اليوم وأحد تلامذتها الاوائل بالامس .

ثانيا ـ التعليم في ولاية الموصـــل

كانت ولايـــة الموصل ابان العهد العثماني مسرحا للحروب والغزوات • فلا عجب ان خبا فيها نور العلم، بعد أن كان مزدهرا ، فقد انحطت فيها العلوم، لاسيما فى عهد الدولة الايلخانية والدول التركمانية، ثم فى زمن سيطرة الاعجام عليها • ولما انتهت السيطرة عليها الى أيدي العثمانيين ، وفوضت حكمها الى الوزراء الجليليين ، قامت فى زمن هؤلاء ، نهضة علمية مناسبة لذلك العصر ، غير أنه لما آل الامر فيما بعد الى الولاة الاتراك ، أصابت تلك المدارس ودور العلم التي كانت قد انشأت فيها ، فترة اهمال بسبب انشغال الحكومة فى كبح جماح العصاة من البدو والاكراد • غير أنه لما استتب الامن فى ربوع الموصل أخذت الحكومة على قدر طاقتها تهتم بشؤون التعليم والثقافة وذلك منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر «١» •

آ ـ المدارس الابتدائيـــة

ان أول مدرسة ابتدائية حديثة أسست فى مدينة الموصل ، يرجع تاريخها الى عهد ولاية (كنعان باشا) • فقد تم تأسيس (مكتب) حديث فى الموصل سنة ١٨٦١ م • وكان ذلك بمسعى الحـــاج فهمي أفندي بن مصطفى أفندي العمري ، حيث أسست بجوار ، باب لگش (باب الجيش) • وكان هذا المكتب فى بداية انشائه ، يضم صفوفا ابتدائية وصفوفا اخرى للدراسة الرشدية •

وقد ظلت الحالة كذلك حتى عام ١٨٩٠ ، عندما انفصل المكتب الرشدي عن المكتب الابتدائي • وبعد ذلك بأربع سنوات أي فى عام ١٨٩٤ م ، أنشىء فى مدينـــة الموصل مكتب ابتدائي ثان ، دون أن يكون فى المدن والحواضر التابعة للولاية كلها سوى ثلاث مدارس رشدية ، تحوي صفوفا للدراســة الابتدائية • غير أنه لم يكد ينتهي القرن التاسع عشر حتى أخذ تأسيس المدارس

---

١ ـ تاريخ الموصل ـ القس سليمان صائغ ـ القاهرة ـ ١٩٢٣ •

الابتدائية ، يتوسع فى مختلف المدن والاقضية والنواحي الملحقة بالولاية . حتى أصبح عددها عام ١٩١٤ م حوالي (٣٠) مدرسة رسمية .

اما موضوعات الدراسة ، وحالة المعلمين فيها ، فهي مشابهة للدراسة الابتدائية فى بغداد ولذلك لم نر حاجة فى تكرار ذلك .

ونظرا لكبر مدينة الموصل ، وكثرة القرى والنواحي الملحقة بها ، فقد انتشرت فيها مدارس ابتدائية عديدة كانت عام ١٩١٤ تضم المدارس الآتية :

١ ــ المدرسة النموذجية	وعدد طلابها	١٣٠
٢ ــ مدرسة الاتحاد والترقي	« «	٨٥
٣ ــ مدرسة المياسة الابتدائية	« «	٥٣
٤ ــ مدرسة جامع خزام الابتدائية	« «	١٢٥
٥ ــ مدرسة كورة باش الابتدائية	« «	٦٠
٦ ــ مدرسة شيخمحمد الابتدائية	« «	٣٣

أما مدارس القرى التابعة لها فكانت أربع مدارس هي :

١ ــ مدرسة نينوى الابتدائية	وعدد طلابها	٢٠
٢ ــ مدرسة يارمجة الابتدائية	« «	٢٠
٣ ــ مدرسة كوكجهلي الابتدائية	« «	١٥
٤ ــ مدرسة الرشيدية	« «	٢٨

الا أن عدد مدارس مدينة الموصل قد زاد فيما بعد ، ثلاث مدارس ، هي مدرسة تطبيقات دار المعلمين ، ومدرسة (دار العرفان) ، ومدرسة (شمس المعارف) «٢» .

ولكن هذه المدارس لم يبق منها فى عام ١٩١٧ م ، سوى ثلاث مدارس كان عدد طلابها (٢٥٩ طالبا) «٣» .

---

٢ ــ أسرار الكفاح الوطني في الموصل . المصدر السابق .
٣ ــ فصول من تاريخ العراق القريب . المس بيل ، ترجمة جعفر خياط . بيروت . ١٩٤٩ .

أما المدارس الابتدائية التـي انشأت فى المدن والحواضر التابعة لولاية الموصل ، فقد بلغت زهاء العشرين مدرسة ابتدائية ، توزعت فى ألوية كركوك والسليمانية وأربيل والاقضية الملحقة بهـا .

ونقدم فيما يلي ، جدولا عاما بمدارس الولاية عام ١٩١٤ م استنادا الى سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ .

مدارس ولاية الموصل الابتدائية الرسمية عام ١٩١٤

(للذكـور فقـط)

المدينـة	عدد المدارس	عدد الطلاب
مدينـة الموصـل	٦	٥٧٠
القرى الملحقة بالموصل	٤	٨٨
عقـرة	١	٣٠
العماديـة	١	٤٥
سـنجار	١	٤٥
دهـوك	١	٥٠
زاخـو	١	٤٠
كركـوك	٤	٢٨٠
راونـدوز	٢	٤٥
كويسـنجق	١	١٢٥
صلاحيـة	١	١٥٠
أربيـل	٢	١٥٥
السـليمانية	٢	٨٠
شـهر بازار	١	٦٠
معمـورة الحميـد	١	٣٠

تلعفر	١	٤٠
المجموع «٤»	٣٠	١٧٩٣

ب ــ المدارس الرشدية

بينا أن المكتب الذي أنشىء في مدينة الموصل ، أيام ولاية كنعان باشا عام ١٨٦١ م ، كان يحتوي على صفوف ابتدائية ، وصفوف رشدية ، ولذلك يعتبر هذا التاريخ بداية لتأسيس المدارس الرشدية فيها . ولكن هذه الصفوف أصبحت (مدرسة رشدية) مستقلة في سنة ١٨٩٠ م .

وفي عام ١٨٩٤ أنشأت مدارس رشدية ، في السناجق الملحقة بالولاية . فأصبح في ولاية الموصل أربع مدارس ، موزعة في مدن الموصل ، وشهرزور وراوندوز والسليمانية .

اما في سنة ١٨٩٥ م ، فقد تحولت المدرسة الرشدية . في مدينة الموصل الى (مدرسة اعدادي ملكي) . الا أنها كانت تضم صفوف المدرسة الرشدية . بينما ظلت رشديتا ، كركوك والسليمانية ، الى ما بعد اعلان المشروطية ، حيث تحولتا بعد عام ١٩٠٨ م الى مدرستين اعداديتين شبيهتين بمدرسة مدينة الموصل .

وهناك (مدرسة رشدية عسكرية) في مدينة السليمانية . وعلى هذا يمكن القول ، أنه كان في ولاية الموصل ، عدا المدارس الرشدية المنضوية تحت اسم (مدارس الاعدادي ملكي) في الموصل وكركوك والسليمانية ، كان يوجد ثلاث مدارس رشدية ملكية . وواحدة عسكرية موزعة على الشكل الآتي :

١ ــ المدرسة الرشدية للبنين في أربيل	عدد طلابها	٣٩

---

٤ ــ لقد خمن عدد طلبة المدارس الابتدائية في كل من ، عقرة وسنجار ودهوك وزاخو وتلعفر ومعمورة ، قياسا على المدارس المجاورة ، لعدم الاشارة الى ذلك في سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ .

٢ ـ المدرسة الرشدية فـي راوندوز	«	«	٣٠
٣ ـ المدرسة الرشدية فى الصلاحية	«	«	١٩
٤ ـ المدرسة الرشدية العسكرية بالسليمانية	«	«	١٣٨

ج ـ مدارس الاعدادي ملكي

ان مكتب الاعدادي ملكي كما تبين لنا فى بحث المدارس الرشدية ، كان قد تحول الى مدرسة اعدادية فى سنة ١٨٩٥ م • بينما لم تتحول المدرستان الرشديتان فى كركوك والسليمانية الا بعد عام ١٩٠٨ بقليل • وعلى هذا لم يكن فى ولاية الموصل عام ١٩١٤ م سوى هذه المدارس الاعدادية الثلاث وهي:

٣ ـ المدرسة الاعدادية	فى السليمانية	عدد الطلاب	١٦٣
٢ ـ المدرسة الاعدادية	فى كركوك	« «	١٣٥
١ ـ المدرسة الاعدادية	فى الموصل	« «	٣٤

د ـ مدارس الاناث

كانت مدينة الموصل فى مقدمة المدن العراقية التي انشأت فيها مدارس لتثقيف البنات • غير أن ذلك كان على أيدي جهات تبشيرية كما سنرى فيما بعد • أما الجهود الرسمية فلم تنشط الا بعد المشروطية ، اذ تم فتح (مكتب رشدي) للاناث ثم بعد ذلك بمدة فتح مكتب ابتدائي فى محلة (السراجخانة) •

أما فى مدينتي كركوك والسليمانية وغيرهما من الحواضر التابعة لولاية الموصل فلم ينشأ فيها أية مدرسة للاناث • وعليه لم يكن فى ولاية الموصل كلها سوى هاتين المدرستين وهما : «٥»

١ ـ المدرسة الرشدية للبنات فى الموصل وعدد طالباتها ١٤٠ •

٢ ـ المدرسة الابتدائية فى محلة السراجخانة وعدد طالباتها ١٢٠ «٦» •

---

٥ ـ سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ •

٦ ـ ذكرت (المس بيل) فى كتاب (فصول من تاريخ العراق) أن عدد طالبات الموصل عام ١٩١٧ كان (١٤٩) طالبة فقط •

هـ ـ دار المعلمين الابتدائيـة

نشأت فكرة اقامـة دور للمعلمين فى الولايات المختلفة فى أواخر القرن التاسع عشر ، لاسيما بعد التوسع فى فتح المدارس الابتدائية ، وتزايد الحاجة الى المعلمين مـن جراء ذلك .

ولذلك كانت ولاية الموصل قد أنشأت لها دارا للمعلمين ، حوالي عـام ١٩٠٠ . وكانت باديء أمرها تحتوي على صفين ولم يكن نظامها ليجيز قبول أكثر مـن عشرة طلاب . غير أنه لما وقـع الانقلاب العثماني ، تطـور وضع الدراسة فيها ، فأصبحت ذات ثلاثة صفوف . ثم اتسعت مناهجها ، وزاد عدد الطلاب فيها ، حتى بلغوا (١٥٠ طالبا) يمثلون مختلف الاجناس والديانات .

وموضوعات الدراسة فيها شبيهة بموضوعات الدراسة فى دار المعلمين الابتدائية فى بغداد . وقد كان من بين الذين تولوا التدريس فيها المرحوم ، مولود مخلص ، والشيخ قاسم الشعار وغيرهما ...

وقد أصبحت مدة الدراسة فيها أربع سنوات عام ١٩١٥ م . كما أصبحت داخلية . ونظرا لانشعال نار الحرب فى البلاد فقد أخذت الدراسة فيها تتضاءل وعدد طلابها يقـل تدريجيا حتى اذا ما دخلت الموصل ، الجيوش البريطانية ، أقفلت المدرسة أبوابهـا «[١]» .

و ـ مكتب الصنائع فـي كركـوك

يرجع تاريخ انشاء مكتب الصنائع فى كركوك الى أيام مدحت باشا أيضا أي الى عام ١٨٧١ م . وقد ساهم الاهلون كذلك فى انشائه وادامته ، الا أنه كما يبدو قد فترت الهمة وأخذت الدراسة فيه تتقهقر بسبب توقف الناس عن البذل والمساعدة . ولقد شكا طلاب هذا المكتب حالهم على صفحات جريدة الزوراء بعددها المرقم ٥٤٧ سـنة ١٢٩٢ هـ وطالبوا الحكومة بانقاذه ، عـن

---

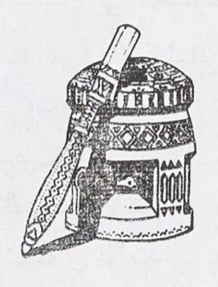
١ ـ أسرار الكفاح الوطني فـي الموصل . المصدر السـابق .

طريق حث الاهلين على البذل والمساعدة ثانية !!

ولقد علقت الجريدة على هذه الشكوى قائلـة ...

(فيا عجبا لصنع الاهالي المرقومين ، عدم المساعدة هذه ، ليبقى أولادهم مغضوضي الابصار فى وادي الجهل والحرمان ، فيا ويحهم هلا جنبوهم هـذه المفازة من العطب والخسران ؟ والعلم والمعرفة رأسمال دائم ، يدع صاحبه فى كل حال ومحل، معززا محترما !! . لان ثروة الجاهل ـ لاأرانا الله وجه الجهل، ولا حرمنا من مشاهدة محيا العلم والفضل ـ وغناه ، اذا وطأ الادبار ظهريهما ، ولطمت الدواهي وجنتيهما ، تكون اعادتهما مرة أخرى شـيئا مشكلا وأمرا مسـتحيلا) .

ومن هذا يبدو لنا أن الدراسة فى هذا المكتب كانت ساذجة بسيطة ويكفي أن نشير أن ملاكه عام ١٩١٣ كان مؤلفا من معلم واحد وكاتب فقط !



ثالثا ـ مدارس ولاية البصرة

ان تاريخ البصرة فى تلك القرون المظلمة ، تاريخ حافل بالحروب والمعارك والغارات والغزوات ، تأتيها من كل الجهات ، من فارس ، من البادية ، من الاتراك أنفسهم ، ولذلك كانت الحياة فيها فى تلك العهود ، أشد اضطرابا ، واكثر فسادا مما كان فى ولايتي بغداد والموصل . ولذلك نستطيع ، ونحن نريد البحث عن التعليم فى هذه الولاية أيام العثمانيين ، أن نعرف مقدما أسباب ذلك التخلف فى هذا الميدان . يضاف الى ذلك انضواء كثير من من المناطق العشائرية تحت لواء تلك الولاية وما يعني ذلك من التأخر في هذا المجال .

آ ـ المدارس الابتدائية

لم يكن فى ولاية البصرة ، قبل عام ١٨٨٣ م أي مدرسة ابتدائية ، غير أنه بعد هذا التاريخ ببضع سنوات ، اتخذت خطوات لتأسيس بعض المدارس الابتدائية الرسمية . فقد وجد منها ، خمس مدارس ، أربع منها فى مدينة البصرة نفسها ، والخامسة فى قصبة أبي الخصيب .

وقد أصبح عددها فى سنة ١٨٩٥ م ، ثماني مدارس منها ستة فى البصرة وهي :

١ ـ مدرسة البصرة الابتدائية

٢ ـ مدرسة الفيضية الابتدائية

٣ ـ مدرسة المناوي الابتدائية

٤ ـ مدرسة العشار الابتدائية

٥ ـ مدرسة المشراق الابتدائية

٦ ـ مدرسة الصبخة الابتدائية

أما الاخريان فواحدة فى أبي الخصيب والثانية فى القرنة . وقد أخذ عدد هذه المدارس يتزايد فى الولاية ، حتى أصبح عددها ١٩٠٥ ، كما يلي

١٢ — مدرسة ابتدائية فى البصرة وقضائيها ، عدد طلابها ، ٤٠٠ طالب .
١٥ — مدرسة ابتدائية فى لوائي العمارة والناصرية وأقضيتهما السبعة وطلابها ١٨٠ .

ب — المدارس الرشدية

لم تكن عناية المسؤولين فى البصرة جدية بالنسبة للتعليم ، فقد تقرر مثلا، فتح مكتب رشدي فيها ، وأعلن عن ذلك وتقدم الطلاب للتسجيل فيه ، غير أن الدراسة لم تتم ، وتفرق الطلاب بسبب بسيط ، ألا وهو عدم وجود معلم لتلك المدرسة . وكانت هذه المحاولة حوالي عام ١٨٨٢ م . الا أنه فى عام ١٨٨٣ م أعيد فتح هذا المكتب بسبب قدوم معلم له من استانبول فى هذه السنة . ثم أخذت هذه المكاتب تفتح فى المراكز المهمة في الولاية حتى أصبح عددها عام ١٩٠٥ م . أربعة مكاتب رشدية هي :

١ — المكتب الرشدي فى مدينة البصرة	وعدد طلابه	٩٦
٢ — المكتب الرشدي فى الناصرية	» »	٥٨
٣ — المكتب الرشدي فى العمارة	» »	٥٠
٤ — المكتب الرشدي في الحي	» »	٤٠

ج — مدارس الاناث

ان أول مدرسة للبنات فى العراق هي المدرسة التي أنشأتها السلطات العثمانية فى البصرة كما أشارت الى ذلك سالنامة ولاية البصرة لسنة ١٣١٧ هـ المصادف ١٩٠١ م . فقد جاء فى الصفحة (١٧١) وهي صفحة (التصحيحات والاضافات) منها ، بأنه قد تم انشاء مدرسة للاناث فى البصرة فى هذه السنة (أي سنة ١٣١٧ هـ) وعينت المعلمة الاولى لها وهي (سبيلة هانم) والمعلمة الثانية (ييزي خانم) . وقد بقي هذا المكتب هو المكتب الوحيد في ولاية البصرة . وكانت الدراسة فيه ساذجة جدا ولذلك كان الاقبال عليه قليلا بحيث لم يكن له شأن يذكر .

المدارس الاهليـــة

تعتبر ولاية البصرة اكثر الولايات تأخرا فى النشاط الثقافى ، فهـي أقل الولايات عددا فى المدارس والطلاب والمعلمين ، فضلا عن أنها كانت خلوا مـن المدارس المهنية التي كانت قائمة فى ولايتي بغداد والموصل • ولذلك لما اعلنت المشروطية وهبت الولايات العثمانية المختلفة ، راغبة فى الاستفادة من نعمـة الحرية والعدالة والمساواة ، كانت البصـرة أقل تلك الولايات حظا ، ومع هذا فقد قام فيها رجل بمحاولة ناجحة فى هذا المجال ذاك هو المرحـوم سليمان فيضى المحامي •

مدرسـة تذكـار الحريـة

ان مؤسس هـذه المدرسة الاهلية هو المرحوم الاستاذ سليمان فيضي المحامي • كان قد تقدم الى السلطة فى البصرة طالبا منحه اجازة بتأسيس مدرسة اعدادية أهلية اسمها (تذكار الحرية) ، ويكون التدريس فيها باللغة العربية على أن تدرس فيها اللغات الاخرى كالتركية والانكليزية والفرنسية • فلما قام بمقابلة الوالي (عام ١٩٠٨) اقترح عليه أن يسميها (يا دكار حريت) وبين له عدم الموافقة على التدريس بالعربية رسميا الا أنه على ما يبدو كان متسامحا فى ذلك • وعلى هذا الاساس تمت الاجازة فشمر الاستاذ فيضى عن ساعـد الجد واستأجر دارا لها وانتخب لها الاساتذة وهم :

الحاج احمد السالم (معاون للمدير) أما المدرسون فهم :

عبد العزيز التكريتي • مدرس اللغة العربية والدين

المستر مانوئيل • مدرس اللغة الانكليزية

المستر • و• اندريه • مدرس اللغة الفرنسية

المحامي عمر فوزي • مدرس اللغة التركية

نوري محمود • مدرس الخط

كما تبرع عدد من الضباط العرب الموجودين فى حامية البصرة آنذاك

لتدريس بقيـة الدروس ، وكان منهم (سامي الاورفهلى) و (عبـد الرزاق حلمي) و (توفيق فكرت) ٠

وعندما فتحت المدرسة أبوابها تم تسجيل (١٦٠ طالبا) ٠ ولما ضاقت بهم الدار الاولى استأجر دارا أوسع ، وهي البناية التى تشغلها مدرسة (السيف) اليــوم ٠

غير ان هذه المدرسة لم يكتب لها الاستمرار بتأدية رسالتها ، وذلك بعد مرور عام واحد على حياتها ٠ فلقت طلبت جمعية الاتحاد والترقي من مؤسسها أن تكون تحت نظارة الجمعية ، مقابل قيامها بادارتها ماليا ٠ وبعد جدل ونقاش طويل وافق على شروط الجمعية ٠ وما ان وافق الا وطلبت الجمعية منـه تبديل اسمها باسم (مدرسة الاتحاد والترقي) وجعل التدريس باللغة اتلركية والا فانها ستخبر الوزارة بعمله الا وهو قيامه بالتدريس باللغة العربية فيهـا خلافا للقوانين ، وتجاه هـذا التهديد وبعد مراجعة الوالي وافق على التخلي عن هذه المدرسة للجمعية فى نهاية السنة الدراسية ٠ فلما جاء العام الدراسى الثاني وفتحت المدرسة أبوابها باسم (مدرسة الاتحاد والترقي) لم يؤمها غير عدد ضئيل من الطلاب ، احتجاجا على تصرفها هذا ، مما اضطر الجمععية فى النهاية الى غلقها وتحويل بنايتها الى نادلاعضائها (١) ٠

المدرســة الصناعيــة

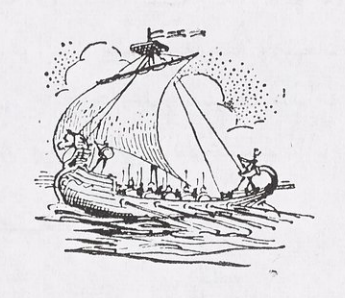
لم يكن فى مدينة البصرة مدرسة للصنائع اسوة بما كان فى بغـداد وكركوك ٠ وقد حاول المرحوم سليمان فيضى المحامي ان يخطو فى هذا السبيل خطوة لانشاء مدرسة صناعية على أساس شركة ٠ وقد قام فعلا بدعوته هـذه وأخرجها الى حيز الوجود اذ عقد اجتماعا عاما يوم (١٩٠٩/١٠/٨ م) حضره عدد كبير من الوجوه وبعد ان بين لهم اغراض هذا الاجتماع ، جمع مبلغـا قدره ، (٤٤٠ ليرة ذهبية) ٠

---

١ — فـي غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .

وبينما كان الاستاذ منهمكا فى وضع نظام للمدرسة ، قدم البصرة الوالى سليمان نظيف ، فلما سمع بمحاولة الاستاذ فيضى ، أخبره بأنه سوف يطلب من الوزارة تأسيس مدرسة للصنائع ، مجهزة بجميع الوسائل اللازمة • وقد كتب الوالي فعلا الى استانبول بهذا الشأن ولكن المراجع المختصة فيها لم تجبه الى طلبه (١) •

وعلى هذا الاساس فشل المشروع ولم يؤسس فى البصرة مدرسة صناعية •



---

١ — في غمرة النضال • المصدر السابق •

الاقليات والتعليم في العراق

لا بد لنا قبل الخوض فى أثر هذه الاقليات فى التعليم ومدى مساهمتها فى نشره ، أن نلقي نظرة تاريخية حولها ، لنقف بعد ذلك على الاسباب التى ساعدت على نشر التعليم بواسطتها فى البلاد ، ولذلك سوف نبحث عن الاقلية المسيحية اولا : وعن الاقلية اليهودية ثانيا ، اذ كان لهما أثر كبير فى نشر الثقافة الحديثة فى البلاد ، بقطع النظر عن الدوافع الحقيقية لذلك .

أولا – الاقليـة المسـيحية

كان المسيحيون فى العراق ابان العهد العثماني منقسمين الى قسمين كبيرين ، وكل قسم منها يتشعب الى فرق وطوائف .

فالقسم الاول : وهو الذي تنضوي الاكثرية تحت لوائه هم المسيحيون (الكاثوليك) الذين يتفرعون الى الطوائف الآتية :

الكلدان ، السريان ، اللاتين ، الروم ، الارمن الكاثوليك .

أما القسم الثاني فهم المسيحيون من غير الكاثوليك ، الذين يتفرعون الى الطوائف الآتية:

النساطرة ، اليعاقبة ، الارمن الارثودكس ، البرتستانت ، السبتيون .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد ، هو ان كل طائفة من هذه الطوائف ، تؤدي طقوسها الدينية بلغة خاصة ، ولذلك كثيرا ما كان لتلك اللغة الاثر البعيد فى تسمية الطائفة بها .

ففي الطوائف الكاثوليكية ، نجد أن طائفة (الكلدان) تؤدي طقوسها باللغة (الكلدانية) ، و (السريان) تؤديها باللغة (السريانية) ، و (اللاتين) باللغة اللاتينية ، و (الروم) باللغة اليونانية ، والارمن باللغة الارمنية ، على الرغم من أن جميعهم (كاثوليك) . أما الطوائف غير الكاثوليكية ، فان (النساطرة) تؤدي طقوسها الدينية باللغة (الكلدانية) ، و (السريان اليعاقبة)

باللغة (السريانية) ،(والارمن الارثودكس) باللغة الارمنية ، بينما (البروتستانت) (والسبتيون) يؤدونها باللغة الانكليزية »[1] .

ولقد انتشرت اكثرية المسيحيين فى مدينة الموصل والقرى المحيطة بها ، كما انتشروا حول الاديرة ، وحافظوا على كهنوتهم فى جبال كردستان ، فى الوقت الذي تجمعت فيه مئات العوائل المسيحية الاخرى فى مدن بغداد وكركوك والبصرة .

أما من حيث الاهمية والنسبة العددية بين الطوائف المسيحية ، فتأتي بالدرجة الاولى (طائفة الكلدان) ، وتليها طائفة (السريان) وهما طائفتان (كاثوليكيتان) . وتأتي بالدرجة الثالثة (طائفة السريان الارثودكس) .

حقوق الاقليات

لقد تعرض المسيحيون خلال تلك العهود المظلمة الى الكثير من صنوف الاذى والتعديات ، وعلى الرغم من كونهم رعايا دولة واحدة . الا انهم لم تكن لهم حقوق متساوية مع المسلمين ، لا سيما فى حقوق التملك او الحريات المدنية والسياسية أو غير ذلك . وقد كانت هذه الحالة ذريعة من الذرائع التى تذرعت بها الدول الاوربية للتدخل فى شئون الدولة العثمانية، وحملتها كما رأينا على اصدار المنشورات والتنظيمات الاصلاحية التي نصت فيها على منح هذه الاقلية حقوقا متساوية مع المسلمين ، كما منحتهم حرية العبادة وأعطت لرؤساء الطوائف المسيحية ، صلاحية الفصل فى قضايا الاحوال الشخصية بموجب القوانين الكنسية لخ ...

وعلى الرغم من صدور تلك التنظيمات ، فالذي يبدو أن الامر لم يكن يتعدى الاعلان فقط . ولذلك أعادت تلك الدول مناقشة هذا الامر ، وأكدت عليها فى معاهدة برلين التي عقدتها عام ١٨٧٨ م ، اذ نصت بالمادة (٦٢) منها على ما يلي ...

---

٢ ـ لقد استعنا فى هذا البحث بالاستاذ كوركيس عواد فشكرا له .

« حيث ان الباب العالي أظهر رغبته فى ابقاء اصول حرية الديانة ، وتوسيع مداها توسيعا مطلقا ، فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة منزلة الفعل ، فلا يسوغ التمييز فى الاعتقادات الدينية ، فى جميع أطراف السلطنة العثمانية ، حتى يخرج أحد من الاهلية والجدارة ، بجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية ، أو بدخوله فى الوظائف الميرية أو العمومية ، أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره . ويؤذن لجميع الناس ، بأن يؤدوا الشهادة فى جميع المحاكم بدون تمييز أحد ، فى الدين . واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية ، فلا يكون مانع ما لترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو لعلاقاتهم مع رؤسائهم . ويكون الاكليروس ، والزوار والرهبان ، من جميع الامم الذين يسافرون فى الممالك العثمانية ، فى الروم أيلي ، والاناضول ، حائزين حقوقا واحدة وامتيازات وخصائص واحدة . وفوض القناصل ونواب الدول الاجنبية فى تلك الممالك ، حق حماية أولئك المذكورين ، وحماية محلاتهم الدينية والخيرية ، حماية رسمية فى الاماكن المقدسة أو غيرها . أما الحقوق المسلمة لفرنسا ، فلم تزل مرعية الاجراء . وصار من المعلوم المقرر هنا ، أنه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة فى الاماكن المقدسة . اما زوار جبل آثوس ، من أي جنس كانوا ، فيبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة ويبقون متمتعين بمساواة تامة فى الحقوق والمزايا (٢) » .

وعلى الرغم من هذه المادة وغيرها ، ووعود السلاطين ، فان وضع الاقلية المسيحية فى العراق لم يتحسن . ولكن هذه الحال أفادت من ناحية بعث النشاط لدى الطوائف المسيحية نفسها ، اذ قامت مستفيدة من تلك النصوص الصريحة

---

٢ — كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب . المصدر السابق .

بنشر المؤسسات الثقافية والخيرية . سواء كان ذلك من قبل الارساليات الاجنبية التى أمت العراق فى القرن التاسع عشر ، أم من المسيحيين العراقيين أنفسهم ، تلك المؤسسات والمعاهد التى كان لها أكبر الاثر فى نشر الثقافة فى البلاد .



مدارس الطوائف المسيحية في العراق

أولا ـ مدارس الموصل

كانت الطوائف المسيحية المختلفة تعني بتعليم أبنائها ، القراءة والكتابة والعلوم الدينية فى المدارس التي أنشأتها فى كنائسها . ولقد كان المدرسون غالبا من الرهبان والقسس والشمامسة ، الذين كانت لهم ثقافة جيدة بحكم دراساتهم الطويلة ، ومعرفتهم باللغات القديمة والحديثة . وتوافر خزائن الكتب فى كنائسهم ، فضلا عن الكتب التى كانت تطبضها مطابعهم الخاصة فى مختلف اللغات ولذلك كانت تلك المدارس تغذي طلابها بثقافة لا بأس بها ، فى تلك العصور المظلمة .

آ ـ مدرسة الكلدان

وفضلا عن تلك المدارس فقد قام (الشماس روفائيل مازهجي) سنة ١٨٦٣ م ، بتأسيس مدرسة داخلية للشبان الكلدان فى الموصل . جهزها بجميع اللوازم ، وقد ماتت هذه المدرسة بموت صاحبها ، غير أنه بعد ذلك بفترة قصيرة افتتحت ثانية . واستكمل بناءها غبطة السيد يوسف عمانوئيل الثانى ، بطريرك الكلدان . وصارت تعرف فيما بعد باسم (مدرسة الكلدان) .

وقد أخذت هذه المدرسة تدرس العلوم الحديثة وبعض اللغات الاجنبية لا سيما اللغة الفرنسية (٣) .

ب ـ مدرسة السريان

لم نجد فى سالنامات ولاية الموصل التى كانت تصدرها السلطة ، أي ذكر لهذه المدرسة بين مدارس الطوائف غير المسلمة . ولذلك يمكن القول انها

---

٣ ـ تاريخ الموصل . المصدر السابق .

كانت قد أنشئت فى أوائل القرن العشرين • اذ لم يرد لها ذكر الا فى سالنامة عام ١٣٣٠ هـ المصادف ١٩١٤ م •

وقد استمرت هذه المدرسة فى عملها حتى دخـول الجيش البريطـاني للموصل عام ١٩١٨ م (٤) •

جـ ـ مدرســة اليعاقبـة

أما هذه المدرسة فلم يرد لها ذكر فى سالنامة ولاية الموصل الصادرة سنة ١٣٣٠ المصادف ١٩١٤ • وعلى هذا يمكن القول أنها أنشأت بعد ذلك التاريخ• ولقد ظلت تؤدي واجبها هى الاخرى ، حتى دخـول الجيش البريطانى عام ١٩١٨ •

ولقد ذكرت المس بيل بأن عدد طلاب هذه المدارس المسيحيـة الثـلاث (الكلدان والسريان واليعاقبة) عام ١٩١٨ كان (٧٩١ طالبا (٥)) •

ثانيـا ـ مدارس بغـــداد

اما المسيحيون الساكنون فى بغداد فقد انشأوا لهم مدارس خاصة لتعليم أبنائهم أيضا ، استفاد منها كثير من أبناء المسلمين • أما تلك المدارس فهي ••

آ ـ مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي

قام بتأسيس هذه المدرسة ، الطوائف الكاثوليكية الثلاث (الكلـدان والسريان والارمن) وذلك عام ١٨٧٨ م • وتعتبر هذه المدرسة أول مدرسـة قامت بتعليم أبناء هذه الطوائف على النهج الحديث • ولقد كان أول مدرس للغة التركية فيها المرحوم عبد الله خونده •

ولقد قطعت هذه المدرسة فى تأدية مهمتها شوطا بعيدا ، وأنجبت عددا

---

٤ ـ فصول من تاريخ العراق القريب . المصدر السـابق .
٥ ـ فصول من تاريخ العراق القريب . المصدر السـابق .
٦ ـ والد سيادة الاستاذ سامي خوندة المفتش الاداري سابقا .

كبيرا من الطلاب ، لم يكتب لها الاستمرار فى تأدية رسالتها ، اذ توقفت فيها الدراسة فيها وتفرق شمل طلابها عام ١٨٩٣ م «[٧]» .

ب ـ مدرسة الكلدان

قامت الطائفة الكلدانية باعادة فتح المدرسة باسم (مدرسة الكلدان) وذلك عام ١٨٩٧ م . كما تم توسيع قاعاتها وأدخل تدريس العلوم الحديثة فيها ، وقد بقيت تؤدي رسالتها التثقيفية ، حتى الاحتلال البريطانى لمدينة بغداد عام ١٩١٧ م . ولقد كانت هذه المدرسة مهتمة بتعليم اللغات الاجنبية كالفرنسية والانكليزية ، فضلا عن تعليم اللغات العربية والكلدانية والتركية . ولقد كان عدد طلبتها عام ١٩١٤ ، (٢٤٠ طالبا [٨]) .

ج ـ مدرسة السريان

أسست هذه المدرسة بعد ان أغلقت مدرسة الاتفاق الكاثوليكى . وقد سميت باسم (مدرسة السريان) وفى سنة ١٨٩٥ م منح مطران السريان فى بغداد مبلغا من المال من شركة المرحوم فتح الله عبود اشترى به دارا ، جعل ريعها يعود لمنفعة هذه المدرسة التى كانت تحمل اسم (المدرسة الافرامية الطائفية)

ولقد كانت الدروس التى تدرس فيها نفس الدروس فى المدارس الابتدائية يضاف اليها تعليم اللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية . وقد كان عدد طلابها عام ١٩١٤ (٧٠ طالبا) .

د ـ مدرسة الارمن

وهي المدرسة التابعة للارمن الارثودكس . وتعد من أقدم المدارس في بغداد ، اذ يكفي أن نشير ، ان غرف هذه المدرسة وسعت عام ١٨٥٣ م ، بفضل

---

٧ ـ تاريخ نصارى العراق . روفائيل بابو اسحق . بغداد . ١٩٤٨ .
٨ ـ سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٣٠ هـ المصادف . ١٩١٤ م .

ومساعي المرحوم مهران سفاجيان الاستانبولي . وقد ظلت هذه المدرسة تمارس نشاطها الثقافي حتى احتلال بغداد عام ١٩١٧ م «٩» .

أما الدروس التي كانت تدرس فيها ، فكانت تشتمل على تعليم اللغات التركية والارمنية والفرنسية والانكليزية والترجمة وعلم المذاهب فضلا عن الدروس الاخرى . وكان عدد طلابها عام ١٩١٤ م (٨٥ طالبا) «١٠» .

المدارس المسيحية للبنات

لم تقم الطوائف المسيحية فى الموصل ، ابان العهد العثماني ، بفتح مدارس منظمة لتعليم البنات . بل تولى ذلك بعض الارساليات المسيحية الاجنبية كما سنرى في البحث القادم .

أما فى بغداد ، فلم تقم بذلك الا طائفة الارمن . وذلك فى أواخر القرن التاسع عشر . ويكفي أن نعلم ، ان عدد طالباتها عام ١٨٩٣ كان (٤٠ طالبة) . واستمرت حتى عام (١٩٠٩ م) اذ لم نجد اشارة لها فى سالنامات ولاية بغداد بعد ذلك التاريخ . ولقد كان عدد طالباتها عام (١٩٠٩ م) ، ٧٠ طالبة . أما دروسها فقد كانت بسيطة . وكانت تهتم بالدرجة الاولى بتعليم اللغات الاجنبية والخياطة والتطريز والنقش .

ثالثا ـ مدارس البصرة

لم تقم الاقلية المسيحية فى ولاية البصرة بأي نشاط ثقافي يذكر فى ذلك العهد . كما كان الحال عليه فى ولايتي الموصل وبغداد . ما عدا (مدرسة الاميركان) التي انشأتها الارسالية الاميركية والتي سنتكلم عنها في المبحث القادم .

---

٩ ـ تاريخ نصارى العراق . المصدر السابق .

١٠ ـ سالنامة بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ . المصادف . ١٩١٣ .

المدارس المسيحيـــة الاجنبية

مر بنا كيف تمهد الطريق للارساليات التبشيرية للوصول الى هذه البلاد لاسيما بعد أن ضمنت الحرية والحماية لها ، وصار بامكانها انشاء المؤسسات والمعاهد الدينية والخيرية فى أنحاء الامبراطورية خاصة بعد عقد معاهدة برلين عــام ١٨٧٨ •

أما العراق من الناحية الاخرى ، فقد كان فى القرن التاسع عشر ، ميدانا فسيحا للصراع بين الدول الاوربية الطامعة فيه أو فى تأسيس مصالح معينـة لها فـي أراضيـه ••

فبريطانيا كانت ذات نفوذ سياسي واسع ملحوظ فى ذلك العهد • ولذلك لم تكن تهتم الا بالقضايا السياسية وما يمت لها بصلة مما يضمن مصالحها أو يوصلها لتحقيق أهدافها • فى حين كانت روسيا القيصرية تطمع فى الوصـول الى المياه الدافئة فـي الخليج الفارسي •

أما فرنسا فقد تركز نشاطها فى ميدان الحركة التبشيرية ، اذ كانت تعتبر نفسها حامية للكاثوليك فى العراق • ترسـل الرهبان والارساليات التبشيرية اليه وتجعل القاصد الرسولي يتخذ مـن مدينة الموصل مركزا له • وقد ترك هذا النشاط أثرا بعيد المدى فى المجتمع المسيحي آنذاك •

لقد كانت الارساليات الدينية الفرنسية قديمة وفعالة ، بدأت فى العراق برسـالة الآباء الكرمليين ، ورسالة الآباء الدومنيكان ثم رسـالة الراهبات (اخوات المحبة) • ولقد بذل الفرنسيون عن طريق هذه الارساليات جهودا فعالة فى سبيل نشر اللغة الفرنسية فى العراق ، حتى أصبحت لغة شائعة لاسيما فى الموصل • ويمكن القول أن الجو الثقافي فى مدينة الموصل كان جوا يتسم بطابع فرنسـي بارز بسبب ما نشروه مـن كتب ونشرات ثقافيـة «[١]» • أما

---

١ ـ العراق مـن ١٩٠٠ الى ١٩٥٠ . لونكريك . باللغة الانكليزية

الولايات المتحدة الامريكية ، فقد كان لها فى ذلك العهد نشاط ضئيل جدا لم يكن يتعدى مجال (بعثات التنقيب الآثارية) باديء الامر ، ثم بارسال جماعة من أتباع الكنيسة الهولاندية (بروتستانت) فى أواخر القرن التاسع عشر . وقد كان مجال عملهم فى الالوية الجنوبية ولاسيما مدينة البصـرة .

أما الامبراطورية الالمانية فلم تكن مهتمة بالعراق فى بداية الامر حتى أنها كانت قد أناطت أمر النظر فى شؤون رعاياها الى القنصل البريطاني فى بغداد . لكنها عام ١٨٩٤ م عينت لها مقيما خاصا ، ثم جاءت بعد ذلك التاريخ بعثاتها الآثارية غير أنها مع ذلك لم تكن تنظر الى العراق نظرة سياسية ظاهرة الاهداف حتى ظهور دعوتها الخاصة (بالسير نحو الشرق) فى نهاية القرن التاسع عشر .



اولا ـ مدارس الموصل

آ ـ مدرسة الآباء الدومنيكان

أقبل الآباء الدومنيكيون الى الموصل عام ١٧٥٠ م • باجازة من قبل البابا (بندكتس الرابع عشر) وذلك بعد مبارحة (الرسالة الكبوشية) عام ١٧٢٤ م • ولقد أخذ هؤلاء يتصلون بالاهالي ، ويقومون بتأدية كثير من الخدمات الخيرية لهم • وكان أول عمل لهم هو ، فتح مدرسة فى مدينة الموصل ، كانت تهتم بتدريس العلوم واللغة الفرنسية ، تلك هي (مدرسة الآباء الدومنيكيين) • وقد كانت هذه المدرسة ذات أثر كبير فى نشر النهضة العلمية فى الموصل • لانها لم تكن تعلم أبناء الطائفة المسيحية فقط ، بل دخل فيها عدد كبير من أبناء المسلمين أيضا • ومما ساعد على نشر الثقافة فى الموصل قيامهم كذلك بتأسيس مطبعة عام ١٨٦٠ م كانت عاملا مهما فى مساعدة المعلمين والطلاب لتوفيرها الكتب والمراجع العلمية التي طبعوها باللغات المختلفة ، كالعربية ولكلدانية والفرنسية • وفضلا عن ذلك فانهم وضعوا لمدرستهم كتبا ألفوها حسب ما تقتضيه أصول التدريس الحديثة ، بغية تسهيل تعليم الناشئة ، ونشروها فى الموصل وقراها «[١]» •

ب ـ السيمينير

ولقد انشأ الآباء الدومنيكان ، مدرسة خاصة لتدريب وتخريج القسس والرهبان ، أسموها (سيمينير) • وقد كانت دروسها تشمل مختلف الموضوعات الدينية اللاهوتية بالاضافة الى تعليم اللغات الكلدانية والعربية والعبرية والفرنسية •

ج ـ مدرسة (اخوات المحبة) للبنات

فى عام ١٨٧٣ م ، قدم الموصل الراهبات المعروفات بـ (اخوات المحبة) •

---

١ ـ تاريخ الموصل . المصدر السابق .

وقد قمن حال وصولهن بفتح مدرسة خاصة بالبنات على مستوى الدراسة الابتدائية . فسارت هذه المدرسة فى تدريساتها على أساس تعليم القراءة والكتابة واللغة الفرنسية فضلا عن تدريب البنات على الخياطة والنقش والتطريز والاشغال المنزلية «٢» .

وقد قامت هذه المدرسة بنصيب كبير فى تعليم البنات فى الموصل . ولم يقتصر الامر على المسيحيات وحدهن ، بل درس فيها عدد كبير من البنات المسلمات أيضا . وبهذه المدرسة كانت الموصل أسبق المدن العراقية في هذا المضمار «٣» .



---

٢ — تاريخ الموصل . المصدر السابق .

٣ — فى رسالة خاصة بعث بها للمؤلف الدكتور داود الجلبي بتاريخ ٧—٩—١٩٥٣ ، أن مدرسة الآباء الدومنيكيين كانت تقوم بتعليم البنات مع الذكور .

ثانيا ـ مدارس بغداد

آ ـ مدرسة اللاتين

يرجع تاريخ فتح هذه المدرسة فى بغداد من قبل الآباء الكرمليين ، الى عام ١٧٢٨ م • اذ فتحت فى عهد (السيد عمانوئيل بايه) الكرملي الذي كان فى ذلك العهد قد عين قنصلا لفرنسا فى بغداد ، حيث بنى فيها معبدا للاتين فى (سوق الغزل) وهو المسمى باسم (مارتوما الرسول) فضلا عن تلك المدرسة• ولقد أخذت عناية الآباء الكرمليين تزداد بهذه المدرسة ، حتى اذا حل عام ١٨٩٣ م ، كانت من مدارس بغداد المهمة • اذ كان عدد طلابها فى هذه السنة زهاء (٣٠٠) طالبا • وبتقدم الزمن كانت تتسع حتى اشتملت على المراحل الدراسية الثلاث (الابتدائية ، الرشدية ، الاعدادي) •

أما ادارة هذه المدرسة ، فكانت فى الغالب تدار بواسطة الآباء الفرنسيين وقد اشتهر من مديريها (الاب ماري جوزيف دي جيزو المتوفي عام ١٨٩٨ م) وكان المرحوم (الاب أنستاس ماري الكرملي) قد درس فيها ومن ثم صار مديرا لها عام ١٨٩٤ م • وقد بقي يشغل هذا المنصب حتى عام ١٨٩٧ اذ انتقلت ادارتها الى عهدة راهب غيره «١» •

أما الدروس التي كانت تدرس فيها فهي :

اللغة العربية ، اللغة الفرنسية ، اللغة التركية ، اللغة الانكليزية ، التاريخ ، الجغرافية ، الحساب، الهندسة، المساحة، الجبر ، الصرف والنحو ، البلاغة ، مبادىء الامور الدينية • أما معلمو هذه المدرسة فقد كان معظمهم من العراقيين «٢» •

وقد تخرج فى هذه المدرسة عدد كبير من الشبان الذين كان لهم شأن فى الحياة العامة فيما بعد • ولم تكن مقتصرة على المسيحيين بل درس فيها عدد

---

١ ـ مجلة الحرية ، لصاحبها روفائيل بطي (ج٦ ـ ٧) ١٩٢٤ .
٢ ـ سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ . المصادف ١٩١٣ م .

من أبناء المسلمين أيضا • ولقد استمرت هـذه المدرسة فى تأدية رسالتها حتى اعلان الحرب العالمية الاولى عـام ١٩١٤ •

ب ـ مدارس اللاتين للبنـات

لم يقتصر نشاط الآباء الكرمليين عـلى تلك المدرسة فقط ، بل أنشأوا عدة مدارس لتعليم البنات ، لاسيما فى نهاية القرن التاسع عشـر • فقد كانت لهم فى ذلك العهد مدرسة ابتدائية مختلطة كان فيها عـام ١٨٩٤ م ، (٣٠٠ بنت) و (١٠٠ ولد) •

كما أنهم أنشأوا بعد ذاك مدرسة بنات أسموها (مدرسة اللاتين الاولى للبنات) جعلوا فيها قسما داخليا • كما أنشأوا مدرسة اخرى هي (مدرسـة اللاتين الثانية للبنات) • وفضلا عن ذلك انشأوا مدرسة (للبنات اليتيمات) • ولقد كان الاقبال على هذه المدارس كبيرا • ويكفي أن نشير أن عدد الطالبات فيها عام ١٩٠٢ م كان حوالي (٨٠٠ طالبـة) •

أما الدروس التي كانت تدرس فى هذه المدارس ، فكانت ، الحساب ، والهندسة ، والجغرافية ، والتاريخ ، والرسم ، واللغات العربية ، والفرنسية ، والانكليزية ، والبيانو •

أما المعلمات فمعظمهن مـن الراهبات •

ومهما يكن من أمر فان نشاط هـذه المدارس أخذ يتضاءل شيئا فشيئا فكانت سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٣ هـ آخر سالنامة تشير اليها ، اذ لم نجد لها ذكرا فى سالنامة بغداد لسنة ١٣٢٤ هـ مما يدل على توقفها عن العمل بعد ذلك التاريـخ •

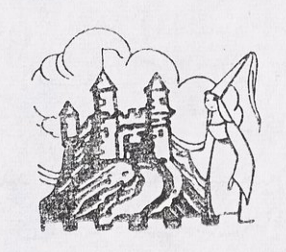
جـ ـ مدرسة (اخوات المحبة) للبنات

مر بنـا أن الراهبات (اخوات المحبة) كن أسسن فى مدينـة الموصل مدرسة للبنات عـام ١٨٧٣ م الا أن نشاطهن هـذا قد امتد الى بغداد عندما

افتتحن فيها مدرسة مماثلة عـام ١٨٨١ م • وقد كانت دراستها عـلى مستوى الدراسة الابتدائية فضلا عن تدريب الفتيات فيها على الخياطة وأعمال الابرة والتطريز والاشغال المنزلية •

د ـ مدرسـتا (البروتستانت)

أما طائفة البروتستانت فقد كان لها فى بغداد فى أواخر القرن التاسـع عشـر ، مدرستان ، الاولى للبنين ، والثانية للبنات • وقد كان عـدد طلاب مدرسة البنين عام ١٨٩٨ م (٤٠ طالبا) وعدد طالبات مدرسة البنات (٢٨) طالبة•



ثالثا ـ مدارس البصرة

لم يكن فى ولاية البصرة ابان العهد العثماني ، الا بضع عشرات من العوائل المسيحية . ولذلك ما كانت الارساليات التبشيرية توجه جهودها الى تلك المنطقة ، بل انصرفت بكليتها الى ولايتي الموصل وبغداد . الا أنه لم يكد ينتهي القرن التاسع عشر ، حتى وفدت البصرة جماعة من (البروتستانت) من الارسالية الاميركية الهولاندية ، حيث باشروا باتخاذ بعض الخطوات والاعمال الخيرية ، كانشائهم مستشفى فى البصرة ، وآخر فى العمارة وفضلا عن ذلك فانهم قاموا بتأسيس مدرسة لهم في البصرة .

آ ـ مدرسة الاميركان

يرجع الفضل فى انشاء هذه المدرسة فى الحقيقة الى نشاط (الدكتور جون فانيس) أحد أعضاء تلك الجماعة . فلقد وصل هذا الاستاذ الى البصرة فى شهر شباط من عام ١٩٠٣ م وبعد أن طاف فى أرجاء البلاد ، ولمس ضآلة المدارس وتفشي الامية الفظيع ، قرر أن يؤسس مدرسة فى البصرة . فلما فاتح بذلك الوالي التركي آنذاك قال له الوالي متهكما :

ـ ما أنت وضياع وقتك فى تعليم الحمير ؟! وتجاه مثل هذه العقلية لم يستطع اقناع المسؤولين الا عام ١٩٠٨ م . فقد استحصل عام ١٩٠٩ م على (فرمان) يجيز له فتح مدرسة للبنين فى البصرة ، على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم فيها علاوة على اللغة التركية واللغة الانكليزية ، بالاضافة الى الدروس الاخرى . وكانت هذه المدرسة قد فتحت أبوابها للطلاب عام ١٩١٠ م . اذ سجل فيها عدد كبير منهم من مسيحيين ومسلمين ويهودوصابئة . وقد استمرت تؤدي عملها فى البصرة حتى عام ١٩١٤ م «٢» .

وقد تخرج فى هذه المدرسة عدد كبير من أبناء البصرة الذين أصبح لهم شأن فى الحياة العامة فيما بعد .

---

٢ ـ أقدم أصدقائي العرب . الدكتور جون فانيس . ترجمة جليل عمو بغداد ١٩٤٩ .

ثانيا ـ الاقلية اليهـــودية

كانت الاقلية اليهودية فى العراق أيام العثمانيين لا تتجاوز (التسـعين ألف نسمة) تتمركز أكثريتها فى مدن بغداد والموصل والبصرة وبعض الحواضر العراقية الاخرى كالحلة والديوانية وأربيل وكركوك وخانقين .

ولم يكن لهذه الاقلية شأن يذكر فى ذلك العهد ولكنها على الرغم مـن كل ذلك كانت قد اتخذت لها سـبيلا فى الحياة ، فتولت ميـدان الصناعات والحرف الدقيقة والتجارة . واتخذت لها فيه مجالا للعمل والتكسب .

أما بالنسبة للتنظيمات الخيرية والاصلاحات ، فقد كانت هـذه الجماعة من جملة الذين يجب أن تشملهم الحرية والمساواة . ولذلك ما كانوا يتركون فرصة تمر الا ويهتبلونها ، ليس فى العراق فحسب انما فى لنـدن وباريس ، حيث الجمعيات الاسرائيلية الفعالة هنـاك . فقد أرسلت الجمعيات اليهودية الانكليزية عام ١٨٧٨ م ، وقبيل التوقيع على معاهدة برلين عريضة استرحامية الـى المندوب البريطاني (اللورد بيكنسفيلد) تشكو فيهـا حقـوق اليهود المهضومة فى الامبراطورية العثمانية . وتلتمس من الدول الاوربية الاعتناء بها أسـوة بالاقليات المسيحية «[1]» فكانت محاولاتها هذه واتصالاتها ذات اثر بعيد فى الاعتراف لهم ببعض الحقوق العامة .

وهكذا وبتوالي السنين أصبحت علاقات اليهود تتحسن مع المسـلمين تدريجيا . وراحوا يتمتعون بقسط من الحريـة . وقد زاد سرورهم باعلان المشروطية عام ١٩٠٨ م اذ قام بمظاهرات الغبطة والارتياح . الا أن فرحتهم هذه سرعان ما أعقبتها فتنة ألحقت بهم ضررا ملحوظا . ولكنها أخمدت قبل أن تتوسع . وقد حدثت هذه الفتنة بسبب ما أشاعه البعض مـن دعاة الرجعية

---

١ ـ كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب . ج٦ . سليم فارس . استانبول . ١٢٩٥ هـ .

حـول الدستور «٢» ومهما يكن من شيء فان النشاط الذي كانت تبديه الجمعيات الاسرائيلية فى كل من لندن وباريس ، منذ أواسط القرن التاسع عشر ، والعمل الذي كانت تقوم به فى سبيل رفع شـأن اليهود فى مختلف الاقطار تنفيذا للخطة الصهيونية المرسومة ، هو الذي حمل الدولة العثمانية على اعطاء اليهود الحرية ، اسوة بالمسيحيين لاسيما بالنسبة لادارة شؤونهم الطائفية الخاصة . ولذلك كان فى مقدمة الاعمال التي قاموا بها، انشاء المدارس الاسرائيلية التي كانت مـن أنظم ما وجد فى العراق مـن مدارس فى العهد العثمانـي .

١ ـ المدارس الاسرائيلية فـي بغـداد

كانت بغداد وحدها ، تضم زهاء الخمسين ألف يهودي . ولذلك كـان أول عمل قامت به (جمعية الاتحاد الاسرائيلي الفرنسي التقدمي) «٣» هـو انشـاء مدرسة فيهـا هـي ....

أ ـ مدرسة الاتحـاد الاسـرائيلي

ولقد تم تأسيس هـذه المدرسة عام ١٨٦٥ م . وقد أطلق عليها اسم (مدرسة الاليانس الفرنسية) لان الاشراف عليهـا وعلى شؤون التدريسات فيهـا كان منوطا ، بجمعية الاتحاد الاسرائيلي الفرنسي فى باريس . وكذلك الجمعية اليهودية فى لندن . وتساهم معهم فى ذلك اللجنة اليهودية فى بغداد .

ولقد نظمت الدراسة فيها على غرار الدراسة فى المدارس الابتدائية الاوربية . وكان أول مدير لها ، يهودي فرنسي ، هو (المسيو ماكس) الخبير بفن التدريس ويعاونه بادارتها المدعـو (اسحق لوريون الساعاتي) «٤» .

---

٢ ـ نزهة المشتاق فى تاريخ يهـود العراق . يوسف رزق الله غنيمـة . بغـداد . ١٩٢٤ .

3 - *French Jewish progressive alliance Israelite universelle*

٤ ـ نزهة المشـتاق . المصدر السـابق .

أما منهج الدراسة فقد كان يشتمل على الموضوعات الآتية .. اللغة العبرية ، اللغة العربيـة ، اللغة الفرنسية ، اللغة الانكليزية ، اللغة التركية ، التاريخ ، الجغرافية ، الرياضيات ، الطبيعيات ، علم الاشياء ، الكيمياء .

وقد توسعت هـذه المدرسة حتى أصبحت تضم الدراسات الثلاث (الابتدائية والرشدية والاعدادية) وقـد اعترفت الحكومة العثمانية بهـا باعتبارها على مستوى الدراسة الاعدادية .

ونظرا للجهود التي كانت تبذلها هـذه المدرسة فى سبيل تثقيف أبناء الطائفة الاسرائيلية فقـد قام أثرياء اليهود بمساعدتها ماديا ، كما شـيد لها (السير ألبرت داود ساسون) بناية فخمة خاصة بها . ولذلك أصبحت تسمى بعد انشائها باسم (مدرسة ألبير ساسون) ، فى حين قام مناحيم دانيال بانشاء قسم آخر فيها ، وحبس لها أشخاص آخرون ، الاوقاف الكثيرة .

ولقد كان عدد طلبتها بأقسامها المختلفة عـام ١٩١٣ زهاء ال (١٠٠٠) طالب ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد ، حادثة تكشف لنا ما كانت تبيته الجمعيات الصهيونية ، وتهدف اليه من وراء انشـاء هذه المدارس آنذاك . فقد حدث خلاف بين الجمعيات المشرفة على شؤون هذه‌المدرسة بسبب تدريس العلوم باللغة الفرنسية . فالجمعية الصهيونية تريد جعل اللغة (العبرية) هي التي تدرس بها العلوم بدلا من الفرنسية ، بينما كانت جمعية الاليانس العراقية تقاوم هذا الاتجاه ، وأخذت تعمل لابقاء الامر على حاله . ولقد اشتد بينهما الصراع الى أن تدخلت جمعية يهودية ثالثة فى ألمانيـا كحكم بينهما ، فقررت هذه‌حلا للنزاع ، جعل (اللغة الالمانية) هي اللغة التي تدرس بها تلك العلوم وتكون هي اللغة الرسمية وما عداها فلغات فرعية «[٦]» .

---

٥ ـ سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ المصادف ١٩١٣ م .

٦ ـ مجلـة لغـة العرب ج٢ عـام ١٩١١ م .

ب ـ المدارس الاسرائيلية الاخرى

وقد ظلت مدرسة الاليانس هي المدرسة الوحيدة فى بغداد حتى عام ١٩١٢ م ، حيث نشطت حركة التعليم عندهم ، اذ قاموا بتأسيس عدد كبير من المدارس للمراحل الدراسية المختلفة . اما تلك المدارس فهي : ـ

١ ـ مدرسة الاطفال المختلطة : وكان عدد طلبتها عام ١٩١٣ م (٣٠٠ طالب وطالبة) .

٢ ـ مدرسة التعاون الموسوية : وكان عدد طلابها عام ١٩١٣ م (١٨٠ طالبا) . وكانت تسمى كذلك مدرسة (راحيل شحمون) لان الذي تبرع ببناء دار لها هو الخواجة اليا شحمون وقد سميت باسم زوجته راحيل تخليدا لها .

٣ ـ المدراش : وهي مجموعة من المدارس تبلغ زهاء (٣٠) مدرسة أولية . وهي فى مناهجها وتدريساتها أقرب الى الكتاتيب والمدارس الابتدائية. وقد كان عدد الطلاب فيها عام ١٩١٣ زهاء (٢٧٠٠ طالب) .

٤ ـ مدرسة هارون صالح : وكانت مدرسة مختلطة ، وعدد طلابها (٢٣٦ طالب وطالبة) منهم (١٢٠ طالبة) .

٥ ـ مدرسة الوطن : وهي مدرسة مسائية افتتحت فى أوائل نيسان عام ١٩١٢ م لمساعدة الذين يريدون اكمال تحصيلهم بعد غروب الشمس «[٧]» .

٦ ـ مدرسة رفقة روفائيل : وكان عدد طلابها زهاء الـ (٣٠٠ طالب)

٧ ـ مدرسة الغان : كان عدد طلابها وطالباتها (٣٧٥) منهم (٢٧٥) طالبة وقد كان مناحيم دانيال يقوم بنفقاتها «[٨]» .

ج ـ مدرسة لورة خضوري للبنات

أما بالنسبة للتعليم النسوي المنظم فقد قامت جمعية الاتحاد الاسرائيلي ،

---

٧ ـ مجلة لغة العرب ج١ . السنة الثانية . عام ١٩١٢ م .
٨ ـ نزهة المشتاق . المصدر السابق .

بافتتاح مدرسة لتهذيب البنات اليهوديات وذلك عام ١٨٩٣ م . وقد سميت عند افتتاحها بمدرسة (الاليانس للبنات) . الا أنه لما قام الثري اليهودي (السير أليعازر خضوري) بتشييد بناية خاصة بها أطلق عليها اسم (مكتب لورا خضوري للبنات) تخليدا لذكرى زوجته (لورا) . وقد جرى افتتاح هذه البناية يوم ١٤/ ١١/ ١٩١١ أيام الوالي (أحمد جمال بك) .

أما الدروس التي كانت تدرس فى هذه المدرسة ، فكانت تشمل اللغات العبرية والعربية والفرنسية والحساب والاشياء والجغرافية والاشغال المنزلية . أما ادارة المدرسة ، فكثيرا ما كانت مديرتها هي زوجة مدير مدرسة الاليانس للبنين .

وقد كان عدد الطالبات فيها عام ١٩١٣ م ، (٦٠٠) طالبة .

٢ ــ المدارس الاسرائيلية فى المدن العراقية الاخرى

بعد أن استكمل اليهود انشاء مدارسهم فى بغداد ، تلفتوا الى بقية المدن والحواضر العراقية التي فيها أقلية يهودية . ولذلك راحوا يؤسسون فيها مدارس ابتدائية تباعا كما يلي

آ ــ مدرسة الاليانس فى البصرة : افتتحت عام ١٩٠٣ م وكان عدد طلابها عام ١٩١٠ م (٢٨٥ طالب) .

ب ــ مدرسة الاليانس فى الموصل : افتتحت سنة ١٩٠٧ م وكان عدد طلابها عام ١٩١٠ (٢٠٤ طالبا) .

جـ ــ مدرسة الاليانس بالحلة : افتتحت سنة ١٩٠٧ م وكان عدد طلابها سنة ١٩١٠ م (١٧٥ طالبا) .

د ــ مدرسة الاليانس بالعمارة : وقد افتتحت سنة ١٩١٠ وكان عدد طلابها آنذاك (١٧٨ طالبا) .

هـ ــ مدرسة الاليانس فى خانقين : افتتحت عام ١٩١٣ م وكان عدد طلابها ٧٠ طالبا .

تلك هي المدارس الاسرائيلية التي كانت فى العراق فى العهد العثماني •
وكانت قد ساهمت بنشر الثقافة فى البلد ، بقطع النظر عما كانت تقصد اليه فى
غايات • اذ درس فيها عدد من الشبان المسيحيين والمسلمين علاوة على اليهود
أنفسهم •



مدارس الجاليات الاجنبية

بينا فى البحث السابق مدارس الاقليات ، والارساليات المسيحية في العراق . وفى هذا البحث سنتكلم عما قام فى العراق ، من مدارس للجاليات الاجنبية لاسيما بعد الانقلاب العثماني واعلان المشروطية عام ١٩٠٨ م . غير اننا أثناء البحث عن تاريخ هذه المدارس وجدنا أنه كان قد تأسس في بغداد عام ١٨٣٠ م (مدرسة انكليزية) أسسها انكليزي يدعى (انطوني ن . كروفس) وزوجته فى آخر أيام داود باشا . وكان الغرض منها ، تعليم اللغة الانكليزية فقط . ولذلك يمكن اعتبارها أول مدرسة اجنبيـة لتعليم الانكليزية في العـراق «[1]» .

١ ـ مدرسة الاخـوة الايرانيـة

لما كثر ، بعد اعلان المشروطية ، انشاء المدارس ، ونشطت حركة التعليم بين مختلف الطوائف ، فقد رأى أحد العلماء الافاضل من الايرانيين ، وهـو (الحاج علي أكبر الاهرابي) يؤيده عدد كبير من التجار الايرانيين الموجودين فى الكاظمية ، رأى أن الضرورة تقضي بتأسيس مدرسة لتعليم أبناء الكاظمية العلوم واللغات الحديثة ، بعد أن حرموا من ذلك قرونا طويلة . لذلك قـام عام ١٩٠٩ بافتتاح مدرسة أسماها مدرسة (اخوة ايرانيان) . ونظرا للجهود التي بذلها (الحاج علي) فقد كانت تنسب اليه اذ أخذ الناس يسمونها مدرسة (الاهرابي) . وقد سارت هذه المدرسة سيرا حسنا ، اذ أخذت تدرس فيها العلوم المختلفة وهـي : ـ

اللغة العربية بفروعها ، وعلم الكلام ، ونهج البلاغة ، والهندسة والجبر والحساب ، والكيمياء والفيزياء ، والتاريخ ، والجغرافية ، واللغة الفرنسية ، والتركية ، والفارسية ، والاشغال اليدوية .

---

١ ـ مجلة المؤرخ . لصاحبيها رزوق عيسى . وعبد الكريم حنا . (ج١ ـ ٢) . بغـداد . ١٩٣٢ م .

وكان ملاك التدريس فيها منتظما ، يضم عددا من الاساتذة الممتازين .
وبالنظر لكونها المدرسة المنظمة الوحيدة فى الكاظمية ، فقد دخل فيها عـدد كبير من أبناء البلدة من العراقيين والايرانيين .

٢ ـ المدرسـة الحسينية

وقد تأسست هذه المدرسة فى مدينة كربلاء عام ١٩١٠ م . قام بتأسيسها جماعة من الايرانيين ، وكانت بمستوى المدارس الابتدائية أيضا .

٣ ـ المدرسـة العلويـة

٤ ـ المدرسـة المرتضوية

أما فى النجف الاشرف فقد قام التجـار الايرانيون أيضا ، بتأسيس مدرستين عام ١٩١٠ م ، هما المدرسة العلوية ، والمدرسة المرتضوية ، لنفس الغـرض .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد هو أن الحكومة الايرانية لم يكن لها أي دخل بهذه المدارس ، بل أن الرعايا الايرانيين هم الذين بادروا لتأسيسها والانفاق عليها من كيسهم الخاص ولذلك ما كانت الدراسة مقتصرة على أبناء الجالية الايرانية فقط . ولم تكن الدراسة فيها باللغـة الفارسية ، بل كانت تجري عـلى نفس النمط المتبع فى المدارس الرسمية فى دراساتها المختلفـة تقريبـا «٢» .

٥ ـ مدرسـة الالمـان

قام الالمان بفتح مدرسة فى بغداد عـام ١٩٠٩ م . كان التدريس فيهـا يجري باللغـة الالمانية . فضلا عن قيامها بتدريس اللغات الاخرى كالعربيـة

---

٢ ـ استعنا فى هذا الموضوع برسالة بعث بهـا للمؤلف الاستاذ أحمد أمين المفتش الاختصاصي فى وزارة المعـارف جوابا لاسئلته حـول هـذا الخصوص بتاريـخ ٢٧ ـ ١ ـ ١٩٥٩ .

والتركية والفرنسية • وكان أول مدير لها هو (الهر كروازة) • وقد أغلقت أثناء الحرب العالمية الاولـى عام ١٩١٤ م •

٦ ـ مكتب الهنود فـي كربلاء

أما جماعة الهنود فى كربلاء فقد سلكوا مسلك التجار الايرانيين اذ قرروا فتح مدرسة لابنائهم عام ١٩١٢ م فى مدينة كربلا ، يقبل فيها التلاميذ من أية رعية كانوا على أن تكون الدراسة فيها مجانية • وقد كان عدد طلاب هـذه المدرسة عنـد افتتاحها (١٣٠) طالبا أغلبيتهم مـن أبناء الرعايا البريطانيين الموجودين فى كربلا • ولم يطل العهد بهـذه المدرسة اذ انتهى أمرها باعلان الحرب العالميـة الاولى «٣» •



---

٣ ـ مجلـة لغـة العرب ج٣ • لسـنة ١٩١٢ م •

الدراسة العالية في العـــراق

يتضح للقاريء من الابحاث المتقدمة ، بأن التعليم فى العراق ، لم يكن على درجة ملحوظة من الرقي والاتساع ، لان السلطة الحاكمة لم تكن لتهتم بشؤونه الاهتمام المطلوب . ولقـد رأينا مما تقـدم بأن التعليـم فى العراق لم يتعد المرحلة الاعدادية الا عام ١٩٠٨ م . اما التعليم العالي فى العراق فلم يكن يمثل الا فى معهدين هما ...

١ ـ كليـــة الاعظميـــة

قلنا أن الدراسة العاليـة أيام العثمانيين كانت منحصرة فى (المدارس الدينية) ، وبينا ما آلت اليه حالة هذه المدارس من الناحيتين المادية والمعنوية ، اذ لم يكن العثمانيون لاسيما فى العهد الاخير يبذلون أي جهد أو عناية فـي سبيل اصلاحها ورفع مستوى الدراسة فيها ! أما بصدد هذه الكلية ، فيرجع الفضل فى تجديدها الى جماعة من مستنيري الاعظمية نهضوا وانشأوا لهم مجلة أسموها (تنوير أفكـار) عـام ١٣٢٨ هـ المصادف ١٩١٢ م . طالبوا فيهـا الحكومة بالاصلاح الموافق لروح العصر ، وباحياء مدرسة الامام أبي حنيفة . وقد أيدهم الوالي ناظم باشا . ودعما لدعوتهم هذه كتبوا بهذا الشأن الـى مقام السلطنة ، فصدر الامر بتجديد عمارة المدرسة وتوسيعها ، وبنـاء طابق علوي لها . وبعد أن جرى فيها هذا التجديد اعتبرت المدرسة ، كلية تدرس فيها العلوم الاسلامية والفنون الحديثة ، فعاودت نشاطها على هذا الاساس، حتى بلغ عدد طلابها المئة طالب »[١] .

٢ ـ مكتب الحقـوق العثمانـي

يرجع اهتمام الدولة العثمانية بالدراسة الحقوقية الى حاجتها التي برزت

---

١ ـ مساجد بغداد وآثارها . المصدر السابق .

بوضوح لاسيما بعد صدور القوانين والانظمة الحديثة التي صدرت نتيجة (لخط كلخانة) ، و (منشور التنظيمات الخيرية) • ولذلك شعرت الدولة بحاجتها الى عدد من الحقوقيين ورجال القانون • فكانت خطوتها الاولى في هذا السبيل ، أنها قامت بتدريس بعض القضايا الحقوقية وغيرها فى (دار التدريس) بديوان الاحكام العدلية باستانبول منذ سنة ١٨٧٠ م • غير أن تطور الحياة السريع حملها على تأسيس مكتب خاص لذلك فافتتحت (مكتب حقوق شاهانة) بتاريخ ٣١/ ١٠/ ١٨٨٦ م ، جعلت مدة الدراسة فيه أربع سنوات ، بعد الاعدادي ملكي أو ما يعادله • فكان على الراغبين في اكمال تحصيلهم العالي من العراقيين أن يشدوا الرحال الى استانبول لهذا الغرض • وقد سافر فعلا بعض الشباب العراقي حال افتتاحها وبعده • وكان ممن تخرج فيها الاساتذة الآتية اسماؤهم وهم «٢» : عبد الرحيم ضياء ، الياس رسام ، عبد الله عوني ، موسى كاظم الباجهجي ، كيروب ستيان ، محرم معمر ، نجيب حبيب ، حسن راجي الباجهجي •

مكتب الحقوق في بغداد

أما فى بغداد فان الدراسة الحقوقية فيها لم تنظم الا بعد مجيء الهيئة الاصلاحية برئاسة الوالي ناظم باشا ، وذلك فى أوائل شهر تموز من عام ١٩٠٨ م ، أي قبيل الانقلاب العثماني واعلان المشروطية بايام معدودات ! فلقد ارتأت هذه الهيئة ضرورة وجود مكتب للحقوق فى بغداد ، بعد أن لمست حاجة العراق الماسة الى الحقوقيين • فافتتحت فى الحال (مكتب الحقوق العثماني) • ولذلك يعتبر هذا المكتب أول معهد عال حديث فى العراق • وقد عهدت ادارته بالوكالة الى مدير المعارف آنذاك وهو (خليل بك) • ثم عين لادارته اصالة الاستاذ موسى كاظم الباجهجي «٣» •

---

٢ ــ مجلة القضاء • (ج٢،٣،٤،٥) مجلد واحد • كانون أول ١٩٤٧ م •
٣ ــ والد سيادة الدكتور المرحوم عبد الهادي الباجهجي •

ولقد جعلت الدراسة فى هـذا المكتب أربع سنوات ، بعد الاعدادي ملكي أو ما يعادله . أما الموضوعات التي كانت تدرس خلال السنوات الاربع فهي : المجلـة ، قانون العقوبات ، حقوق الدول ، حقوق الادارة ، اصـول المرافعات الحقوقية، علم الاقتصاد، اصول المحاكمات الجزائية، قانون الاجراء، قانون التجارة البرية ، قانون الاراضي ، الصك الجزائي ، الصك الحقوقي ، أصول الفقه ، النكاح والوصايا والفرائض ، كتاب الديات ، أحكام الاوقاف .

وقد كان فى المدرسة صف للطلبة الاحتياط ، كانت تدرس فيـه دروس التاريخ والجغرافية والرياضيات واللغة الفارسية وغيرها .

أما الذين تولوا التدريس فى مكتب الحقوق فى ذلك العهد ، فنذكر منهم المرحوم يوسف العطا (مفتي بغداد) ، وعارف أفندي السويدي ، وحمدي أفندي الباجهجي وحسن أفندي الباجهجي ، ومحمد جودت أفندي ، وابراهيم شوقي أفندي . وكان معلم اللغة الفارسية فى قسم الاحتياط المرحوم الشيخ نوري الشيرواني «٤» . ولقد كان افتتاح هـذا المكتب عملا كبيرا بالنسبة للعراق ولذلك اندفع الشباب للدخول اليه من مختلف المدن الكبرى ، حتى أصبح عددهم عام ١٩١٣ زهاء (٢٥٠) طالبا «٥» .

لقد كانت الدراسة فى هذا المكتب ، دراسة بسيطة ، وما كان أساتذتها فى الغالب يعرفون مفردات الموضوعات التي يدرسونها «٦» . ولكنها سارت فى تأدية مهمتها على حالتها هذه .

ولما أصبح (جمال بك) واليا على بغداد (وكان من الاتحاديين) عزم على غلق هذا المكتب ، بحجة ضعف التدريس فيه . غير أنه فى الحقيقة لم يكن يرغب فى أن يكون للعراق مكتب يتعلم فيه العراقيون ، الطرق القانونية التي

---

٤ ـ والد بهاء الدين نوري ، سفير العراق السابق فى الاردن .
٥ ـ سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٣٠ هـ .
٦ ـ معجم العراق . ج١ . للمؤلف . بغداد ١٩٥٣ .

تنبههم الى المطالبة بحقوقهم القومية فى المستقبل • ولذلك أصدر بيانا أشار فيه الى ضعف التدريس فى المدارس وسقامة المناهج فيها ، وبين أن نية الحكومة منصرفة الى اصلاحها ، وترقيتها ماديا وأدبيا ، لتكون صالحة لاعداد الطلاب الاكفاء المهيأين لمدرسة الحقوق • وبين كذلك أن نية الحكومة منصرفة الى تأسيس ، دار للمعلمين ، ومدارس رشدية للذكور والاناث فضلا عن الرغبة فى اصلاح المدرسة الاعدادية «٧» •

لقد كانت وعوده هذه حبرا على ورق ، الغرض منها بالدرجة الاولى غلق مكتب الحقوق • ولولا الجهود التي بذلت لاحباط نية الغلق هذه ، وصدور الامر اليه من استانبول مباشرة بعدم التعرض بها لكان العراق منذ عام ١٩١١ م خلوا من أي معهد عال «٨» •

وهكذا سارت الدراسة فى مدرسة الحقوق ، حتى أعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م • وكان آخر مدير لها هو (فخامة) الاستاذ حكمت سليمان • اذ أغلقت بسبب الحرب • وباغلاق أبواب هذه المدرسة ، انطوت الصفحة الاولى من صفحات كلية الحقوق العراقية •

ومن جملة المتخرجين فيها الاساتذة :

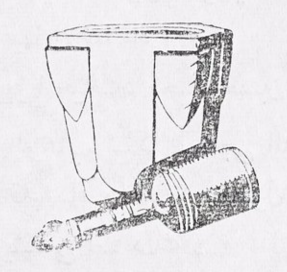
حسن رضا ، عبد العزيز الخياط ، محمد حسين البزركان ، حمدي صدر الدين ، قاسم ثروت ، عبد الوهاب شاكر ، ناجي الزهاوي ، كمال الشامي ، محمود جلال ، وكان هؤلاء قد سافروا الى استانبول لدخول الدورة التطبيقية فيها ولكنهم عادوا دون أن يتسنى لهم ذلك «٩» •

أما الطلاب الذين كانوا فى الصفوف الاخيرة منها عندما أغلقت أبوابها دون أن يكملوا دراستهم فيها بل أكملوها بعد اعادة فتحها ثانية أيام الاحتلال البريطاني فنذكر منهم الاساتذة :

---

٧ ــ العراق بين احتلالين . ج٨ . العزاوي . المصدر السابق .
٨ ــ في غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .
٩ ــ في غمرة النضال . المصدر السابق .

ابراهيم كمـال ، محمد علي محمود ، ابراهيم زهدي ، أحمد سامي ، حسن سامي تاتار ، عباس العزاوي ، يوسف لوقا ، ابراهيم الواعظ ، محمد صدقي ، توفيق النائب ، مجدي النائب ، داود السعدي ، عبد الجبار جميل ، كامل سعيد، أحمد نيازي، شوكت السعدي، حوكي عنبر، خلوصي الناصري، مصطفى الخليل ، أحمد طه ، مكي الاورفه‌لي ، عبد الجبار التكرلي ، سليم معروف ، أحمد الراوي ، عبـد الرزاق القاضي ، مصطفى العمري ، محمود خيري النائب ، خليل مردان ، عبد القادر جميل محي الدين ، توفيق فكرت ، فهمي نصرت ، حسين جاهد ، عبد الوهاب أفندي «[١٠]» .



١٠ ــ الروض الازهر . المصدر السـابق .

الدراسة خارج العـراق

لقد تبين من الفصول المتقدمة ، أن المعاهد العالية فى مختلف الدراسات ، كانت متمركزة فى استانبول • ولما كانت الحالة الاقتصادية لاكثرية السكان منحطة ، ولا تسمح لهم بارسال أبنائهم للدراسة فى تلك المعاهد ، وفضلا عن ذلك فان المخاطر التي كانت تحيط بالسفر ما بين بغداد واستانبول ، وغيرهـا من الاسباب الاخرى كانت عاملا قويا فى اكتفاء الاهلين بما يحصل عليه ابناؤهم من تعليم فى المكاتب الرسمية فى العراق من رشدية واعدادية • لذلك لم يسافر من الشبان العراقيين لاكما لتحصيلهم العالي فى عاصمة السلطنة الا جماعة من أبناء الطبقة الموسرة • ولم يسافر كذلك عدا هؤلاء ، الا الشبان الذين انخرطوا فى سلك الدراسة العسكرية لاكمال تحصيلهم العسكري فى (الكلية الحربية) فى استانبول • ولذلك يمكن القول أن الذين درسوا خارج العـراق ، تتميز دراساتهم العالية بطابعين هما، طابع الدراسة العلمية، وطابع الدراسة العسكرية•

لقد سافر عدد ضئيل من أبناء الطبقة الموسرة فى كل من بغداد والموصل وكركوك والسليمانية والبصـرة ، سافرت أكثريتهم الى استانبول لاكمـال تحصيلهم العالي ، أما فى (الطبية شاهانة) وأما فى (مكتب الحقوق العثماني) وأما فى مكتب (ملكية شاهانة) وأما فى (دار المعلمين) أو غيرها من المعاهد •

ومن هؤلاء الذين تلقوا دراستهم فى استانبول فى أواخر العهد العثماني، آل السويدي ، منهم ، ناجي وعارف وثابت وتوفيق • وحكمت سليمان وأخوه خـالد ، وحمدي الباجهجي ، وناجي شوكت ، ونشـأت السنوي ومصطفى التكرلي ، وداود الحيدري ، وداود سمرة ، وتوفيق الدملوجي ، وأحمـد عزت الاعظمي ، محمد علي مصطفى ، ثابت عبد النور ، ياسين العريبي ، عبد العزيز المطير ، عبـد الله مظفر ، نوري القاضي ، نعيم زلخة ، عاصم الجلبي ، ناجي الاصيل ، محمود صبحي الدفتري ، عبد العزيز القصاب وغيرهم •

أما الذين أكملوا دراستهم فى الكلية الطبية فى استانبول فنذكر منهم

الدكاترة ، علي فكري ، حسين حسني ، اسماعيل الصفار ، شاكر السويدي ، داود الدبوني ، جلال العزاوي ، هاشم الوتري ، فائق شاكر ، داود الجلبي ، يحي نزهت ، عبد الله الدملوجي ، ابراهيم عاكف الالوسي ، عبد الكريم قليان، سامي شوكت ، صائب شوكت ، شوكت الزهاوي وغيرهم «[١]» •

١ ـ الدراسة العسكرية

نظرا لصعوبة السفر الى استانبول وما يحف به من مخاطر ، وما يتكبده الآباء فى سبيل تثقيف أبنائهم من نفقات باهظة ، فقد قل عدد الذين سافروا اليها ممن يدرسون ، كما رأينا ، على نفقتهم الخاصة • أما الذين سافروا الى استانبول لاكمال تحصيلهم العسكري ، فقد كان عددهم كبيرا ، تجاوز الخمسماية طالب ، للاسباب التي أوردناها فى مبحث المدارس العسكرية في العراق • وفى مقدمتها ، ضمان اكمال التحصيل فى استانبول على نفقة الدولة• ولذلك كانت حصة العراق من خريجي الكلية الحربية ، حصة كبيرة ، حتى أنه لما تم تشكيل الحكم الوطني فيه عام ١٩٢١ م لم يكن فى البلاد الا هذا العدد الكبير من ذوي الثقافة العسكرية ، الذين كانت لهم حصة الاسد فى تسنم المناصب الادارية والمدنية فى الدولة ، اذ كان منهم رؤساء الوزارات والوزراء والنواب والاعيان والمتصرفون والاداريون الى غير ذلك من المناصب المدنية • وكان فى مقدمة هؤلاء ، ياسين الهاشمي ، ونوري سعيد ، وجعفر العسكري ، وعبد المحسن السعدون وعلي جودت ، وجميل المدفعي ، وصبيح نجيب ، ومولود مخلص ، ومحمد أمين زكي ، وتحسين العسكري ورشيد الخوجة ، وتوفيق الخالدي ، وتحسين علي ، وجميل الراوي ، ورؤف الكبيسي ، وعارف قفطان ، وعبد الرزاق حلمي ، ومحمود رامز ، وسامي الاورفهلي وغيرهم •

ولابد لنا من الاشارة هنا ، هو أنه عند تشكيل الدولة العراقية ، ومن

---

١ ـ تاريخ الطب فى العراق . الدكتور هاشم الوتري والدكتور معمر الشابندر . بغداد . ١٩٣٩ .

ثم تأسيس الجيش العراقي ، تم استدعاء هؤلاء العسكريين الى العراق ، عاد معظمهم بينما ظل عدد منهم فى تركية وقد التحق القسم الاكبر من العائدين بالجيش العراقي بعد دخولهم فى دورة تدريبية قصيرة ، ثبتت بعدها رتبهم العسكرية وتم تعيينهم ضباطا فى الجيش العراقي بموجب الارادة الملكية الصادرة بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٢٢ ٠

ونظرا للاهمية التاريخية للدراسة فى العراق ندرج فيما يلي قائمة بأسماء هؤلاء الذين أكملوا تحصيلهم العسكري فى استانبول وهم :

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
اسماعيل حقي جمعة	عقيد	رؤوف الجبيهجي	«
أحمد صبيح نشأت	«	أمين عبد الغفور	«
محمد سليم بن سليم	«	عبد المجيد أحمد	«
طه الهاشمي	«	محي الدين واصف	«
عارف حسن	مقدم	خورشيد فريد	مقدم
قاسم عبد السلام	«	خليل زكي ابراهيم	«
علي حسن	«	علي رضا مصطفى	«
محمد علي شريف	«	عبد الرحمن كاظم	«
مصطفى عاصم	«	عبد الجليل محمد	«
عاكف صالح	«	عبد الرزاق حسين	«
فخري عبد الله	«	عبد القادر مهدي	«
محمد فوزي علي	«	احمد كمال محمد	«
صالح زكي احمد	«	عبد الرحمن شهاب	«
محمد نوري احمد	«	عبد القادر معروف	«
قاسم صبري	«	احمد وفي محمود	«
محمد خيري محمود	«	حسين فوزي علي	«

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
ثابت فرج	مقدم	داود سليم	مقدم
راشد سيد صالح	«	محي الدين عمر	«
احمد سري صالح	«	ابراهيم أدهم	«
محمود سامي	«	الحاج رمضان علي	«

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
محمد رشيد أمين	رئيس اول	عبد المجيد ياسين	رئيس أول
مصطفى محمد	«	محمد امين ابراهيم	«
حسين فوزي مهدي	«	عبد الرزاق احمد	«
حسين حلمي شريف	«	محمود سامي خضر	«
محمد نظيف عبد اللطيف	«	عبد القادر محمد	«
نجيب ابراهيم	«	محمد علي مصطفى	«
رضا جودت علي	«	يوسف ضياء	«
محمد توفيق محمود	«	حسن عالي محمد	«
محمد هاتف علي	«	عبد القادر عبد الرحمن	«
سعيد حقي جمعة	«	احمد مختار محمد	«
جميل فهمي عبد الوهاب	«	محمد نافع حسن	«
محمد رؤوف حميد	«	علي ياور حسن	«
ضياء محمود	«	حامد خضر	«
محمد علي حسن	«	محمد رائف خضر	«
محمود رامز	«	محمد علي حسين	«
محمود شكري حسين	«	نور الدين محمد علي	«
صالح فخري أمين	«	شوكت فائز عبد الوهاب	«
محمد فؤاد امين	«	عارف محمود	«
عبد الوهاب معروف	«	محمد علي حسن	«
سعيد فهمي محمود	«	حمدي عبد الغفور	«

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
محمد نوري عبد الله	رئيس اول	محي الدين سليم	رئيس أول
محمد نزهت فتاح	«	احمد عوني خضر	«
سليمان اسماعيل	«	احمد فخري خلف	«
عثمان عبد الواحد	«	امين زكي سليمان	«
عبد المجيد رجب	«	احمد فهمي سالم	«
عبد الغفور ابراهيم	«	عبد الوهاب عبد الرزاق	«
مصطفى ثريا علي رضا	«	عبد القادر سليم	«
عبد الوهاب رمضان	«	ابراهيم خلف	«
حامد صالح	«	محمد امين احمد	«
اسماعيل حقي خميس	«	بكر صدقي شوقي	«
احمد فخري عبود	«	توفيق وهبي معروف	«
محمد جابر مهدي	«	حسين فوزي حسن	«
احمد حقي عبد الجبار	«	محمد فائق احمد	«
شاكر فهمي محمود	«	اسماعيل فوزي حسين	«

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
ابراهيم حلمي الياور	رئيس	محمد علي بن مصطفى	رئيس
عزت توفيق	رئيس	مهدي كاظم	«
توفيق احمد	«	عبد الحميد يوسف	«
عبد الرحمن عبد الغني	«	محمد توفيق زينل	«
محمود اديب محمود	«	احمد عبد الرحمن	«
عبد الهادي مصطفى	«	صالح محمود	«
سالم بهنام	«	عبد الهادي خليل	«
أمين سرحان	«	ابراهيم فرج معلوف	«
طه حبيب	«	محمد زكي محمود	«
عبد الحميد عبد القادر	«	سلمان فتاح	«

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
عارف عبد الوهاب	رئيس	سليمان فهد محمد	رئيس
عبد الستار عبد الوهاب	«	نشأت طه	«
محسن علوش	«	محمد امين عبد الرزاق	«
عبد الله احمد	«	احمد قاسم	«
احمد حمدي محمد	«	شاكر الحاج علي	«
اسماعيل حقي سليمان	«	يوسف السيد عبد الله	«
محمد علي مصطفى	«	مصطفى بهجت يونس	«
عبد الله فياض	«	محمد توفيق احمد	«
علي ياور عبد الرزاق	«	محمد صالح علي	«
احمد جمال مصطفى	«	خليل ابراهيم	«
مصطفى كامل عبد الصمد	«	محمد علي يونس	«
احمد شكري جميل	«	عبد الغني عبد الحميد	«
محمد زكي عبد الباقي	«	عارف مصطفى	«
رشيد محمد	«	علي زكي عبدي	«
احمد رشدي حيدر	«	محمد سليم عثمان	«

الاسم	الرتبة	الاسم	الرتبة
محمد بن يحي	ملازم اول	صالح الحاج حسون	ملازم أول
ابراهيم حقي محمد	«	محمود حسين	«
محمد سعيد عمر	«	راجي موسى	«
جميل روحي حميد	«	حميد رأفت بكر	«
قاسم محمد	«	رفعت عبد الله	«
محمد صالح عبد الرزاق	«	عبد الحميد رشيد	«
عباس محمد	«	علي رضا محمد علي	«
محمد رفعت بكر	«	عبد الله صبري	«
محمود رمزي عيسى	«	صادق محمود	«

عبد الوهاب حسن	ملازم أول	عمر عثمان	«
سعيد احمد	«	عبد المجيد يوسف	«
سلمان مصطفى	«	صالح سيد حمودي	«
عزت شفيق	«	توفيق أحمد	«
عبد الرزاق حسين	«	حسن فهمي علي	«
احمد نجيب	«	قاسم شكري	«
محمد طاهر عبد الحافظ	«	عواد صالح	«
محمد علي بن مصطفى	«	محمد رفيق ابراهيم	«
خليل مصطفى ابراهيم	«	يونس خلف	«
خضر حياتي عباس	«	هاشم خضر	«
جواد جعفر	«	عبد الرزاق حلمي	«
محمد علي مصطفى	«	خلف خيري	«
عمر بن عمر	«	اسماعيل حقي خليل	«
محمد بن مندي	«	قاسم مقصود	«
رشيد عبد القادر	«	أحمد عزت	«
زكي حنظل	«	شاكر محمود	«
زين العابدين محمد	«	محمد سعيد سليمان	«
فاضل عبد اللطيف	«	محمد شوكت عثمان	«
مهدي بن بايرام	«	محمد رؤوف عبد الله	«
محمود حلمي محمد صالح	«	كامل شبيب	«
فائق حلمي	«	محمد شاكر حافظ	«
ناجي عبد الرحمن	«	عباس حلمي	«
رشيد الحاج علي	«	شهاب احمد	«
انطون صبري	«	احمد بدري سعيد	«
نيازي علي رضا	«	خليل زكي اسماعيل	«

حكيم بن دوروغوج	ملازم أول	مصطفى محمد صالح	ملازم أول
احمد رشدي عبد الله	«	محمد حمدي أحمد	«
شهاب احمد	«	عبد القادر علي	«
فارس عبد الله	«	عبد القادر زهراب	«
حسين شهاب	«	محمود محمد	«
سليمان اسماعيل	«	رشيد حلمي سعيد	«
عارف حكمت	«	عبد المجيد خضر	«
عزت أمين يمنى	«	محمود شبيب	«
عبد الرحمن عبد الرزاق	«	نعيم الياس	«
عبد الرحمن حسن	«	اسحق يوسف سحيق	«
احمد حمدي زينل	«	عبد العزيز عبد القادر	«



ادارة شؤون المعارف في العراق

مر بنا أن الدولة العثمانية كانت متأثرة بالنظام الفرنسي من ناحية تنظيم ادارة البلاد . اذ أصدرت عام ١٨٦٥ نظام تشكيل الولايات . وبموجب هذا النظام كانت شؤون كل ولاية تدار بواسطة مجلس الولاية ، كما نص على ذلك بالدستور العثماني .

أما فى العراق ، فان نظام الولايات هذا لم يطبق تماما الا فى زمن الوالي المصلح مدحت باشا . ولذلك كان مجلس الولاية هو الذي ينظر فى شؤون المعارف باعتبارها من جملة واجباته المنصوص عليها فى الدستور .

أما مجالس المعارف الخاصة فلم تؤلف فى العراق الا بعد صدور نظام تشكيل تلك المجالس فى الولايات وذلك فى عام ١٨٨٣ م .

ادارة المعارف

وبموجب هذا النظام عينت وزارة المعارف فى استانبول ادارة خاصة فى كل من ولاية بغداد والموصل والبصرة ، للاشراف على شؤون المدارس فيها . وقد كانت ادارة تافهة لا تزيد عن مدير ، يساعده كاتب واحد ومأمور حسابات ليس غير !

ان أول مدير لادارة المعارف فى بغداد كان قد تعين فى عام ١٨٨٤ م ، وهو المدعو (سامي بك) . الا أنه على ما يبدو لم يبق فيها مدة طويلة اذ خلفه المدعو (خالص أفندي) عام ١٣٠٥ هـ ثم حل محله فى نفس السنة (محمد أفندي الجميل) الذي بقي فى منصبه أربع سنوات ، حتى حل محله عام ١٣٠٩ هـ المصادف ١٨٩٣ م (عيسى روحي) . وفى سنة ١٣١٠ هـ المصادف ١٨٩٤ م ، حل محله (راغب بك) . وفى سنة ١٣١٢ هـ المصادف ١٨٩٦ م ، حل محله (عيسى غياث الدين) الذي بقي فى منصبه حتى عام ١٨٩٨ م . وبقي المنصب شاغرا فيما بعد ، يديره بالوكالة محاسب الدائرة ، حتى عين

المدعو (حسين رفيق افندي) عام ١٩٠٨ م ٠ وقد بقي هذا فى منصبه ، حتى عام ١٣٢٩ هـ المصادف ، ١٩١٣ م ٠ حيث عين بدله (عبد الله فيضى بك) الذي لم يبق الا بضعة أشهر ، حل محله (رفعت بك) ٠ وفى سنة ١٣٣٠ هـ المصادف ، ١٩١٤ م ، أسندت وكالتها الى (حكمت سليمان) ، ومن ثم أصبح مديرا أصيلا ، حيث بقي فى منصبه الى عام ١٩١٦ م ، عندما أوشك الحكم العثماني فى العراق على الانتهاء ٠ ومن ثم دخول الجيش البريطانى بغداد ٠

اما قضايا التفتيش ، والعناية بأمر التدريسات فى المدارس ، فلم تنتبه اليها الحكومة الا عام ١٩١٣ م ، عندما عينت (شاكر بك) مفتشا للمعارف فى الولاية يساعده مفتش الابتدائيات (عبد الكريم أفندي [1]) ٠

مجلس المعارف

قلنا ان نظام تشكيل مجالس للمعارف فى الولاية كان قد صدر عام ١٢٩٩ هـ المصادف ١٨٩٣ م ٠ ولم يكن فى بغداد المجلس الا فى سنة ١٣٠٠ هـ المصادف ١٨٨٤ م ٠ وقد كان أول مجلس للمعارف فى ولاية بغداد ، يتألف من (مدير المعارف) محمد الجميل (رئيسا) وعضوية ستة أشخاص ، ثلاثة منهم كانوا من موظفي المعارف ، والآخرون من الوجهاء ٠ ثم تتابع تشكيل هذا المجلس سنة بعد أخرى حيث كان يجري تغيير بعض أعضائه بين فترة وأخرى ٠

ولم يكن لهؤلاء فى الواقع الا الاسهم ٠ وما كانت أمور المعارف لتلقى اهتماما منهم حسبما تحتمه تطورات العصر ، لا سيما اذا ما علمنا ، أن معظم الاعضاء كانوا من رجال الدين أو من الشخصيات المحافظة ، اللهم الا فى بعض الفترات اذ ظهر منهم أعضاء متجددون كالمرحوم جميل صدقى الزهاوي والمرحوم فهمي المدرس وحكمت سليمان وغيرهم ٠

أما ولايتي الموصل والبصرة ، فقد نشأت فيهما تشكيلات مشابهة ٠

---

١ — سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ ٠

كما أوجد فى بعض السناجق ، لجان للمعارف أيضا .

الجهل فـي دائرة المعـارف

لقد كانت ادارة المعارف فى ولاية بغداد ، ادارة ساذجة . لم تزد فى أحسن عهودها ، عن ثلاثة موظفين صغار ، يرأسهم مدير المعارف . وقد دلت الوقائع على أن الدولة العثمانية ، لم تكن جادة فى نشر الثقافة فى العراق ، بدليل تفاهة معظم الموظفين الذين كانت ترسل بهم لادارة شؤون المعارف فيه . فقد كان هؤلاء ، على قسط كبير من الجهل ، والتفكير السقيم . فضلا عن الشعور المعادي لاهل البلاد عندهم ، ولقد شعر بذلك كثير من مثقفي هذا البلد فراحوا يطالبون الحكومة مرارا بتخليص البلاد منهم ، ومن شرورهم .

حتى اذا جاءت بغداد ، الهيئة الاصلاحية ، برئاسة (ناظم باشا) ، استمعت الى هذه الشكوى وأخذتها بعين الاعتبار لذلك كان من جملة الذين عزلتهم من موظفي الولاية ، عدد من موظفي المعارف وعلى رأسهم المدير . وقد أرخ هذه الحادثة الشاعر المرحوم أحمد بك الشاوي قائلا «٢» ...

الجهل أجمعه بدا ... ئرة المعارف مستدير
أعضاؤها ورئيسها ... في الجهل ليس لهم نظير
وافى النذير بعزلهم ... يا حبذا ذاك النذير
لما أتى أرخت (لا ... رجعت ولا رجع الحمير)

ولكن الامر على ما يبدو كان بنظر الدولة العثمانية انما هو تبديل أشخاص بقطع النظر عن كفاءاتهم العلمية والاخلاقية ، ومقدار حرصهم لخدمة هذه البلاد لان المدير الجديد ، الذي حل محل المدير المعزول ، لم يكن أجدر من سلفه أو أفضل منه . فلا عجب اذا ما رأينا المرحوم الاستاذ معروف الرصافي ، يستقبل (حسين رفيق بك) المدير الجديد قائلا ...

---

٢ ــ العراق بين احتلالين ج٨ . العزاوي . المصدر السابق .

معارف بغداد قد جاءهـا   مدير من الطيش في مسرح
حمـار ولكنـه ناطـق   صبـي ولكنـه ملتـح
فيا أيها العلم فيها ارتحل   ويا أيها الجهل فيها اسلح

ومهما يكن من شيء فان هذه المؤسسة لم تكن جديرة بتحمل ما تتطلبه منها واجبات نشر العلم والثقافة فى البلاد . ولئن كان مستوى هذه الدائرة فى ولاية بغداد على هذه الشاكلة فلا غرابة ان كانت فى الموصل والبصرة بصورة أقل وأدنـى !!

ميزانيـة المعارف

كانت ميزانية المعارف تؤلف جزءا من ميزانية الولاية . فليس صعبا علينا أن نعرف ضآلة حصتها ، اذا ما علمنا أن الولايات العراقية لاسيما فى العهد العثماني الاخير ، تشكو نقصـا وعجزا فادحا فى ميزانياتها . ولعل حملات التبرع التي كان الولاة يقودونها لانشاء أو لتمشية أمور المدارس فى البلاد من الادلة الواضحة فى هـذا الباب . ويكفي أن نضرب مثلا واحدا علـى افلاس تلك الميزانية ما حدث عام ١٩٠٩ م . اذ لم تستطع ادارة المعارف فى بغداد أن تدفع مرتبات المعلمين لمدة خمسة أشهر متتابعة . ولا ندري كيف كـان هؤلاء يؤدون واجباتهم باخلاص ، وهـم فى أشـد حـالات الفقر والحاجـة ! «(٣)» .

بنـايـات المدارس

نظرا لقلة عدد المدارس الموجودة فى العراق فى ذلك العهد فقد تم فـي الولايات الثلاث انشاء بنايات خاصة لبعض المدارس لاسيما فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ولقد كان لحملات التبرع التي قادهـا الولاة فى هـذا السبيل ، الاثر الكبير فى انشـاء تلك البنايات . اذ ساهم

---

٣ ـ العراق بين احتلالين ج٨ . المصدر السـابق .

الاهلون فى معظم المدن العراقية فى هذا العمل الذي يعتبر آنذاك من الاعمال الخيريـة الشـريفة .

ولقد كانت بنايات المدارس فى بغداد أكثر من غيرها من المدن الاخرى ، ويعود السبب فى ذلك ، الى الهمة التي بذلها الاستاذ حكمت سليمان مدير معارف بغداد عام ١٩١٤ م . فقد تم فى أيامه انشاء بنايات عدة منها بنايات ، مدرسة دار المعلمين ، ومدرسة المأمونية ، ومدرسة تطبيقات دار المعلمين ، ومدرسـة الفضل «٤» .

ان اقامة هذه المدارس فى عهد مدير لم يبق فى منصبه أكثر من سنتين لاسيما ونار الحرب العالميـة مشتعلة ، والدولة فى شغل شاغل عن هـذه الاغراض ، يدعـو الى الدهشة لاسيما اذا علمنا أن الميزانية ما كانت قادرة على انجاز ذلك . فما الذي سـهل للاستاذ حكمت سليمان هـذه المهمة ؟! الجواب على ذلك يلخصه سيادته فى قصة طريفة ، ندرج خلاصتها أدناه ...

عندما كان (جاويد باشا) واليا على بغـداد (١٩١٤ — ١٩١٥ . م) . حدث أن شغر منصب (الكليدارية) فى النجف الاشرف . ولما كان فرمان تعيين (الكليدار) يصدر مـن استانبول ، بترشيح من الوالي . فقـد كثر الراغبون فى اشغالها ، وراحوا يتوسطون ويتشبثون لدى الوالـي بمختلف السبل والوسائل . وعند هذه المرحلة يقول (فخامة) الاستاذ حكمت سليمان

(كانت تربطني بجاويد باشا صداقة قديمة . وكنت أزوره بين حـين وآخر فى داره . فلما زرته ذات مساء كالعادة رأيته منزعجا ، غير مرتاح . فقلت لـه ...

— أراك منزعجا ياباشا . فما السبب ؟! فقـال ..

— لماذا لا أنزعج ؟ لقد جاءني صباح اليوم ، السيد الفلاني والسـيد الفلاني وقدما لي مبلغا قدره (٤٠٠٠ ليرة ذهبية) ، لقاء توسطي فى استحصال

---

٤ — نظرات فى معارف العراق . شيخ العراقين . النجف الاشرف ١٩٤٩ .

فرمان (الكليدارية) لاحدهما فانزعجت ورفضت ! أما ترى أن هذا العمل يسبب الالم والانزعـاج ؟!

فقـال حكمت بك ...

ـ لا انك غلطان ! فاستغرب جاويد باشا فتساءل قائلا ...

ـ لماذا أنا غلطان ؟ هل أقبل رشـوة ؟!

فقـال حكمت بك ...

لا ، خذها منهم وسلمها لنا كي نبني بها بنايات للمدارس !!

فقـال الوالـي ...

انها لفكرة لطيفـة ، ولكن ما العمل وقد رفضت ؟ قلت ، بامكاننـا استدعاؤهم ثانية ! ودعني أدبر الامر بنفسي !! ثم قال حكمت بك ...

وفى اليوم الثاني دبرت من يتصل بهم ، ويخبرهم بموافقة الوالي على استلام المبلغ . فلما سألوا عن مكان تسليمه ، قلت انه فى (دار الولاية) ، فقالوا ، نخشى أن يؤدي ذلك الى مالا تحمد عقباه ! قلت لا ، لا تخافا فان الوالي قد تساهل الان !! فلما كان اليوم الثاني ، وفى الوقت المحدد قصدت دار الولاية ، ودخلت ايوان الوالي ، فرأيت (السادة) جالسين و (أكياس أربعة) موضوعة على المنضدة ، فلما رآني الوالي قـال ...

ـ يا حكمت ، ان هذا المبلغ وقدره (٤٠٠٠ ليرة) يعود لي ، ولكني أقدمـه لادارة المعارف ، لتبنوا به بنايات للمدارس !! فشكرته على هـذا العمل الجليل . وأخذت المبلغ وأودعته فى (البانك) وألفت لجنة خاصـة لتتولى الاشراف عـلى ذلك العمل ، كان من أعضائها عبـد القادر جلبي الخضيري وعزت الفارسي بالاضافة الى حكمت نفسه .

وبالفعل بوشر ببنـاء بنايات مدرسة المأمونية ، ومدرسة دار المعلمـين ومدرسة تطبيقات دار المعلمين ! .

تلك هي القصة التي ساعدت حكمت بك على انجاز مهمته . وهي ان

دلت على شيء فانما تدل على مدى الحيرة التي كانت تحيط بالمخلصين وهم يسعون لنشر الثقافة في البلاد .

أما بناء مدرسة الفضل فله قصة اخرى حدثت كذلك فى عهد الاستاذ حكمت سليمان ولولا جهوده الشخصية لما تم انجازها «٥» .

معلمو المدارس

ما كان بالعراق كما رأينا أية مدرسة حديثة رسمية قبل عام ١٨٦٠ ، اذ لم يكن فيه الا (المدارس العلمية) الدينية ، ولكنه بعد ذلك التاريخ وعلى الاخص فى زمان الوالي مدحت باشا ازدادت الحركة . ثم كانت ظاهرة تماما بعد عام ١٩٠٨ م . ولما كان نظام التدريسات الابتدائية ، يحتم أن تسير المدارس فى الولايات على نمط المدارس العثمانية ، لذلك كان التدريس يجري باللغة التركية . ولما كان العراق مفتقرا الى معلمين مختصين ، يحسنون فنون التدريس باللغة التركية ، فقد استعين باديء الامر بمن يحسن اللغة التركية من رجال الدين . ونظرا لعدم وجود دار للمعلمين لاعداد ما تحتاج اليه الولايات من معلمين ، فقد أخذت نظارة المعارف ترسل بالمعلمين الاتراك الى بغداد والموصل والبصرة للتعليم فى مدارسها . ومع هذا فقد كانت قابليات هؤلاء العلمية محدودة . فضلا عن كونهم لا يحسنون غير اللغة التركية . لذلك حدثت النفرة بينهم وبين الاهلين ، وقل الاقبال على المدارس لعدم معرفة الاطفال اللغة التركية .

غير أنه لما تقرر فتح دور للمعلمين فى بغداد والموصل ، انخرط فيها عدد كبير من العراقيين . فتهيأ بواسطتها عدد منهم ، تولوا التدريس فى المدارس المختلفة فيما بعد .

ولقد وقفنا من الابحاث السابقة ان الذين تولوا التعليم فى العراق ،

---

٥ — ورد تفصيل هذه القصة فى كتاب (أول الطريق) . صبيحة الشيخ داود . بغداد . ١٩٥٨ .

كانوا خليطا من المعلمين اختلفت مستوياتهم العلمية • فقد كان منهم رجال دين ، وضباط ، وخريجو دور المعلمين وغيرهم •

أما معلمات مدارس الاناث الرسمية ، فكان عددهن محدودا • وأكثرهن من المعلمات التركيات اللواتي كن يأتين رأسا من استانبول للتدريس في مدارس العراق ، أو من عوائل الضباط أو كبار الموظفين الاتراك الذين كانوا يعملون فى دار الولاية •

ومهما يكن من أمر ، فانه على الرغم من قلة المدارس فى العراق ، فما كان ملاك المدرسة الابتدائية ، ليزيد على (المعلمين الاثنين) فى المدرسة الواحدة • والاكثرية الغالبة من المدارس لم يكن فيها الا معلم واحد •

لغة التدريس

كانت لغة التدريس فى المدارس المختلفة ، هي اللغة التركية ، بما في ذلك تدريس قواعد اللغة العربية • وقد كانت هذه الخطة متبعة في تلك المدارس الى ما بعد قيام الانقلاب العثماني ببضع سنوات ، لانه ، لما اتجه الاتحاديون الاتراك الى اتباع سياستهم الطورانية ، وتشددوا بتطبيقها لاسيما فى البلاد العربية ، قامت ، كرد فعل لهذه السياسة ، الاحزاب والجمعيات العربية التي تألفت فى استانبول وخارجها ، تحارب هذه السياسة • فكان فى مقدمة ما أخذت تطالب به ، جعل التدريس فى مدارس الامصار العربية باللغة العربية • ونظرا لنمو الشعور القومي فى البلاد العربية ، وتزايد الضغط فى المطالبة بهذا المطلب ، فقد أصدرت (وزارة المعارف) نظاما جديدا ، يجيز التدريس فى المدارس الابتدائية فى الاقطار العربية ، باللغة العربية • وكان ذلك فى اوائل عام ١٩١٢ م • وقد بوشر فعلا بالتدريس بهذه اللغة ، فى كافة الدروس ، الا أن الوزارة سرعان ما نكثت عهدها ، فأمرت بلزوم تدريس الجغرافية والتاريخ باللغة التركية «٦» •

---

٦ — فى غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .

أما الدراسة فى المدارس الاعدادية ومكتب الحقوق ، فقد ظلت تجري بالتركية . الا أنه لم يكد ينقضي الشهر العاشر من عام ١٩١٣ م ، حتى ورد أمر من استانبول يقضي بأن يكون التدريس عموما ، فى دار المعلمين ومكتب الحقوق والاعدادي ملكي ، باللغة العربية ، ما عدا بعض الدروس تدرس باللغة التركية «(٧)» . ولكن مكتب الاعدادي ملكي عندما قلب الى (مكتب سلطاني) حرم من التدريس باللغة العربية .

الكتب الدراسية

ولما كان العراق خلوا من المكتب العربية المدرسية فقد استعانت دوائر المدارس هي الكتب المدرسية العثمانية التي تستعمل فى مدارس استانبول . ولكنه عندما صدر نظام التدريس باللغة العربية فى المدارس الابتدائية في العراق ، لم يكن فى متناول أيدي معلمي المدارس الكتب العربية المناسبة للتدريس فيها . ولذلك تألفت فى كل ولاية لجنة لانتقاء الكتب المناسبة (٨) .

ولما كان العراق خلوا من الكتب العربية المدرسية فقد استعانت دوائر المعارف فيه بكتب الدراسة المصرية والسورية (٩) . وفى نفس الوقت شمر عدد من معلمي المدارس فى بغداد لسد هذا النقص ، اذ قاموا بترجمة او تأليف الكتب المناسبة للطلاب والموافقة لمنهج التدريسات . وكان ممن ألف أو ترجم هذه الكتب الاساتذة :ـ

١ ــ المرحوم يوسف عز الدين الناصري . فقد قام بترجمة كتاب (التاريخ العثماني) ، وكتاب (تجويد القرآن) ، و (الجغرافية العثمانية) و (الاشياء والصحة) .

٢ ــ الاستاذ عبد المجيد الخوجة . ترجم كتاب (مبادىء الحساب) .

---

٧ ــ مجلة لغة العرب . الجزء ٣ . عام ١٩١٣ .

٨ ــ في غمرة النضال . سليمان فيضي . المصدر السابق .

٩ ــ أسرار الكفاح الوطني فى الموصل . المصدر السابق .

٣ ـ الاستاذ محي الدين الناصري • ألف كتاب (مختصر تاريخ الاسلام) •

٤ ـ الاستاذ محمد خلوصي الناصري • ألف كتاب (البيان فى تاريخ آل عثمان) وكتاب (العقود الدرية) • وكتاب (علم الحال) •

٥ ـ الاستاذ يحيى الوتري • ألف كتاب (القراءة العربية) •

٦ ـ الحاج حمدي الاعظمي • ألف كتابا هو (مفتاح الهندسة) ، كما ألف كتاب (الدر المنتقى) •

٧ ـ الحاج نعمان الاعظمي • ألف كتابا عنوانه (ارشاد الناشئين) «١٠»

النشــاط اللا منهجي

بعد ان وقفنا على حالة المعارف ، والمعلمين والتدريس ، والمستوى الثقافي ، آنذاك ، لا بد لنا من الاشارة الى النشاط اللامنهجي • فقد تبين لنا بأن مثل هذا النشاط يكاد يكون منعدما ، ما عدا ما كان يجري فى المدارس العسكرية فى بغداد • اما بعد اعلان المشروطية عام ١٩٠٨ م ، فقد تقدم الحال فى المدارس ، اذ دخل التدريب الرياضي ، لا سيما (الجمناستك) • ومن أشهر معلمي الرياضة فى بغداد فى أواخر العهد الاستاذ (حسن حبشي) اذ كان يقوم بتدريس الرياضة البدنية ، وتدريب الطلاب على بعض الالعاب فى عدد من المدارس • وكانت بغداد آنذاك خالية من أي ملعب أو ساحة اذ لم يكن أحد يعرف العاب الساحة والميدان بعد • ولذلك كان الطلاب يذهبون فى بعض الايام الى الحديقة العامة (ملت بقچهسى) للنزهة •

وما كانت الكشافة معروفة أول الامر الا أنها دخلت الى العراق بعد المشروطية ، أي فى حوالي عام ١٩٠٩م • وكانت تسمى باللغة التركية (ايز چيلك (١١)) • وعندما دعي الطلاب للانخراط فى سلك الكشافة كان

---

١٠ ـ مجلة لغة العرب • ج٧ • سنة ١٩١٤ م •

١١ ـ ان معنى كلمة (ايزجي) التركية معناها (متتبع الاثر) •

اقبالهم عليها ضعيفا ، ظنا من الناس ، ان التدريب فيها ، يؤدي الى خلق جماعة من الطلاب المرشحين للخدمة العسكرية ، التي كان الناس يخشونها أشد الخشية . ولذلك لم يكن فى كل مدرسة الا فرقة واحدة لا يزيد عدد أفرادها عن الثلاثين كشافا . ولم يكن تدريب الكشافة آنذاك ليزيد عن تتبع الاثر ، والمسيرة الشبيهة بالمسيرة العسكرية ، اذ تسير الفرقة ، تتقدمها الجوقة الموسيقية مخترقة شوارع المدينة .

أما الالعاب الرياضية كلعبة كرة القدم أو كرة السلة أو غيرها من ألعاب الساحة والميدان فلم تكن معروفة آنذاك أصلا .

قوانين وأنظمة المعارف (١٢)

كانت القوانين والانظمة والتعليمات المعمول بها فى العراق لتنظيم شؤون التعليم ، هي نفس القوانين والانظمة ، الصادرة من نظارة المعارف فى استانبول رأسا ، وفى مقدمتها (نظام المعارف العامة العثمانى) الصادر عام ١٢٨٦ هـ المصادف ١٨٧٠ م . أما بشأن تنظيم شؤون التدريسات في المدارس فكان المنظم لها (قانون التدريسات الابتدائية الموقت) الصادر فى ايلول عام ١٩١٤ م — ١٩١٥ م . واستنادا الى هذه القوانين ، صدرت الانظمة والتعليمات المنظمة لكافة الامور المتعلقة بشؤون التربية والتعليم فى البلاد . وأهم هذه كانت ، (تعليمات المدارس الابتدائية) الصادرة فى سنة ١٩١٥ م .

فقد كانت هذه التعليمات شاملة لجميع القضايا التي تهم التدريس او تخص الطلاب والمعلمين والامتحانات والعطل وكافة الامور التى تنظم شؤون التعليم الابتدائي . ومن تلك الامور التى كانت تطبق فى العراق الموضوعات الآتية :ـ

---

١٢ ـ معارف دستوري . برنجي جلد . فائق رشيد . استانبول ١٩٢٧ م .

تنظيم جدول الدروس

نصت التعليمات على أن تكون الدروس الهامة فى فترة الصباح ، وهذه الدروس هي : القرآن الكريم ، المعلومات الدينية ، مصاحبات اخلاقية ، اللغة التركية ، التاريخ ، الجغرافية ، الحساب ، الهندسة ، الاشياء .

أما الدروس التى تدرس فى فترة ما بعد الظهر ، فهي الدروس العملية والخفيفة كالزراعة ، والرسم والموسيقى والنشيد والرياضة البدنية .

توزيع ساعات اليوم المدرسي

ومن الامور التى أكدت عليها التعليمات كيفية توزيع ساعات النهار المدرسى ، منذ الصباح حتى انتهاء اليوم مساء . وندون فيما يلي صورة من جدول الاوقات التى كانت متبعة فى المدارس الابتدائية : —

جدول الاوقات

	الساعة من	الساعة الى
التفتيش الصباحي	٨	٣٠ر٨
الدرس الاول	٣٠ر٨	١٠ر٩
فرصة	١٠ر٩	٢٥ر٩
الدرس الثاني	٢٥ر٩	٥ر١٠
فرصة	٥ر١٠	٢٠ر١٠
الدرس الثالث	٢٠ر١٠	—ر١١
فرصة الغذاء	—ر١١	—ر١
تفتيش بعد الظهر	—ر١	٢٠ر١
الدرس الرابع	٢٠ر١	—ر٢
فرصة	—ر٢	١٥ر٢

الدرس الخامس	٢ر١٥	٢ر٥٥
فرصة	٢ر٥٥	٣ر١٠
الدرس السادس	٣ر١٠	٣ر٥٠
النشيد والاستعداد للانصراف	٣ر٥٠	٤ر٠٠

الامتحانات المدرسية

كانت الامتحانات تجري ، كما هي الحال اليوم بصورة يومية وشهرية ، وفصلية . ودرجاتها تدخل فى السجلات . ولقد كانت امتحانات الصف الاول والصف الثاني تجري بصورة شفهية . أما الصفوف الاخرى فتجري فيها الامتحانات على نوعين (تحريري وشفهي) . والامتحان الشفهي ، كان يجري أمام (هيئة من المميزين) وهي هيئة منتخبة عادة وتتألف من معلم الدرس ، وبعض الشخصيات من خارج المدرسة . اذ تقوم هذه الهيئة بامتحان الطلاب واحدا بعد الاخر ، ولذلك كانت فترة الامتحانات تمتد الى مدة طويلة .

درجات النجاح

ودرجات النجاح آنذاك كانت تقابل باصطلاحات كان الغرض منها ، التفريق بين المجدين وغيرهم ، تشجيعا لهم وتمييزا . وكانت درجة النجاح الكبرى هي درجة (١٠) والصغرى (٥) . أما ما يقابل درجات النجاح من اصطلاحات تشجيعية فقد كانت كما يلي ...

المعدل بالرجات	الاصطلاح الخاص به
٩ — ١٠ درجات	علي الاعلى
٨ «	أعلى
٧ «	قريب أعلى
٦ «	وسط
٥ «	قريب وسط
٤ — ٣ «	ضعيف
٢ — ١ «	ضعيف جدا

درجات السعي السنوي

كانت درجات الامتحانات اليومية والشهرية تجمع كل شهر على حدة ، ويؤخذ معدلها • وكانت تستخرج درجة من معدل (كل شهرين) من أشهر السنة الدراسية الثمانية على الشكل الاتي :

١ ـ معدل شهري ايلول وتشرين الاول

٢ ـ معدل شهري تشرين ثاني وكانون أول

٣ ـ معدل شهري كانون ثاني وشباط

٤ ـ معدل شهري مارت ونيسان

ثم تجمع هذه المعدلات الاربعة ، وتقسم على أربعة ، فتكون النتيجة معدل (السعي السنوي) • وعندما يجري الامتحان النهائي ، تجمع مع معدل السعي السنوي ، ويقسم على اثنين ، والحاصل هو (درجة النجاح النهائية) •

العقاب والثواب

كانت الوسائل الانضباطية عندهم متعددة • فبالنسبة للثواب ، كان الطالب الحسن الخلق الرضي السيرة ، المجد ، المواظب على الدوام ، موضع تقدير المدرسة واحترامها • وكان هذا التقدير يتدرج الى خمس درجات من التشجيع هي :

١ ـ (آفرين) : ومن يحصل عليها ، توضع على صدره ورقة مطبوع عليها هذه العبارة (آفرين) •

وكل من حاز أربع (آفرينات) ، يستحق الدرجة الاعلى منها ، وهي

٢ ـ تحسين : فاذا نال أربعا من هذه التحسينات ، فانه يستحق الثالثة •

٣ ـ تقدير : فاذا ما نال تقديرين ، نال الدرجة الرابعة وهي •

٤ ـ تلطيف : فاذا نال أربع تلطيفات ، استحق الدرجة الخامسة وهي •

٥ ـ امتياز : وهي أعلى عبارات ودرجات التقدير والتشجيع •

ان منح هذه الامتيازات كان يجري عادة ، يوم الخميس من كل اسبوع •

وفى أثناء الاجتماع الصباحي . وكانت هذه التقديرات ذات أثر فى سير الطالب فى المدرسة اذ كانت تحفظ فى ملفات الطلاب الذين يحصلون عليها ، وتؤخذ بنظر الاعتبار فـي نهاية السـنة .

أما العقوبات فكانت تتدرج أيضا من التنبيه الى التوبيخ الشفهي ، ثم التوبيخ التحريري ، ثم الحجز أثنـاء الفرص ، فالكتابة لولي الامر ، فالطرد الموقت ، وأخيرا الطـرد المؤبد .

أما الضرب ، فقد كان موجودا فى المدارس، لكن هذه التعليمات حرمته. ومنعت كذلك اسماع الطلاب، الكلام القارس والعبارات غير اللائقة .

أما فى مدارس الرشدي والاعدادي والعسكري ، فقد كانت عقوبة الجلد (حصير ميدان) موجودة ، اذ يتعرض لها من كان يعمل عملا مشينا أو كمـا يقـال عامل (قباحـة) «[١٣]» .

الاناشيـــــد

كانت جميع الاناشيد التي ينشدها الطلاب فى المدارس أناشيد تركية ، وكلها مدح للسلطان والوالي ، وتحبيب المدرسة ، والعلم ، والاجتهاد . ولم يكن هناك درس خـاص لتعليم النشيد ، ولكنها كانت تنشد عـادة كل يوم خميس عند تحية العلم . وكان الهتاف ثلاثا بحياة السلطان ، بعد هذه الاناشيد لازما .ولعل هذا الهتاف أول ما تسمعه أذنا الطالب وهو يدخل المدرسة لاول مرة ، ذاك هو عبارة (يادِ شاهـَم جـَوق ياشا) ومعناها (ملكي عشت طويلا) ومن تلك الاناشيد هذا المَقطع باللغة التركيـة :

« تاج حريتله دوغمش ، بير كونش شكلنده سك .

بيك ياشا ، سلطان محمد ، دولتكله بيك ياشا .

دولتكله ، ملتكله ، بيك ياشا . »

---

١٣ ـ لقد استعنا فى كتابة هذا البحث بما كنا قد سجلناه من حـديث المرحوم الاستاذ يوسف عز الدين الناصري .

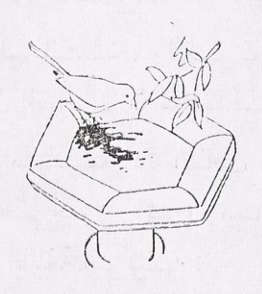
ومعناه بالعربية :

((طلعت علينا متوجا ، كالشمس ، بتاج الحرية !

لتعش ، يا سلطان محمد ، مع دولتك ، ألف مرة ألف مرة !!

مع دولتك ، ومع ملتك !لف مرة !!))

وهناك غير هـذا المقطع ، أناشيد كثيرة كان الطلاب ينشدونها باللغـة التركية ولا يعرفون معناهـا .



أرقام واحصائيات

وقبل أن نختم هذا البحث يجدر بنا ان نثبت هنا ، الاحصائيات التي وردت فى المصادر والمراجع التي وقفنا عليها ، الخاصة بعدد المدارس والمعلمين والطلاب ، الذين كانوا فى السنوات الاخيرة من العهد العثماني فى العراق . وذلك قبل أن ندرج خلاصة الارقام التي استطعنا استخراجها من مظانها المختلفة فى هذا الباب أيضا اعماما للفائدة .

وها نحن اولاء نثبت تلك الاحصائيات كما جاءت فى تلك المراجع فيما يلي .

١ : — احصائية مجلة لغة العرب

نشرت مجلة لغة العرب لصاحبها المرحوم الاب انستاس الكرملي ، بعددها الصادر فى شهر تشرين الثاني عام ١٩١٣ م، خبرا بهذا العنوان (مدارس بغداد والعراق) قالت فيه ...

(رفع ديوان المعارف الى المجلس العمومي ، تقريرا ذكر فيه ما فى ولاية بغداد من المكاتب الرسمية والاهلية ، فأسفر البحث عن وجود ما يلي :

٣٤ دار علم من كتاب ، ومكتب ، ومدرسة ، فى عهد الاستبداد ، وهذا العدد يتحلل بهذه الصورة ...

٢٨ دار علم للحكومة .

٦ للطوائف غير المسلمة .

أما فى عهد المساواة والاخوة والحرية ، فان المدارس قد بلغت فيه (١٠٣) مدرسة منها ...

٨٣ مدرسة رسمية

٢٠ مدرسة هلية

١٠٣

وبصورة اخرى تتوزع على الصورة الآتيـة ..

٩٠	مدرسـة للمسـلمين
١٣	لغـير المسـلمين
١٠٣	

وبصورة ثالـثة

٢٧	كتابا (أي مدرسـة ابتدائية) فى حاضرة الولاية والقصبات والقـرى الاخـرى .
٦٩	مكتب (أي دار علم رشـدية) .
٥	مدارس (أي دار علم اعدادي) .
٢	مدارس عالية (وهي الحقوق والمكتب السلطاني) .
١٠٣	

أما عدد الطلبة فيبلغ (١٣٢٣٧ طالبا) موزعين على الوجه الآتي . «[١]»

٤٧٤٧	طالبا	فى المكاتب المنتظمـة (مسلمون) .
٣٢٧٠	طالبا	فى الكتاتيب وهم (مسلمون) أيضا .
٣٥٠٠	طالبا	يهـوديـا
١٨٢٠	طالبا	نصـرانيـا
١٣٢٣٧		

٢ ـ احصائية مجلة التربية والتعليم :

أما الاستاذ ساطع الحصري ، فقـد ذكر فى مجلـة التربية والتعليم ، الصادرة فى شهر حزيران عـام ١٩٢٨ م ، تحت عنوان (المعارف فى العراق) ما نصـه «[٤]» ...

١ ـ مجلة لغة العرب ج ٣ ، تشرين الثانى . ١٩١٣ م .

٢ ـ مجلة التربية والتعليم . ساطعالحصري . الجزء السادس . حزيران . ١٩٢٨ . بغداد .

« فى العهد العثماني : ــ اذا نظرنا الى الاحصائية الرسمية التي نشرتها وزارة المعارف العثمانية فى أوائل الحرب العامة (١٩١٤) ، نجد أن عدد المدارس الاميرية فى الولايات الثلاث ، التي تألفت منها (مملكة العراق) كان آنذاك كما يلي ...

١٦٠ مدرسة ابتدائية .
٤ مدارس ثانوية
٣ دور للمعلمين .
١ كلية حقوق .

١٦٨

أما عدد التلاميذ فكان كما يلي ..

٦٦٥٦ طالبا في المدارس الابتدائية .
٨١٨ طالبا في المدارس الثانوية (منهم (٤٧٢) طلاب الصفوف الابتدائية فيها) .
١٧٠ طالبا في دور المعلمين .
٢٤٤ طالبا في كلية الحقوق .

٧٩٨٨

وكان عدد المعلمين كما يلي ....

٣٢١ معلما في المدارس الابتدائية .
٤٩ معلما في المدارس الثانوية .
٢٢ معلما في دور المعلمين .
١٠ معلمين في كلية الحقوق .

٤٠٢

أما عدد مدارس البنات ــ من المجموع الآنف الذكر فكان ...

١٢ مدرسة أناث فيها .

٣٢ معلمـــة و ...

٧٥٦ طالبـــة .

أما عـدد المدارس الاهلية فكـان ...

١٢٥ مدرســة فيهـا

٣٢٧ معلمـا و .

١١٦٠٠ طـالب ...

٣ ـ احصائية فى غمرة النضال

أما المرحوم الاستاذ سليمان فيضي ، فقد أدرج احصاء رسميا عن المدارس الحكومية فى العراق ، عام ١٩٠٥ م ، أي قبل المشروطية . ندرجه فيما يلي ليتسنى للقاريء الاستفادة منه عند المقارنة مع الارقام السابقة ، وهي أرقام لاحقة كما مر بنا . فلقد ذكر الاستاذ فيضي ما يلي :

(لقد تمكنت من الحصول على احصاء رسمي للمدارس الحكومية فى العراق عام ١٩٠٥ م أورده باختصار ...

أ ـ فى بغداد

العـــدد

١ ـ اعدادية ملكيـة (ذات سـبعة صفوف) .

٢ ـ اعدادية عسكرية (ذات ثلاثة صفوف)

١ ـ رشدية عسكرية (ذات أربعـة صفـوف) .

٤ ـ مدارس أوليـــة .

١ ـ مدرسـة واحدة للانـاث .

١١ ـ مدرسة رشدية (ذات ثلاثة صفوف) فى أقضيتها الاحد عشر .

٢١ ـ مدرسة أولية (ذات ثلاثة صفوف) فى أقضيتها الاحد عشر .

٨ ـ مدارس رشدية فى لوائي كربلا والديوانية التابعين لولاية بغداد .

١٥ ـ مدرسة أولية فى لوائي كربلا والديوانية التابعين لولاية بغداد .

ب ــ فى الموصل

العـــدد

١ ــ اعدادية ملكيـة (ذات خمســة صفـوف) •
٢ ــ مدرســتان أوليتـان •
٥ ــ مدارس رشدية فى أقضيتها الخمســة •
١٢ ــ مدرســة أوليـة فى أقضيتها الخمســة •
٩ ــ مدارس رشدية فى لوائي كركوك والسليمانية وأقضيتها التسعة •
١٦ ــ مدرسة أولية فى لوائي كركوك والسليمانية وأقضيتها التسعة •
١ ــ مدرسة رشدية عسكرية (ذات أربع صفوف) فى السليمانية •

جـ ــ فى البصرة

العـــدد

٢ ــ مدرستان رشديتان ملكيتان ، فى قصبة البصرة وقضائيها •
١٢ ــ مدرســة أوليــة • فى قصبة البصرة وقضائيها •
٥ ــ مدارس رشدية فى لوائي العمارة والمنتفك وأقضيتهما السبعة •
١٥ ــ مدرســة أوليــة فى لوائي العمارة والمنتفك وأقضيتهما السبعة •

أما مجموع طلاب هذه المدارس كلها (أي فى الولايات الثلاث) فقد بلغ فى تلك السنة (٤٢١٠ طلاب) عدد معلميها (٢٦٣ معلما) •

أما المدارس الاهلية فى العراق ، فهي المدارس الاسرائيلية والمسيحية فى المدن الرئيسية الثلاث وطلابها كثيرون • والدراسة فيهـا أحسن حالا مـن المدارس الحكوميـة «٣» •

٤ ــ ما جاء فى تقرير لجنة الكشف التهذيبي

جاء فى الفصل الاول من تقرير لجنة الكشف التهذيبي (لجنة بول منرو)

---

٣ ــ فى غمرة النضال . المصدر السابق

التي زارت العراق عام ١٩٣٢ م، تحت موضوع (الاسس التاريخية) مانصه ••

(ان الثقافة العربيــة عريقة فى القــدم ، وقد أوجدت بفضل المدارس والمعلمين ، أساليب مناسبة لاستمرارها ، ونقلها جيلا بعد جيل • ولكن التربية العصرية المصطبغة نوعا ، بالصبغة العلمية ، والتي تشبه بوضعها ، التربية التي كونتها الشعوب الغربية ، فانها حديثة العهد جدا • وكانت الادارة التركية ، قبل نشوب الحرب العالمية ، قد وضعت نظاما للمعارف فأسست نحوا مــن (١٦٠) مدرسة ابتدائية ، يبلغ عدد طلابها المسجلين حوالي (٦٠٠٠ تلميذا) ، وعدد المداومين فيها أقل مــن ذلك بكثير) • «[٤]

٥ ـ ما جاء فى كتاب (العراق ـ دراسة فى تطوره السياسي) (٥)

لقد أشار المستر فيليب ويلارد آيرلاند فى كتابه ، الى المعارف فى العهد العثمانـــي قائـــلا •••

(كان فى العراق على عهد الحكومة التركية ، نظام ممتاز للمعارف كمـــا يظهر من التقارير التركية • فقد كان فى كل ولاية ، مدير معارف ، له ميزانيته وموظفوه ، وعدد كبير من المدارس التي تسير بموجب منهج خاص • على أننا لو أردنا أن نحكم على المعارف بواسطة النتائج، لوجدنا أن هذا النظام لم يكن الا شيئا أجوف ! فلم يكن عدد المدارس كما تدل عليه الاحصائيات الرسمية ! ولم يكن دوام الطلاب فيها بالنسبة التي تذكرها هذه الاحصاءات • كمـــا أن المعلمين كانوا على جانب قليل من المعلومات والثقافة ، وأقل من ذلك بالنسبة للســجايا الاخلاقيــة) ••

٦ : ـ خلاصة ما خرجنا به

ومن دراسة معظم (السالنامات) التي أصدرتها ولايات بغداد والموصل

---

٤ ـ تقرير لجنة الكشف التهذيبي • بو لمنرو • مطبعة الحكومــة • بغداد • ١٩٣٢ •

٥ ـ لمؤلفه فيليب آيرلاند وترجمة جعفر خياط • بيروت • ١٩٤٩ •

والبصرة ، لاسيما فى السنين الاخيرة . ومن الاطلاع على ما كتب فى المصادر الآنفة الذكر ، والصحف والمجلات ، استطعنا أن نخرج بالاحصائيات التي ندرجها فيما يلي ، وهي فى الحقيقة تمثل أرقاما على الورق لانها وان كانت موجودة رسميا الا أن عدد الطلاب المداومين فيها أقل كثيرا من عدد المسجلين فيها !

أولا — مدارس ولاية بغداد

كانت مدارس ولاية بغداد فى أواخر العهد العثماني أي فى عام ١٩١٤ م تتألف مما يأتي ..

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد الطالبات
المدارس الابتدائية	٣٣	١٥٢٥	—
مدارس الاناث	٥	—	٣٠٠
المدارس الرشدية	٩	٤٠٥	—
المكتب السلطاني	١	٢٦٠	—
دار المعلمين	١	٢٠٠	—
مكتب الصنائع	١	٧٠	—
الرشدية العسكرية	٢	٧٠٠	—
اعدادي عسكري	١	٥٠٠	—
مكتب الحقوق	١	٢٥٠	—

وبعد هذه المدارس الرسمية تأتي المدارس الاهلية الاسلامية والمسيحية واليهودية والاجنبية وهي ...

عدد الطلاب	عدد الطالبات	عدد الطلاب	عدد الطالبات
مكتب الترقي الجعفري	١	٣٠٠	—
مدرسة الاخوة الايرانية	١	٢٠٠	—
المدرسة الحسينية	١	١٠٠	—
المدرسة العلوية	١	٧٠	—

المدرسة المرتضوية	١	٧٠	—
مكتب الهنود	١	١٢٠	—
مدرسة الكلدان	١	٢٤٠	—
مدرسة السريان	١	٧٠	—
مدرسة الارمن	١	٨٥	—
مدرسة الارمن للبنات	١	—	٤٥
مدرسة اللاتين	١	٣٠٠	—
مدرسة اللاتين للبنات	٣	١٠٠	٨٠٠
مدرسة اخوات المحبة	١	—	٤٥
مدرسة البروتستانت	٢	٤٠	٢٨
مدرسة الالمان	١	١٦٠	—
مدرسة الاليانس	١	١٠٠٠	—
مدرسة الاطفال	١	٢٠٠	١٠٠
مدرسة التعاون	١	١٨٠	—
مدارس المدراش	٣٠	٢٧٠٠	—
مدرسة هارون صالح	١	١١٦	١٢٠
مدرسة الوطن	١	١٥٠	—
مدرسة رفقة روفائيل	١	١٠٠	٢٧٥
مدرسة لورة خضوري	١	—	٦٠٠
مدرسة اليانس الحلة	١	١٧٥	—
مدرسة اليانس خانقين	١	٧٠	—

ثانيا ـ مدارس ولاية الموصل

المدارس الابتدائية	٣٠	١٧٩٣	—
مدارس الاناث	٢	—	٢٦٠
المدارس الرشدية	٤	٢١٦	—

المدارس الاعدادية	٣	٣٣٢	—
مدرسة رشدية عسكرية (سليمانية)	١	١٣٨	—
دار المعلمين	١	١٥٠	—
مكتب صنائع كركوك	١	١٥	—
مدرسة الكلدان	١	٤٠٠	—
مدرسة السريان	١	٢٥٠	—
مدرسة اليعاقبة	١	١٤٠	—
مدرسة الآباء الدومنيكان	١	٣٠٠	٥٠
مدرسة اخوات المحبة	١	—	١٠٠
مدرسة الاليانس	١	١٧٥	—

ثالثا — ولاية البصرة

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد الطالبات
المدارس الابتدائية	٢٧	٥٨٠	—
مدرسة الاناث	١	—	٥٠
المدارس الرشدية	٤	٢٤٤	—
مدرسة الاميركان	١	٢٠٠	—

مدارس العراق عام ١٩١٤

وعلى هذا الاساس تكون مدارس العراق عام ١٩١٤ م موزعة على الصورة الآتية ..

أ — المدارس الرسمية

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد الطالبات
بغداد	٥٤	٣٩١٠	٣٠٠

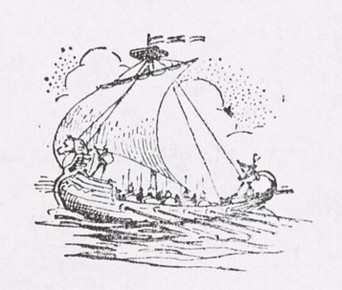
الموصـــــل	٤٢	٢٦٤٤	٢٦٠
البصـرة	٣٢	٨٢٤	٠٤٠
المجمــــوع	١٢٨	٧٣٧٨	٦٠٠

ب ـ المدارس الاجنبية والاهلية

بغـــداد	٥٧	٦٥٢٦	٢٠١٣
الموصـــل	٦	١٢٩٤	١٥٠
البصـرة	١	٠٢٠٠	—
المجمــــوع	٦٤	٨٠٢٠	٢١٦٣

وهكذا يكون مجموع المدارس فى العراق عام ١٩١٤ م على الصورة الآتية ..

المدارس الرسمية	١٢٨	٧٣٧٨	٦٠٠
المدارس الاهلية والاجنبية	٦٤	٨٠٢٠	٢١٦٣
المجمــــوع	١٩٢	١٥٣٩٨	٢٧٦٣



خاتمـــــــة

وأخيرا ، وبعد عرض هذه الصور الخاطفة عن تاريخ التعليم فى العراق فى العهد العثماني ، لابد لنا من أن نستميح القاريء الكريم عذرا ، ان لم تأت تلك الصور ، أكثر دقة أو أشد صفاء ! • كما نستميحه عذرا كذلك ، ان نحن غفلنا ، عن الاشارة الى بعض الوقائع أو الاحداث ، لا عن غرض أو تقصد ، انما قد يكـون بسبب عدم استطاعتنا الوصول اليهـا ، أو الوقوف عليها ، وشفيعنا فى ذلك ، أن هذه المعلومات التي احتوتها فصول هـذا الكتاب ، لم تكن الا حصيلة درس خاص • وتتبع شخصي ، استمر زهاء العشر سنوات ! ونحن اذ نقـدم هذه الفصول اليوم بهذه الطبعة ، فان لنا الامل الوطيد بأن القراء الكرام ، الذين تهمهم مثل هذه الابحاث التاريخية ، سيتكرمون علينا بما يتوافر لديهم بعد قراءة هذه الفصول ، من تصويبات وارشادات أو وقائع وأحداث ، لم نقف عليها أو نتوصل اليها ، كي نقـوم باعادة النظر باصـول الكتاب فى ضوء هذه المعلومات ، استعدادا لاخراجه بطبعة جديدة منقحة !

ورغبة فى أن تأتي الطبعة الثانية ، طبعة كاملة ، رأينا ان احتواءها عـلى مجموعة مـن الصور التي تمثل مختلف المراحل الدراسية فى العهد العثماني سيضفي عليها أهمية خاصة ! لذا لابد لنا ، ونحن نختم فصول هذا الكتاب ، الا أن نبعث برجائنا الى أولئك السادة الافاضل الذين تتوافر لديهم نسخ من الصـور التي تمثل جانبا من جوانب الحياة الدراسية فى ذلك العهـد ، كي يتكرموا بارسالها الينا حسب العنوان المدرج أدناه ، ليتسنى لنا نشرها على صفحات الكتاب فى طبعته الثانيـة انشاء الله • ولهم منا جميعا غايـة الشكر والامتنـان •

عنوان المؤلف

عبد الرزاق الهلالي

شارع ام الربيعين رقم الدار ٤٢/١١

محلة نجيب باشا • أعظمية

بغداد ـ العراق

A. RAZZAK. HILALI. ....

NAJIB PASHA SQUARE. ......

BAGHDAD-IRAQ. ....

فهارس الكتاب

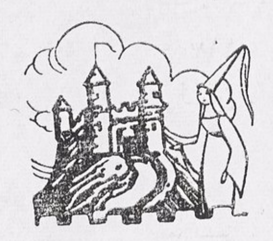
أ - فهرس الاعلام

(غ)

(ف)

(و)

(ي)



ب - فهرس الامكنة

حرف الالف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الفاء

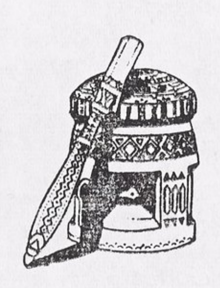
حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء



جـ - فهرس المصادر

١ ـ المصادر العربيـــة

ـ أربعة قرون من تاريخ العراق • س • لونكريك • ترجمة • جعفر خياط • بـيروت ١٩٤١ •
ـ أسرار الكفاح الوطني فى الموصل • عبد المنعم الغلامي • بغداد ١٩٥٨ •
ـ أقـدم اصدقائي العرب • الدكتور جـون فانيس • ترجمـة جليل عسو بغـــــــداد ١٩٤٦ •
ـ أصول التربية ونظام التعليم • الدكاترة علي عبـد الواحد وافي وزملاؤه القـــاهـرة ١٩٥٥ •
ـ أعيان الشيعة ج١ • السيد محسن الامين • بيروت ١٩٥١ •
ـ أعيان الشيعة ج ٤٠ • السيد محسن الامين • صيدا • ١٩٥٧ •
ـ الاتراك العمثانيون وحضارتهم • كارل بروكلمان • ترجمـة الدكتـور نبيـه فارس • منير البعلبكي • بيروت • ١٩٥٥ •
ـ الاسلام فى القرن السابع عشـر • كارل بروكلمان ترجمة الدكتور نبيـه فارس • منير البعلبكي • بيروت • ١٩٥٥ •
ـ الامبراطورية الاسلامية وانحلالها • كارل بروكلمان • ترجمة الدكتور نبيه فارس • منير البعلبكي • بيروت • ١٩٥٤ •
ـ البغداديون • أخبارهم ومجالسهم • ابراهيم الدروبي • بغداد • ١٩٥٨ •
ـ بغداد كما وصفها السواح الاجانب • سعاد العمري • بغـداد ١٩٥٤ •
ـ البلاد العربية والدولة العثمانية • ساطع الحصري • القاهرة • ١٩٥٧ •
ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية • محمد فريد وجدي •
ـ تاريخ العراق بين احتلالين • عباس العزاوي • بغـــداد •
ـ تاريخ الموصل ج١ • القس سليمان صائغ • القاهرة • ١٩٢٣ •

ـ تاريخ نصارى العراق ، رفائيل بابو اسحق ، بغـــداد ١٩٤٨ ،
ـ تكوين العراق الحديث ، هـ ، أ ، فوستر ، ترجمة عبد المسيح جويدة ،
بغـــداد ١٩٤٦ ،
ـ تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية ، محمـد ضياء الدين الريس ،
القـاهـرة ، ١٩٥٠ ،
ـ تركية الحديثة ، محمد عزت دروزة ، بـيروت ، ١٩٤٦ ،
ـ تاريخ الشيعة ، محمد الحسين المظفري ، النجف ، ١٣٥٢ هـ ،
ـ تاريخ الشيعة ، الدكتور حسين علي محفوظ ، بغـداد ، ١٩٥٨
ـ تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، محمود شكري الالوسي ، بغداد ، ١٣٤٦ هـ
ـ تاريخ الطب فى العراق ، الدكتور هاشم الوتري والدكتور معمر الشابندر
بغـــداد ١٩٣٩ ،
ـ التربية عنـد العرب ، خليـل طوطح ، القـدس ،
ـ تاريخ التربية الاسلامية ، الدكتور احمد شلبي ، بيروت ، ١٩٥٤ ،
ـ التربية والتعليم فى الاسلام ، الدكتور محمد اسعد طلس ، بيروت ، ١٩٥٧ ،
ـ التعليم فى رأي القابسي ، الدكتور محمد فؤاد الاهواني ، القاهرة ، ١٩٤٥
ـ تقرير لجنة الكشف التهذيبي ، ـ لجنة منرو ـ بغـداد ، ١٩٣٢ ،
ـ تاريخ التربية فى عصر محمد علي ، الدكتور احمد عزت عبدالكريم ، القاهرة
ـ خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق ، الشيخ محمد أمين الحلواني المدني
القـاهـرة ، ١٣٧١ هـ ،
ـ الخلافة ، السير توماس ارنولد ، ترجمة جميل معلى ، دمشق ، ١٩٤٦ ،
ـ الخلافة والدستور الاسلامي ، محمد جواد الشري ، بيروت ، ١٩٤٦ ،
ـ خطط الموصل ج٢ ، احمد الصوفي ، الموصـل ، ١٩٥٣ ،
ـ الخدمات الاجتماعية لطلاب العلوم فى الاسلام ، سـعيد الديوه‌جي ،
الموصـــــل ، ١٩٥٥ ،

ـ خلاصة تاريخ العـراق ۰ أنستاس الكرملي ۰ بغداد ۰ ١٩١٩ ۰

ـ دليل خارطة بغـداد ۰ الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة ۰ بغـــداد ١٩٥٨ ۰

ـ الدليل لاصلاح الاوقاف ۰ محمد احمد العمر ۰ بغداد ۰ ١٩٤٨ ۰

ـ الدولة والنظم الاقتصادية فى الشرق الاوسط ۰ أ ۰ بونيه ۰ ترجمة الدكتور راشـد الراوي ۰ القـاهرة ۰ ١٩٥٠ ۰

ـ الدولة والتعليم ۰ (٢) ۰ حسن الدجيلي ۰ بغـــداد ۰ ١٩٥٣ ۰

ـ الرافدان ۰ سيتون لويد ۰ ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس ۰ بغـداد ۰

ـ الروض الازهر فى تراجم آل السيد جعفر ۰ مصطفى نور الدين الواعظ ۰ الموصـــــــل ۰ ١٩٤٨ ۰

ـ سحر بابل وسجع البلابل ۰ ديوان السيد جعفر الحلي ۰ المطبوع عام ١٣٣١ هـ

ـ شعراء الحلة ج١ ۰ علي الخاقاني ۰ النجف ۰ ١٩٥٢ ۰

ـ الشعر العراقـي فى القرن التاسع عشـر ۰ الدكتور يوسف عز الدين ۰ بغـــــداد ١٩٥٨ ۰

ـ صلة العلم بالمجتمع ۰ ج ۰ ج ۰ كراوزر ۰ ترجمة حسن خطاب ومحمد مرسي القـــاهرة ۰

ـ العـراق قديما وحديثا ۰ عبد الرزاق الحسني ۰ صيدا ۰ ١٩٤٨ ۰

ـ العرب والترك فى الصـراع بين الشرق والغرب ۰ محمـد جميل بيهم ۰ بـيروت ۰ ١٩٥٧ ۰

ـ عصور الادب العربي ۰ محمد كاظم الكفائي ۰ النجف ۰ ١٩٤٦ ۰

ـ عبد الحميد ظل الله على الارض ۰ الدكتورة الما دتلن ۰ ترجمة راسـم رشـدي ۰ القـاهرة ١٩٥٠ ۰

ـ العراق دراسة فى تطوره السياسي ۰ فيليب آيرلاند ۰ ترجمة جعفر خياط ۰ بـيروت ۰ ١٩٤٩ ۰

ـ غرائب الاغتراب ونزهة الالباب • أبو الثناء الآلوسي • بغداد ١٣٢٧ هـ •

ـ فى غمرة النضال • مذكرات سليمان فيضي • بغـداد • ١٩٥٢ •

ـ فصول من تاريخ العراق القريب • مس بيل • ترجمة جعفر خياط • بيروت ١٩٤٩

ـ فلسفة التاريخ العثماني • محمد جميل بيهم • بيروت • ١٩٥٤ •

ـ قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور • ج٢ • محمد جميل بيهم • بيروت •

ـ كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ج٥ • سليم فارس • استانبول • ١٢٩٤ هـ

ـ كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ج٦ • سليم فارس • استانبول ١٢٩٥ هـ

ـ كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ج٧ • سليم فارس • استانبول ١٢٩٨ هـ

ـ مدحت باشا • صديق الدملوجي • بغـداد • ١٩٥٣ •

ـ المماليك فى العراق • احمد علي الصوفي • الموصل • ١٩٥٢ •

ـ الموصل فى الجيل الثامن عشر • دومنيكو لانزا • ترجمة القس رفائيل بيداويد • الموصـــل • ١٩٥١ •

ـ المستشرقون • نجيب العقيقي • بيروت • ١٩٣٧ •

ـ المسألة الشرقية ومؤتمر باريس • الدكتور محمد مصطفى عزت • القـاهرة ١٩٥٨ •

ـ معجم العراق ج١ • عبد الرزاق الهلالي • بغـداد • ١٩٥٣ •

ـ مقدمـة ابن خلـدون • القـاهرة •

ـ مختصر تاريخ بغداد • علي ظريف الاعظمي • بغـداد ١٩٢٦ •

ـ مختصر تاريخ البصرة • علي ظريف الاعظمي • بغداد ١٩٢٧ •

ـ مجموعة تراجم العلماء • محمود شكري الالوسي • مخطوط مكتبة المتحف العراقـي •

ـ المذهب التربوي عند ابن خلدون • فتحية حسن سلمان • القـاهرة •

ـ مدارس الموصل فى العهد الاتابكي • سعيد الديوجي • بغداد • ١٩٥٧ •

— المدنية والاسلام • محمد فريد وجدي • القاهرة • ١٩٣٣ •

— المرجع فى تاريخ التربية ج٢ • الدكتور بول منرو • ترجمة صالح عبد العزيز وحامد عبد القادر • القاهرة •

— مخطوطات الموصل • الدكتور داود جلبي • الموصل • ١٩٢٧ •

— ماضي النجف وحاضرها • محمد جعفر محبوبة • صيدا • ١٣٥٣ هـ •

— معارف دستوري • فائق رشيد • استانبول • ١٩٢٧ •

— نهضة العراق الادبية فى القرن التاسع عشر • الدكتور البصير • بغداد ١٩٤٦ •

— نظرات فى معارف العراق — شيخ العراقين • النجف • ١٩٤٩ •

— النظم الاسلامية • موريس غ ديمو مبين • ترجمة فيصل السامر وصالح الشماع • بغداد • ١٩٥٢ •

— نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق • يوسف رزق الله غنيمة • بغداد • ١٩٢٤

— الوقائع الحقيقية فى الثورة العراقية • على البازركان • بغداد • ١٩٥٤ •

— يقظة العرب • جورج انطونيوس • ترجمة علي حيدر الركابي دمشق ١٩٤٦



٢ ـ المصادر الاجنبية

1.— IRAQ. 1900 TO 1950 BY S. H. LONGRIGG.
.........OXFORD 1953. ... ...

2.— IRAQ. BY S.H· LONGRIGG & F. STOAKES
ERNEST BENN LONDON 1958.

3·— ISLAMIC SOCIETY & THE WEST.
BY, H.A.R. GIBB & H. BOWEN.
OXFORD. 1957. ... ...

4.— MATERIALS ON MUSLIM EDUCATION. ...
.... BY. A.S. TRITTON. ....
.... LONDON 1927. ....

5.— AN INTRODUCTION TO THE HISTORY OF
EDUCATION IN MODERN EGYPT.
BY. J. HEY WORTH. DUNNE.

6.— LA, PROVANCE DE BAGHDAD.
.... BY· HABIB K. CHIHA. ....
.... LE CAIRE 7908. ... ...

كتب مطبوعة للمؤلف

١ — نظرات فى اصلاح الريف طبع ثلاث طبعات ١٩٥٠ — ١٩٥٤

٢ — معجم العراق الجزء الاول نفذ ١٩٥٣

٣ — معجم العراق الجزء الثاني ١٩٥٦

٤ — مشاكل الائتمان الزراعي فـي العراق ١٩٥٧

٥ — الهجرة من الريف الى المدن فى العـراق ١٩٥٨

٦ — دليل العراق الحديث — باللغة الانكليزية ١٩٥٧

٧ — خريطة بغداد والعراق — باللغة الانكليزية ١٩٥٨

كتب تنتظـر الطبـع

١ — معجـم العـراق الجـزء الثـالث ٠

٢ — التعليم فـي العراق فـي عهد الاحتلال البريطاني ٠

تطلب هـــذه الكتب
مــن المؤلف مباشرة أو مـــن المكتبـات الكبرى
فـــي بغـــداد

HISTORY
OF
EDUCATION IN IRAQ
DURING
THE OTTOMAN TIMES
1638 -- 1917

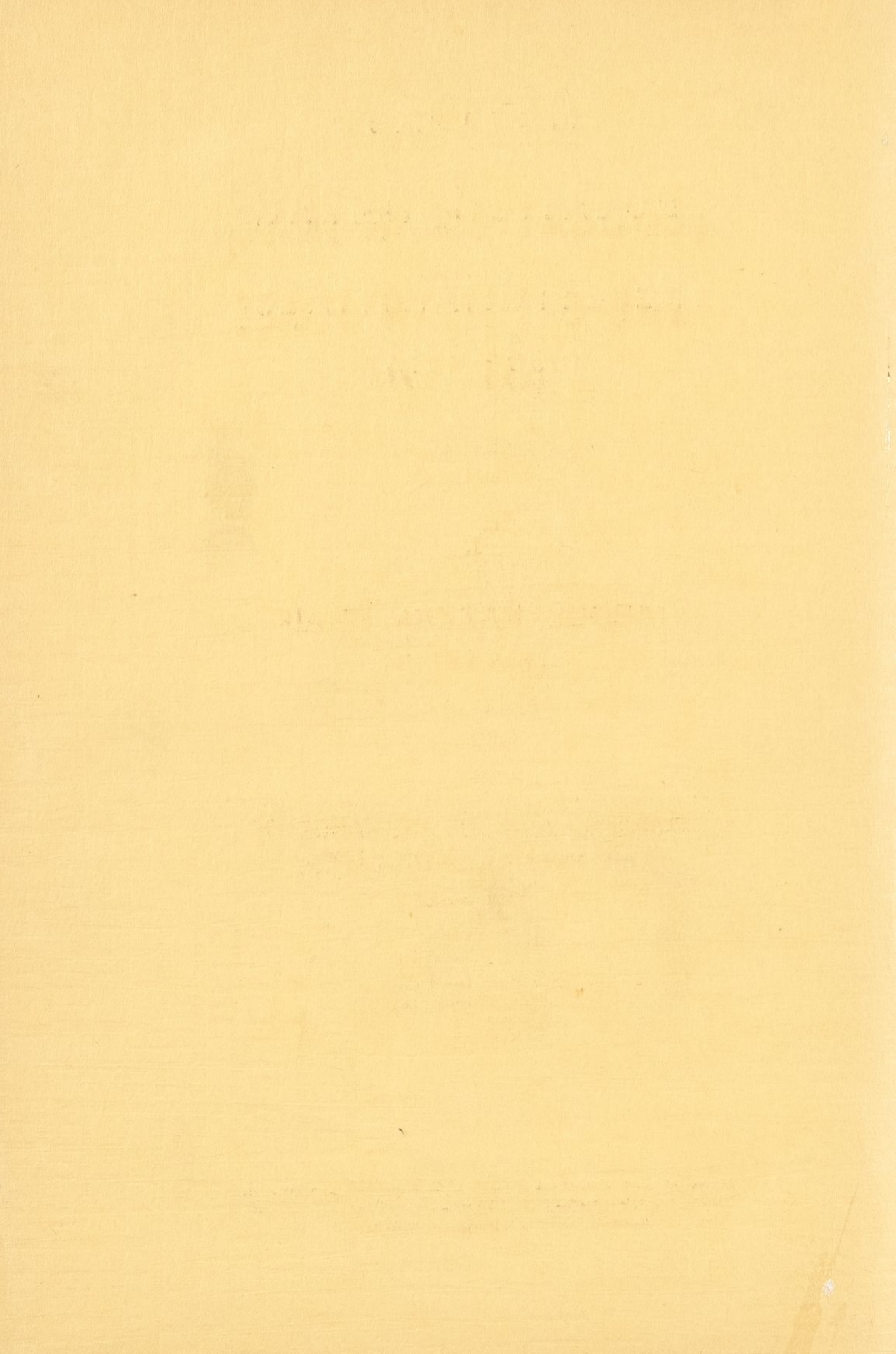
by

ABDUL - RAZZAK . HILALI
[B. A & L L. B]

PUBLISHED WITH THE ASSISTANCE OF
THE MINISTRY OF EDUCATION
OF IRAQ

FIRST EDITION
1959

**Printed at The National Printing & Publishing Company
With Limited Liability. — Baghdad.**



HISTORY OF EDUCATION IN IRAQ DURING THE OTTOMAN TIMES 1638 -- 1917

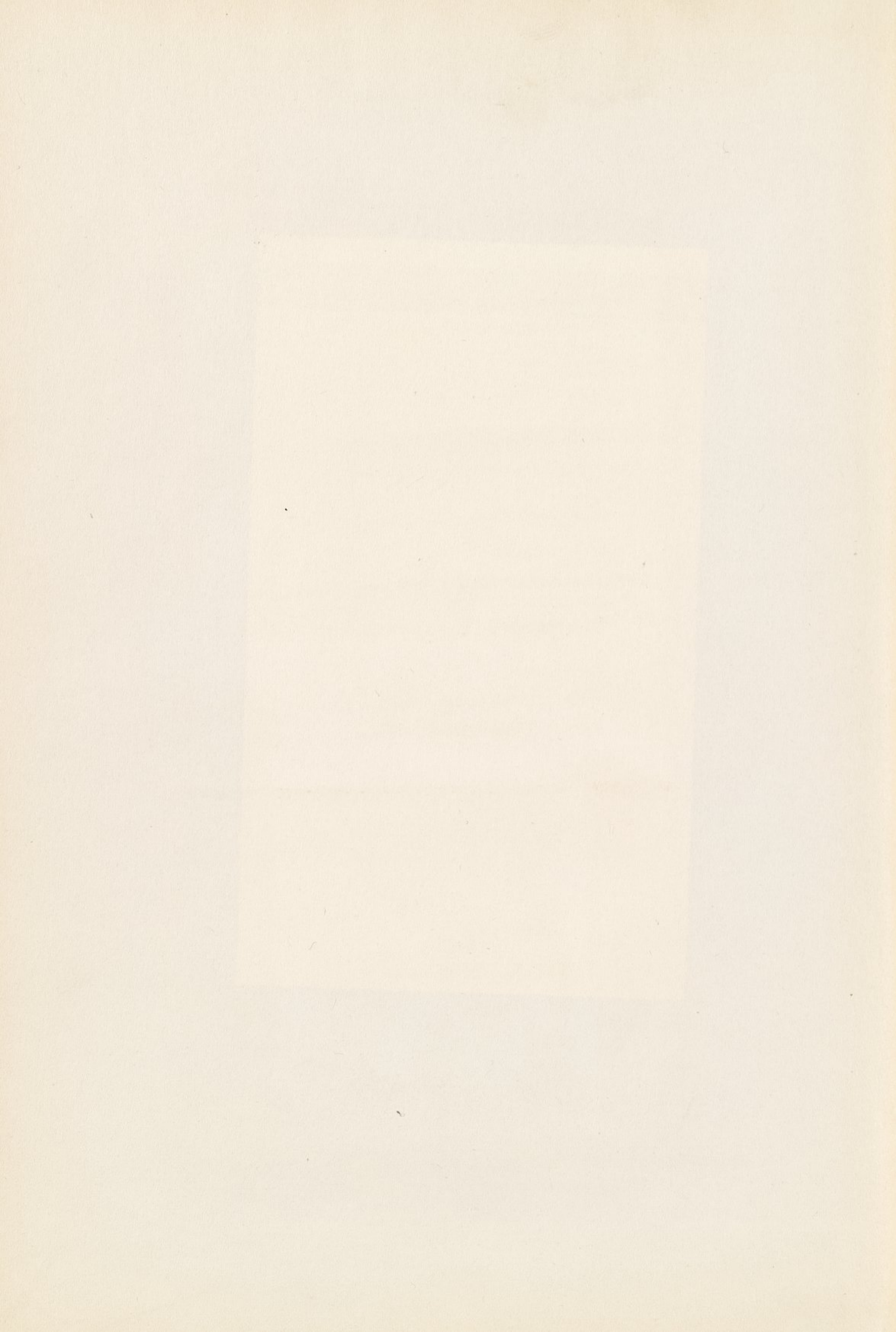
by

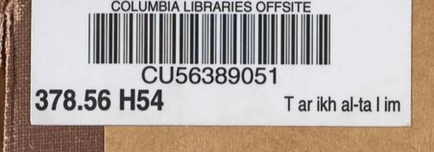
ABDUL - RAZZAK . HILALI
[B. A. & L L. B]

PUBLISHED WITH THE ASSISTANCE OF
THE MINISTRY OF EDUCATION
OF IRAQ

FIRST EDITION
1959

**Printed at The National Printing & Publishing Company
With Limited Liability. — Baghdad.**





AP